رسالة سهل بن هارون **

إلى محمد بن زياد وإلى بنى عمه من آل زياد *

حين ذموا مذهبه فى البخل وتتبعوا كلامه فى الكتب *

« بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ . أصلح الله أمرَكم وجمع شَملكم ، وعلَّمكم الخير وجعلكم من أهله .

قال الأحنفُ بنُ قيس : يا معشرَ بنى تميم لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإنَّ أسرع الناس إلى القتال أقلُّهم حياءً من الفِرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردتَ أن ترى العيوب جمّة فتأمَّل عيَّاباً ، فإنه إنَّما يعيب بفضل ما فيه من العيب . وأوّل العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيحٌ أن تنهى عن مرشد أو تغرى بمشفق . وما أردنا بما قلنا إلَّا هدايتكم وتقويمكم ، وإلَّا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادكم فما أخطأنا سبيلَ حُسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أنَّا ما أوصينا كم إلَّا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم ، وشُهِرنا به فى الآفاق دونكم ، فما كان أحقَّكم — فى تقديم حُرمتنا بكم — أن ترعَوا ° حقّ قَصدنا بذلك إليكم وتنبيهنا ° على ما أغفلنا من واجب حقكم ، فلا العذرَ المبسوطَ عرفتم ° ولا بواجب الحُرمة قمتم . ولو كان ذكر العيوب برًّا وفضلا ،

(٢) إلى محمد بن زياد وإلى بنى عمه من آل زياد ك : أبى محمد بن راهبون إلى بنى عمه من آل راهبون (فان فلوتن) . وانظر صلة ما بين سهل بن هارون ومحمد بن زياد الزيادى (زهر الآداب ٢ : ٢٥٨ — ٢٥٩) — (٣) الكسب (مرسيه) (١٣) ترعوا : ترعون ك — (١٣) تنبيهنا : تنبيهاً ك — (١٤) عرفتم ك : بلغتم (فان فلوتن)

(٦ — ٧) « قال الأحنف ... الفرار » البيان والتبين ٢ : ٥٦ مطبعة مصطفى محمد ، ١٩٣٢ م

لرأينا أن فى أنفسنا عن ذلك شُغلا . وإن من أعظم الشِّقوة وأبعد من السعادة ، ألّا يزال يُتذكَّرُ زللُ المعلِّمين ويُتناسى * سوء استماع المتعلمين ، ويُستعظم غلطُ العاذلين ولا يحفل بعمد * المعذولين .

عِبتمونى بقولى لخادمى : أَجيدى عَجْنه خميراً كما أَجدتِه فطيراً ، ليكونَ أَطيبَ لطعمه وأَزيدَ فى ريعه . وقد قال عمرُ بن الخطاب — رضى الله عنه ورحمه — لأهله : املكوا العجين فإنه أَرْبَعُ الطحينين * .

وعبتم على قولى : من لم يتعرَّف * مواقع السرَف فى الموجود الرخيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد فى المُمتنع الغالى . فلقد أُتيت من ماء الوُضوء بكَيْلة يدلّ حجمُها عن * مبلغ الكِفاية ، وأَشفَّ من الكفاية ، فلما صِرتُ إلى * تفريق أَجزائه على الأعضاء و إلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدتُ فى الأعضاء فَضْلا على الماء ، فعَلمتُ أن لو كنت مكَّنت الاقتصادَ فى أَوائله ورغبتُ عن التهاون به فى ابتدائه ، لخرج آخرُه على كفاية أوّله ، ولكان نصيبُ العضو الأول كنصيب الآخِر ؛ فعبتمونى بذلك ، وشنَّعتموه بجُهدكم وقبَّحتموه . وقد قال الحسن ** عند ذكر السَّرَف : إنَّه ليكونُ فى الماعونين : الماءِ والكلأ . فلم يرضَ بذلك < فى > الماء * ، حتى أَردفه بالكلأ .

وعبتمونى حين ختمتُ على سَدّ عظيم ، وفيه شيء ثمينٌ من فاكهةٍ نفيسةٍ ومن رُطَبة غريبة ، على عبد نَهم وصبىّ جَشِع وأَمة لَكْعاء وزوجة خَرْقاء . وليس من أَصل

---

(٢) ويتناسى (فان فلوتن) : ويتناسوا ك — (٣) بتعمد (فان فلوتن) — (٦) الطحنتين (فان فلوتن) — (٧) يعرف (فان فلوتن) — (٨) عن ك : على (فان فلوتن) — (٩) صرت إلى (العقد) : صرت تفريق ك — (١٤) بذلك < فى > الماء ، صححنا : بذلك الماء ك ، بذكر الماء (العقد ونهاية الأرب) .

(١ — ٣) « وان من أعظم . . . المعذولين » ساقط فى العقد ونهاية الأرب .

(٥ — ٦) « املكوا . . . الطحينين » : مع بعض المغايرة فى البيان ٢ : ١٥١ ، ط الفتوح ، عيون الأخبار ٣ : ٢٩٦ ، العقد ٢ : ٤٥٦ ط لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٤٠ م ، اللآلى ص ٦٨٩ ط لجنة التأليف .

الأدب ولا فى ترتيب الحكم < ولا > فى عادات القادة ولا فى تدبير السادة أن يستوىَ فى نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب ، والناعم من كلّ فنّ واللباب من كلّ شكل ، التابع والمتبوع والسيّد والمسُود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ومواقع أسمائهم فى العُنوانات وما يستقبلون به من التحيّات . وكيف وهم لا يفقِدون من ذلك ما يفقِد القادر ولا يكترثون له اكتراث العارف . من شاء أطعم كلبَه الدَجاج المسمّن وأعلفَ حِماره السمسم المقشر . فعِبتمونى بالختم ، وقد خَتَم بعض الأئمة على مِزود سويق ، وختم على كيسٍ فارغ ، وقال : طينة خير من طَنَّة . فأمْسَكتم عمّن ختم على لا شىء وعبتم من ختم على شىء .

وعبتمونى حين قلتُ للغلام : إذا زدتَ فى المَرَق فزد فى الإنضاج ، لنجمع بين التأدُّم باللحم < و > المرق ، ولنجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب ؛ وقد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إذا طبختم لحماً فزيدوا فى الماء ، فإن لم يُصب أحدُكم لحماً أصابَ مرقاً .

وعِبتمونى بخصف النعال وبتصدير القميص ، وحين زعمتُ أنّ المخصوفةَ أبقى وأوطأ وأوقى ، وأنفى للكبر وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، وأن الاجتماع مع الحفظ وأن التفرق مع التضييع . وقد كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يخصِفُ نعله ويرقع ثوبَه ويلطع إصبعه ، ويقول : لو أتيتُ بذِراع لأكلت ولو دُعيت إلى كُراع لأجبت . ولقد لفّقت سُعدى ابنةُ عوف إزارَ طلحة ، وهو جَواد قريش ، وهو طلحة الفيّاض . وكان فى ثوب عمرَ رقاعُ أدَم . وقال : من لم يستحْيِ من الحلال خفَّت مؤنته وقلّ كبره .

---

(١) < ولا > فى (فان فلوتن = العقد ونهاية الأرب) : فى ك — تدبير (فان فلوتن = العقد ونهاية الأرب) : برنس ك — (٤) ينفلون ك — (٧) طنه (مرسيه) : طيه (فان فلوتن = العقد) (١٠) المرق ك — (١٢) وتصديد ك — (١٣) الحزم (فان فلوتن = العقد) : الرفيع ك ، ولعلها : الأدب الرفيع

(٧-٧) « طينه ... طنه » عيون الأخبار ١ : ٣٦ — (١٥) « ويقول ... لأجبت » البيان والتبيين ٣ : ٢٣ ط مصطفى محمد ، ١٩٣٢ م — (١٧) « من لم يستحى ... كبره » عيون الأخبار ١ : ٢١٧ .

وقالوا : لا جديدَ لمن لا يلبسُ الخَلَق . وبعث زيادٌ رجلا يرتاد له محدِّثاً ، واشترط على الرائد أن يكون عاقلاً مسدداً ، فأتاه به موافقاً ، فقال : أكنتَ ذا معرفة به ؟ قال : لا ولا رأيتُه قبل ساعته . قال : أفناقلتَه الكلام وفاتحته الأمور ، قبل أن توصله إليّ ؟ قال : لا . قال : فلم اختبرتَه على جميع مَن رأيته ؟ قال : يومُنا يومٌ قائظ ، ولم أزل أتعرَّف عُقول الناس بطعامهم ولِباسهم فى مِثل هذا اليوم ، ورأيتُ ثيابَ الناس جُدُداً وثيابَه لُبُساً ، فظننتُ به الحزم .

وقد علِمنا أنّ الجديد فى < غير > موضعه دون الخَلَق . وقد جعل الله عزّ وجلّ لكلّ شئ قدْراً وبوّأ له موضِعاً ، كما جعل لكلّ دهر رجالا ولكلّ مَقامٍ مقالا . وقد أحيا بالسُّم وأمات بالغِذاء ، وأغصَّ بالماء وقتل بالدواء . فترقيعُ الثوب يجمعُ مع الإصلاح التواضُع ، وخلافُ ذلك يجمع مع الإسراف التكبّر . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسبين ، كما زعموا أنّ قلّة العِيال أحد اليسارين وقد جَبَر الأحنفُ يد عنز ، وأمر بذلك النعمان . وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وقال رجلٌ لبعض السادة : أهدى إليك دَجاجة ، قال : إن كان لا بدّ فاجعلها بيّاضة . وعد أبو الدرداء العُراق جَزر البهيمة .

وعِبتمونى حينَ قلتُ : لا يغترَّنّ أحد بطول عُمْره وتقوُّس ظهره ورقّةِ عظمه ووَهن قوته ، أن يرى أكرومته ، ولا يُخرجْه ذلك إلى إخراج مالِه من يديه وتحويله إلى مِلك غيره ، وإلى تحكيم السَّرَف فيه وتسليط الشهوات عليه ، فلعلّه أن يكون معمَّراً وهو

---

(٤) قايض ك — (٧) الجديد فى < غير > موضعه دون الخلق، صححنا : الخلق فى موضعه دون الخلق ك ، الجدد فى موضعه دون الخلق (فان فلوتن) ، الخلق فى موضعه ذوق الخلق (مرسيه) — (١١) اليسارتين (فان فلوتن) — (١٣) وقال (فان فلوتن) — (١٦) أن يرى أكرومته ، ولا يخرجه ذلك : وأن يرى نجوه أكبر من رزقه فيدعوه ذلك (العقد) ، وأن يرى دخله . . . (نهاية الأرب)

(١) « لا جديد . . . الخلق » تاريخ الطبرى ٩ : ٣٠٠ فى كلام أبى جعفر المنصور — (١١) قلة . . . اليسارين » عيون الأخبار ١ : ٤٧ ، الأمالى ٢ : ٥٦ ط دار الكتب ، نهج البلاغة (شرح ابن أبى الحديد) ٤ : ٣٠٩ ط دار الكتب العربية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ

لا يدرى وممدوداً له فى السنّ وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرزق الوَلَد على اليأس أو يحدُث عليه بعض مخبّآت الدهور ، ممّا لا يخطُر على البال ولا تدركُه العقول ، فيستردُّه ممن لا يردُّه ويظهرُ الشكوى إلى من لا يرحمه ، أضعفَ ما كان عن الطلَب وأقبحَ ما يكون به الكسبُ. فعبتمونى بذلك ، وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عملَ من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عملَ من يموت غداً .

وعبتمونى حين زعمتُ أن التبذير إلى مال القمار ومال الميراث وإلى مال الالتقاط وحباء الملوك أسرع ، وأنّ الحفظ إلى المال المكتسَب والغنى المجتلَب ، وإلى ما يعرض فيه لذَهاب الدين واهتِضام العِرض ونَصَب البدن واهتمام القلب أسرع ، وأن < من > لمْ يحسُب ذَهابَ نفقته لم يحسُبْ دخلَه ، ومن لم يحسُب الدخل فقد أضاع الأصل ، وأنّ من لم يعرِف للغنى قدره ، فقد أذِن بالفقر وطاب نفساً بالذلّ .

وزعمتُ أن كسْبَ الحلال مضمّن بالإنفاق فى الحلال ، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وأن الطيّب يدعو إلى الطيّب ، وأن الإنفاق فى الهوى حِجاب دون الحقوق ، وأنّ الإنفاق فى الحقوق حِجاز دون الهوى ؛ فعبتم علىّ هذا القول ، وقد قال معاويةُ : لم أر تبذيراً قطُّ إلاّ و إلى جانبه حقّ مضيّع . وقد قال الحسن : إذا أردتم أن تعرِفوا من أين أصاب ماله ، فانظُروا فى أىّ شىء ينفقُه ، فإن الخبيثَ يُنفَق فى السَّرَف .

وقلت لكم — بالشفقة منى عليكم و بحسن النظر لكم وبحفظكم لآبائكم ولما يجبُ فى جِواركم وفى مماكتكم ومُلاَبستكم — : أنتم فى دار الآفات ، والجوائح غيرمأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدِكم آفة لم يرجع إلى بقية . فأحرزوا النِعمة باختلاف الأمكنة ، فإنّ البليّة

---

(٩) < من > لم (فان فلوتن) : لم ك — (١٧) وأنتم (فان فلوتن) — والجوائح (فان فلوتن)

(٤ — ٥) « اعمل . . . غداً » عيون الأخبار ١ : ٢٤٤ منسوباً إلى عبد الله بن عمرو ، محاضرات الراغب ١ : ٢٣٦ منسوباً إلى أبى الدرداء — (١٣ — ١٤) « وقد قال . . . مضيع » محاضرات الراغب ١ : ٢٣٨ — (١٤ — ١٥) « وقد قال الحسن . . . السرف » عيون الأخبار ١ : ٢٤٤ ، محاضرات الراغب الأصبهانى ١ : ٢٣٩ ط الشرفية ، ١٣٢٦ هـ

لا تجرى فى الجميع إلّا مع موت الجميع . وقد قال عمرُ رضى الله عنه — فى العبد والأمة وفى مِلك الشاة والبعير وفى الشىء الحقير اليسير —: فرِّقوا بين المنايا . وقال ابنُ سيرين لبعضِ البحريين : كيفَ تصنعونَ بأموالكم ؟ قال : نفرّقها فى السفن ، فإن عطِب بعضُ سِلم بعض ، ولولا أنّ السلامةَ أكثرُ لما حملنا خزائننا فى البحر . قال ابن سيرين : تحسَبها خَرْقاء وهى صَناع .

وقلتُ لكم — عند إشفاقى عليكم — : إنّ للغِنَى سُكرًا و إنّ للمال لنزوة ، فمن لم يحفظ الغنى من سُكر الغنى* فقد أضاعه ومن لم يَرْتَبط المالَ بخوف الفقر فقد أهمله . فعبتمونى بذلك ، وقال زيدُ بن جَبَلة** : ليسَ أحدٌ أفقرَ من غَنِىّ أمِن الفقر ، وسكرُ الغنى أشدُّ من سُكر الخمر .

وقلتم : قد لزِم الحثَّ على الحقُوق والتزهيدَ فى الفُضول ، حتّى صارَ يستعملُ ذلك فى أشعاره بعد رَسائله وفى خُطَبه بعد سائرِ كلامه ، فمن ذلك قولُه في يحيى بن خالد :

عدوٌّ تِلاد المال فيما ينوبُه ... مَنوعٌ إذا ما منعُه كان أحزما

ومِن ذلك قولهُ فى محمّد بن زياد** :

وخليقتان : تقًى وفضلُ تحرّم ... وإهانةٌ : فى حقِّه ، للمال

وعبتمونى حين زعمتُ أنى أقدّم المال على العلم ؛ لأنّ المال به يغاثُ العالم و به تقوم النفوس ، قبل أن تعرف فضيلةُ العلم . وأنّ الأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع ، وأنّى قلتُ: و إن كنّا نستبينُ الأمورَ بالنفوس ، فإنا بالكفاية نستبين : و بالخَلّة نعمى . وقلتم :

(٦–٧) فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى (فان فلوتن = العقد) : فمن حفظ الغنى بسكر الغنى ك

---

(٢) « فرقوا بين المنايا » البيان والتبيين ٢ : ١٥١ ط الفتوح ، ١٣٣٢ هـ ، عيون الأخبار ١ : ٢٥٠ ، العقد الفريد ٢ : ٤٥٦ ط لجنة التأليف — (٨) « ليس . . . الفقر » عيون الأخبار ١ : ٢٤٥ — (١٢) « عدو . . . أحزما » البيان والتبيين ٣ : ١٧٤ ، الحيوان ٣ : ٤٦٦ ، ٥ : ٦٠٤ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٣٨ م ، زهر الآداب ٢ : ٢٥٨ العقد الفريد ٦ : ١٩٢ ط لجنة التأليف . . . (منسوباً إلى كثير عزة)

وكيف تقول هذا ، وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدَّم* الأدباء : العلماء أفضلُ أم الأغنياء؟ قال : بل العلماء . قيل : فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء أكثرَ مما يأتى الأغنياء أبوابَ العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الأغنياء بفضل العلم . فقلت : حالهما هى الفاصِلةُ* بينهما ، وكيفَ يستوى شىء ترى حاجة الجميع إليه ، وشىء يَغنى بعضُهم فيه عن بعض .

وعِبتمونى حين قلتُ : إن فضل الغِنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكونُ فى الدار ، إن احتيج إليها استعملت ، وإن استُغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُضين بن المنذر** : ودِدت أنّ لى مثلَ أُحُد ذهباً لا أنتفع منه بشىء . قيل : فما ينفعُك من ذلك ؟ قال : لكثرةِ من يخدُمنى عليه . وقال أيضاً : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن لك فيه إلاّ أنه عزّ فى قلبك وشُبهة فى قلب غيرك ، لكان الحظّ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً .

ولسنا ندعُ سيرةَ الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء ، لأصحاب الأهواء . كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج . وقالوا* : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك . فقسَّموا الأمور كلَّها على الدين والدنيا ، ثم جعلوا أحد قِسمى الجميع الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رَحمة الله عليه ورضوانه : إنى لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام فى اليوم . وكانوا يبغضون أهلَ البيت اللحِمين* . وكان هِشام يقول : ضَع الدرهمَ على الدرهم يكونُ مالاً . ونهى أبو الأسود الدؤلى ، وكان حكيماً أديباً

(١) ومقوم ك — (٤) القاضية (فان فلوتن = العقد) — (١٣) وقالوا ، صححنا : وقال ك — (١٦) اللحمين ك ، اللخميين ب

(٧ — ٩) « قال الحضين . . . عليه » عيون الأخبار ١ : ٢٤١ ، غرر الخصائص الواضحة للوطواط ص ٣١٢ — (٩ — ١٠) « عليك ... غيرك » شرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٩١ — (١٤) « درهمك . . . لمعادك » العقد الفريد ، ٣ : ٢٩ ط لجنة التأليف — (١٥ — ١٦) « وقال أبو بكر . . . اليوم » محاضرات الراغب ١ : ٢٣٨ — (١٦) « وكانوا . . . اللحمين » عيون الأخبار ٣ : ٢٠١ ، النهاية فى غريب الحديث ٤ : ٥٥ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٢٢ هـ

وداهياً أريباً ، عن جودكم هذا المولّد وعن كرمكم هذا المستحدث ، فقال لابنه : إذا بسَط الله لك فى الرزق فابسُط ، وإذا قبض فاقبِض ، ولا تجاود الله فإن الله أجود منك .

وقال : درهم من حلّ يخرجُ فى حقّ ، خير من عشرةِ آلافٍ قَبْضاً . وتلقّط عُرجُدًا من بَرَم ° فقال : تضيعون مثل هذا ، وهو قوتُ امرئ مسلم يوماً إلى الليل ؟! وتلقط أبو الدرداء حبّات حنطة ، فنهاه بعضُ المسرفين ، فقال : إيهاً ° ابنَ العبسية ، إن من فقه ° المرء رفقه فى معيشته .

فلستم علىّ تردُّون ولا رأيى تفندون ° ، فقدِّموا النظر قبل العزم ، وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم . والسلام » .

(٣ – ٤) عرجداً من برم ، صححنا : عرمداً من بريم ك ، عرنداً من بريم (فان فلوتن) – (٥) أيهن ك – (٦) من فقه ، صححنا : مرفقه ك – (٧) تفندون ب : تقتدون (فان فلوتن)

---

(٢) « ولا تجاود . . . منك » عيون الأخبار ١ : ٣٣٢ ، نهاية الأرب ٣ : ٣٢٣ ط دار الكتب المصرية – (٣ – ٦) « وتلقط . . . معيشته » عيون الأخبار ١ : ٣٣١

طرف أهل خراسان

نبدأ بأهلِ خُراسان ، لإكثارِ الناس فى أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل مَرو** ، بقدر ما خصّوا به :

قال أصحابنا: يقول المروَزىُّ للزائر إذا أتاه ،وللجليس إذا طال جلوسُه : تغديتَ اليوم ؟ فإن قال : نعم ، قال : لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتك بغَداء طيّب ، وإن قال : لا . قال : لو كنتَ تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يصيرُ* فى يده على الوجهين قليل ولا كثير .

وكنتُ فى منزل ابن أبى كريمة** وأصله من مَرو ، فرآنى أتوضّأ من كوز خزف ، فقال : سُبحان الله ! تتوضّأ بالعذب ، والبئر الك معرضة* ؟ قلتُ : ليس بعذب ، إنما هو من ماء البئر** . قال : فتفسدُ علينا كوزنا بالملوحة . فلم أدر كيف أتخلص منه .

وحدّثنى عمرُو بن نَهيْوِىّ** قال : تغديتُ يوماً عند الكندىّ ، فدخل عليه رجل كان له جاراً وكان لى صديقاً ، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل — وكان أبخل مَن خلق الله — قال : فاستحييت منه ، فقلت : سبحان الله ! لو دنوتَ فأصبتَ معنا مما نأكل . قال : قد والله فعلت . فقال الكندى : ما بعدَ الله شىء . قال عمرو : فكَتَفه ، والله ، كَتْفاً* لا يستطيعُ معه قبضاً ولا بسطاً ، وتركه ولو مدَّ يده لكان كافراً أو لكان قد جعل مع الله ، جل ذكره ، شيئاً .

وليس هذا الحديثُ لأهل مرو ، ولكنّه من شكل الحديث الأول .

---

(٥) فلا خير ب — (٧) لك معرضة ك : عندنا ب — (١٢–١٣) فكتفه والله كتفاً ك : أخجلته والله يا أبا عثمان خجلا ب

(٣ — ٥) « يقول . . . كثير » العقد الفريد ٤ : ٢١٦ ط الأزهرية ، ٦ : ١٧٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩ م (٩ — ١٤) « وحدثنى . . . شيئاً » العقد الفريد ٦ : ١٨٢ ط لجنة التأليف

وقال ثُمامة** : لم أرَ الديك فى بلدة قطّ إلّا وهو لافظ* ، يأخذُ الحبة بمنقاره ، ثم* يلفِظها* قُدّام الدجاجة ، إلا دِيَكة مرو ، فإنّى رأيتُ دِيَكة مرو تسلُب الدّجاج ما فى مناقيرها من الحبّ . قال : فعلمتُ أنّ بخلَهم شىء فى طبع البلاد وفى جواهر الماء ، فمن ثمّ عمّ جميعَ حيوانهم .

فحدّثتُ بهذا الحديث أحمدَ بن رشيد ، فقال : كنتُ عند شيخ من أهل مرو ، وصبىٌّ له صغيرٌ يلعب بين يديه ، فقلت له ، إما عابثاً وإما ممتحناً : أطعمنى من خُبزكم . قال : لاتريده ، هو مرّ . فقلت : فاسقنى من مائكم . قال : لاتريده ، هومالح . قلتُ : هاتِ* لى من كذا وكذا . قال : لا تريده ، هو كذا وكذا . إلى أن عدَدْتُ أصنافاً كثيرة ، كلّ ذلك يمنَعُنيه و يبغّضه إلىّ . فضحك أبوه وقال : ما ذنبنا ؟ هذا من علّمه ما تسمع ؟ يعنى أنّ البخل طبع فيهم وفى أعراقهم وطينتهم .

وزعم أصحابنا أنّ خُراسانية ترافقوا فى منزل ، وصَبَروا عن الارتفاق بالمصباح ما* أمكن الصبر . ثم إنهم تناهدوا وتخارجوا* ، وأبى واحدٌ منهم أن يعينهم ، وأن يدخل فى الغرم معهم . فكانوا إذا جاء المصباحُ شدّوا عينه بمنديل ، ولايزالُ ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا و يطفئوا المصباح ، فإذا أطفؤوهُ أطلقوا عينيه .

ورأيتُ أنا حمّارة منهم ، زُهاء خمسين رَجُلًا ، يتغدّون على مباقلَ بحضرة قرية* الأعراب** ، فى طريق الكوفة ، وهم حجاج . فلم أر من جميع الخمسينَ رجلَين يأكلان معاً ، وهم فى ذلك متقاربون ، يحدِّث بعضُهم بعضاً . وهذا الذى رأيتُه منهم من غريب ما يتّفق للناس .

حدثنى مُوَيس بنُ عِمران** قال : قال رجلٌ منهم لصاحبه — وكانا إمّا متزاملين ،

---

(١) لاقط ك — ولم ك ب — يلقطها ك — (٧) فأت ب — (١١) فا ب — (١٢) تعاونوا وأخرج كل منهم شىء ب — (١٥) خضرة من قرية ب

(١ — ٣) « وقال ثمامة . . . الحب » الحيوان ٢ : ١٤٩ ط مصطفى البابى الحلبى ، العقد ٣ : ٢١٣ المطبعة الأزهرية ، ١٩١٣ م ، ٦ : ١٧٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وإما مترافقين — : لم لا نتطاعم ؟ فإنّ يدَ الله مع الجماعة ، وفى الاجتماع البركة ، وما زالوا يقولون* : طعامُ الاثنين يكفى الثلاثة ، وطعامُ الثلاثة يكفى الأربعة . فقال له صاحبُه : لولا أعلمُ أنك آكل منى لأدخلتُ لكَ هذا الكلام فى باب النصيحة . فلمّا كان الغدُ ، وأعاد عليه القول ، قال له : ياعبدَ الله معك رغيفٌ ومعى رغيف ، ولولا أنّك تريد الشرّ* ما كان حرصُك على مؤاكلتى . تريد الحديثَ والمؤانسة ؟ اجعل الطبقَ واحداً ، ويكون رغيف كلّ منا قدّام صاحبه . وما أشك أنك إذا أكلتَ رغيفك ونصفَ رغيفى ستجدُه مباركاً . إنّما كان ينبغى أن أكون أجدُه أنا لا أنت .

وقال خاقانُ بن صُبَيح** : دخلتُ على رجلٍ من أهل خراسان ليلا ، وإذا هو قد أتانا بمِسرَجة فيها فَتيلةٌ فى غاية الدقة ، وإذا هو قد ألقى فى دُهن المِسرجة شيئاً من مِلح ، وقد علّق على عمود المنارة عُوداً بخَيط ، وقد حزّ فيه حتى صار فيه مكانٌ للرِّباط . فكان المصباحُ إذا كاد ينطفئ أشْخَص رأسَ الفَتيلة بذلك* . قال : فقلتُ له : ما بالُ العودِ مربوطاً ؟ قال : هذا عودٌ قد تشرَّب الدُهن ، فإن ضاع ولم يحفظ احتجنا إلى واحد عَطشان ، فإذا كان هذا دأبَنا ودأبه ضاع من دُهننا فى الشهر بقدر كِفاية ليلة. قال : فبينا أنا أتعجَّب فى نفسى ، وأسأل الله جلّ ذكره العافية والستر ، إذ دخل شيخٌ من أهل مَرو ، فنظر إلى العود فقال : يا أبا فلان فررتَ من شىء ووقعتَ فى شىء* . أما تعلمُ أنّ الريح والشمس تأخذان من سائر الأشياء ؟ أوليس قد كان البارحةَ عند إطفاء السِراج أرْوَى ، وهو عند إسراجك الليلةَ أعطش ؟ قد كنتُ أنا جاهلا مثلك* ! اربُط — عافاك الله — بدلَ العود إبرة أو مِسَلّة صغيرة . وعلى أنّ العود والخلال والقصبةَ ربما تعلّقت بها* الشعرةُ

(٢) وما زال يقول ب — (٤) الشر ك ب : أكبر (فان فلوتن) — (١١) لعله : بذلك < العود > — (١٥) شىء ب : شبيه به ك — (١٧) مثلك < حتى وفقنى الله إلى ماهو أرشد > (فان فلوتن = النقد) — (١٨) به ك ب

(٨–ص ٢٠ : ٢) « وقال خاقان... نشاف » العقد الفريد ٤ : ٢١٣ ط الأزهرية ، ٦ : ١٧٤–١٧٥ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

من قُطن الفَتيلة إذا سويْناها بها فيشخص لها* . وربّما كان ذلك سبباً لانطفاء السراج . والحديد أملس ، وهو مع ذلك غيرُ نشّاف . قال خاقانُ : فني تلك الليلة عرفتُ فضلَ أهل خُراسان على سائر الناس ، وفضلَ أهل مَرو على سائر أهل خراسان .

قال مُثنّى بن بشير** : دخل أبوعبد الله المرْوَزىّ على شَيْخ من أهل خُراسان ، وإذا هو قد اسْتَصْبح فى مِسْرجة خَزَف ، من هذه الخزفيّة المُلحضر . فقال له الشيخُ : لا يجىء والله منك مِن صالح* أبداً . عاتبتُك فى مَسارج الحجارة ، فأعتبْتنى بالخزَف . أوَماعلمتَ أنّ الخزَف والحجارة يحسُوان الدُّهن حَسْواً ؟ قال : جُعلتُ فداك ! دفعتُها إلى حريف لى دهّان ، فألقاها فى المِصفاة شهراً حتى رَوِيَت من الدُّهن ريًّا لا تحتاج معه أبداً إلى شىء . قال : ليس هذا أريد ، هذا دواؤه يسير ، وقد وقعتَ* عليه . ولكن ماعلمتَ أنّ موضعَ النار من المِسرجة فى طَرَف الفتيلة لا ينفكّ من إحراق النار وتجفيفه ونشف ما فيه ؛ ومتى ابتلّ بالدُّهن وتسقّاه ، عادت النار عليه فأكلته ؟ هذا داؤهما . فلو قِسْتَ ما يتشرّب* ذلك المكانُ من الدهن ، بمايستمدّه طرَف الفتيلة منه ، لعلمتَ أنّ ذلك أكثرُ* . وبعد هذا فإنّ ذلك الموضعَ من الفتيلة والمِسرجة لا يزال سائلاً جارياً . ويقال إنّك متى وَضعتَ مسرجة فيها مصباحٌ ، وأخرى لا مِصباحَ فيها لم تلبثْ إلّا لياةً أو ليلتين حتى ترى السفلى ملآنةً دهناً . واعتبر أيضاً ذلك بالمِلح الذى يوضع تحت المِسرجة ، والنُّخالةِ التى توضع هناك لتسويتها وتصويبها ، كيف تجدُها يَنْعصران دُهناً . وهذا كلّه خسرانٌ وغَبن ، لايتهاونُ به إلا أصحابُ الفساد . على أنّ المفسدين إنّما يُطعمون الناس ويسقون الناس ، وهم على حال يَسْتَخلفون شيئاً ، وإن كان دوناً* . وأنتَ إنّما تُطعم النارَ وتسقى النار ، ومنْ أطعَمَ النار جعله الله يوم القيامة طعاماً للنار . قال الشيخ* : فكيف أصنع

---

(١) فيشخص لها ك : فيخسر الزيت بها ب . وانظر قراءة العقد : فتشخص لها

(٦) من صالح ك : بصالح ب . أمر صالح (فان فلوتن) — (٩) وقفت ب — (١١) ما يشرب ب — (١٢) أكثر ، صححنا : أكثره ك ، كثير ب — (١٨) دونا ك ب : روثا (فان فلوتن) — (١٩) [الشيخ] ب

جُعلت فداك ؟ قال : تتّخذُ قنديلا ، فإنّ الزجاج أحفظ من غيره ، والزجاج لا يعرف الرَّشح ولا النَّشف ، ولا يقبلُ الأوساخ التى لا تزول إلاّ بالدلك الشديد أو بإحراق النار ، وأيّهما ما كان ، فإنه يعيدُ المِسرجة إلى العطش الأوّل . والزجاج أبقى على الماء والتراب من الذهب الإبريز ، وهو مع ذلك مصنوع والذهب مخلوق ، فإن *فضله الذهب بالصلابة فضله* الزجاج بالصفاء ، *والزجاج مجلٍّ والذهب ستّار* . ولأنّ الفتيلة إنّما تكونُ فى وسَطه ، فلا تحمَى جوانبُه بوَهَج المصباح ، كما تحمَى بموضِع النار من المِسرجة . وإذا وقع شُعاع النار على جَوْهر الزجاج ، صار المصباحُ والقنديلُ مصباحاً واحداً ، وردّ الضياء كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه . واعتبرْ ذلك بالشُّعاع الذى يسقط على *وجهِ المرآة أو على* وجه الماء أو على الزجاجة ، ثم انظر كيف يَتَضاعف نورُه ، وإن كان سقوطُه على عين إنسانٍ أعشاه ، وربَّما أعماه . وقال الله جل ذكره : « اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ » . والزيتُ فى الزجاجة نورٌ على نور ، وضوءٌ على ضوء مضاعف . هذا مع فَضْل حُسن القِنديل على حسن مَسَارج الحجارة والخزف .

وأبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق وأملحهم بخلا وأشدهم رياء* .

(٤–٥) فضيلة . . . وفضيلة ب – (٥) مجل . . . ستار (فان قلوتن) : محلى . . . سناد ك ب (٨–٩) [وجه المرآة أو على] ب – (١١) رياء ك ب : دقا (فان قلوتن)

(٣ – ١٠) « الزجاج . . . أعماه » ا نظر مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٣١٤ فى شرح المثل : « أنم من زجاجة على ما فيها » (منسوباً إلى سهل بن هارون) (٥ – ٩) « الله نور . . . من يشاء » سورة النور : ٣٥

أدخل على ذى اليمينين طاهر بن الحسين ، وقد كان يعرفه بخراسانَ بسبب الكلام ، فقال له : منذُ كم أنتَ مقيمٌ بالعراق يا أبا عبد الله ؟ فقال : أنا بالعراق منذُ عشرين سنةً ، وأنا أصومُ الدهر منذُ أربعين سنة* . قال : فضَحِك طاهر ، وقال : سألناك يا أبا عبد الله عن مسألة ، فأجبتنا* عن مسألتين .

ومن أعاجيبِ أهل مَرْو ما سَمعناه من مَشْيختنا* على وجه الدهر*، وذلك : أنّ رجلا من أهل مرو كان لايزال يحجُّ ويتَّجر، وينزِل على رجل من أهل العراق ، فيكرِمُه ويكفيه مؤنته . ثم كان كثيراً ما يقول لذلك العراقىّ : ليتَ أنى قد رأيتك* بمرو ، حتى أكافئك ، لقديم إحسانك ، وما تجدّد لى من البرّ فى كل قَدمة* . فأما هُهُنا فقد أغناك الله عنى* .

قال : فعرضتْ لذلك العراقىِّ بعد دهر طويل حاجةٌ فى تلك الناحية ، فكان ممَّا هوَّن عليه مكابدة السفر ووَحشة الاغتراب ، مكانُ المرْوَزىّ هنالك* . فلمَّا قَدِم مضى نحوه فى ثياب سَفره وفى عمامته وقَلَنسُوته وكسائه ، ليحطَّ رحلَه عنده ، كما يصنع الرجل بثقتِه وموضع أُنسه . فلمَّا وجده قاعدًا فى أصحابه ، أكبَّ عليه وعانقه ، فلم يره أثبته ، ولا سأل به* سؤال من رآه قط . قال العراقىُّ فى نفسه : لعلّ إنكاره إيَّاى لمكان القِناع ، فرمى بقناعه ، وابتدأ مُساءلته ، فكان له أنكر . فقال : لعلّه أن يكون إنما أُتِىَ من قِبَل العمامة ، فنزعها ثم انتسب ، وجدَّد مُساءلته ، فوجده أشدَّ ما كان* إنكارًا . قال : فلعله إنما أتى من قبل القلنسُوة . وعلم المروزىُّ أنه لم يبقَ شىء يتعلق به المتغافل والمتجاهل* ، فقال* : لو خرجتَ من جِلدك لم أعرفْك . ترجمة هذا الكلام بالفارسية : « اكرازپوست پارون بيائى نشناستم »* .

---

(٣) ولدتنى أمى ب – (٤) فأجبتنا ب : أجبتنا ك ، وأجبتنا (فان فلوتن) – (٥) مشايخناب – الهزل ب – (٧) أراك ب – (٨) مرقب – (٩) عنه ب – (١١) هناك (فان فلوتن) – (١٤) عنه ب – (١٦) كان له ب – (١٨) أو المتجاهل ب – قال ك – (١٩) اكران يوست أبارون بيائى نشناسم ك ب

(١ – ٤) « أدخل . . . مسألتين » البيان والتبين ٢ : ١٧٠ ، ط الفتوح ، ١٣٣٢ هـ ، الحيوان ٣ : ٨ – ٩ ، ط مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٣٨ م

وزعموا أنهم ربما ترافقوا وتزاملوا ، فتناهدوا وتلازقوا* فى شراء اللحم ، فإذا اشترَوا اللحم قسموه قبلَ الطبخ ، وأخذَ كلُّ إنسان منهم نصيبَه فشكّه* بخوصة أو بخيط ، ثمّ أرسَله فى خل القِدر والتوابل . فإذا طبخوه تناول كل إنسان خيطَه وقد علمه بعلامة ثم اقتسَموا المرَق ، ثم لا يزال أحدُهم يسلُّ من الخيط القِطعة بعد القطعة ، حتّى يبقى الحبلُ* لا شىء فيه . ثم يجمعون خيوطهم . فإن أعادوا الملازقة* أعادوا تلك الخيوط ، لأنها قد تشرّبت الدسَم ، فقد رَوِيَت . وليس تناهدُهم* من طريق الرغبة فى المشاركة ، ولكن لأن بضعة* كل واحدٍ منهم لا تبلغ مقدارَ الذى يُحتمل أن يُطبخ وحدَه ، ولأنّ المؤنة تخفُّ أيضاً والحَطَب والخل والثوْم والتوابل ، ولأن القِدرَ الواحدة أمكنُ من أن يقدِر كلُّ واحدٍ منهم على قِدر . وإنما* يختارون السِّكباج** لأنها تبقى* على الأيام ، وأبعدُ من الفساد .

حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام قال : قلتُ مرّةً لجار كان لى ، من أهل خراسان : أعرْنى مِقلاكم فإنى أحتاجُ إليه . قال : قد كان لنا مِقلى ولكنّه سُرق . فاستعرتُ من جار لى آخر . فلم يلبث الخراسانىُّ أن سَمِع نشيش اللحم فى المقلى ، وشمَّ الطُباهج** ، فقال لى ، كالمُغضب : ما فى الأرض أعجبُ منك ، لو كنتَ خبَّرتنى أنك تريدُه للَحم أو لِشَحم لوجدتنى أسرع إليك به* ، إنما خَشِيتك* تريدُه للباقلّى ، وحديد المِقلى يحترقُ إذا كان الذى يقلَى فيه ليسَ بدسِم . وكيفَ لا أعيرك إذا أردتَ الطباهج ، والمقلى بعد الردّ من الطباهج أحسنُ حالا منه وهو فى البيت .

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : دعانا جارٌ لنا، فأطعمنا تمراً وسَمْنَ* سلاء ، ونحنُ على خوان ليس عليه إلّا ما ذكرت ، والخراسانىُّ معنا يأكل ، فرأيتهُ يقطُر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك . فقلت لرجل إلى جنبى : ما لأبى فلان يُضيع سمنَ

---

(١) وشكه ب — (٢) فتغارموا وتلازموا ب ، وانظر اللسان فى مادة (نهد) : « والتناهد إخراج كل واحد من الرفقة نفقته على قدر نفقة صاحبه . . . والمخرج يقال له النهد بالكسر » (٥) الخيط ب — الملازمة ب — (٦) تغارمهم ب — (٧) بضعة ، صححنا : بضاعة ك ، أن غرم ب — (٩) فانما ك — أبق ب (فان فلوتن) — (١٥) أسرع إليك به ب : أسرع إليك ك ، أسرع (فان فلوتن) — ظننتك ب — (١٨) وسمناً (فان فلوتن)

القوم ، ويسىء المؤاكلة ، ويعرف فوق الحق ؟ قال : وما عرفتَ علّته ؟ قلت : لا والله . قال : الخِوان خِوانه ، فهو يريد أن يدسّمه ، ليكون كالدبغ له . ولقد طلّق امرأته — وهى أمّ أولاده — لأنه رآها غَسَلت خواناً له بماء حارّ ، فقال لها : هلاّ مسحتِه .

وقال أبو نُواس : كان معنا فى السفينة — ونحنُ نريد بَغداد — رجلٌ من أهل خراسان ، وكان من عُقلائهم وفقهائهم* . فكان* يأكل وحده . فقلت له : لم تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ فى* هذا الموضع مسألة : إنما المسألة على من أكلَ معَ الجماعة ، لأنّ ذلك هو التكلُّف . وأكلى وحْدى هو الأصل وأكلى مع غيرى زيادة فى الأصل .

وحدّثنى إبراهيم بنُ السِّندىّ** قال : كان على رَبض* الشاذَرْوَان** شيخ لنا ، من أهل خراسان . وكان مصححاً بعيداً من الفساد ومن الرشا ومن الحكم بالهوى ، وكان حَفيًّا جدًّا* ، وكذلك كان فى إمساكه وفى بخله وتدنيقه فى نفقاته ، وكان لا يأكل إلا ما لا بدّ منه ولا يشرب إلا ما لا بدّ له* منه . غير أنه إذا* كان فى غَداة كلّ جُمعة حمل معه منديلاً* فيه جَرذقتان** ، وقِطع لحم سِكْباج مبرّد ، وقطع جبن ، وزيتونات ، وصرّة فيها ملح ، وأخرى فيها أشنان ، وأربع بيضات ليس منها بدّ ، ومعه خِلال . ومضى وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ ، وينظر* موضعاً تحت شجرة وسط خضرة وعلى ماء جار . فإذا وجد ذلك جلس ، وبسط بين يديه المنديل ، وأكل من هذا مرّة ومن هذا مرّة . فإن وجد قيِّم ذلك البستان رمَى إليه بدرهم ، ثم قال : اشْترِ لى بهذا ، أو أعطنى بهذا ، رُطَباً — إن كان فى

(٥) وفهمائهم (فان فلوتن) — وكان (فان فلوتن) — (٦) من ب — (٩) ربض ، صححنا : ربع ك — (١١) جذبا ب — (١٢) [له] ب — [إذا] (فان فلوتن) — (١٣) منديل ك ب — (١٥) [وينظر] ك ، وطلب (فان فلوتن) .

(٤ — ٧) « وقال أبو نواس . . . التكلف » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٠ ، العقد الفريد ٤ : ٢٣٠ ، ط الأزهرية .

زمان الرطب — أو عنباً — إن كان فى زمان العنب — ويقول له : إيّاك إيّاك أن تحابينى ، ولكن تَجَوَّدْ لى ، فإنك إن فعلت لم آكله ولم أعُد إليك . واحذر الغَبن فإن المغبون لامحمودٌ ولا مأجور* . فإن أتاه به أكل كلّ شىء معه ، وكل شىء أتى به ، ثم تخلّل وغسل يديه ، ثم تمشّى مقدار مائة خُطوة . ثم يضع جنبه ، فينام إلى وقت الجمعة . ثم ينتبه فيغتسِل ، ويمضى إلى المسجد . هذا كان دأبه كلّ جمعة .

قال إبراهيم : فبينا هو يوماً من أيامه يأكلُ فى بعض المواضع ، إذ مرّ به رجل فسلم عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال* : هلمّ عافاك الله . فلما نظر إلى الرجل قد انثنى راجعاً ، يريد أن يطفُر الجدول أو يعبر النهر* ، قال له : مكانك ، فإنَّ العجلة من عمل الشيطان . فوقف الرجل ، فأقبل عليه الخُراسانىّ وقال* : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن أتغدّى . قال : ولم ذاك* ؟ وكيف طمِعت فى هذا ؟ ومَن أباح لك مالى ؟ قال الرجل : أوَليسَ قد دعوتنى ؟ قال : ويْلك ، لو ظننتُ أنك هكذا أحمقُ ما رددْتُ عليكَ السلام . الآيين* فيما نحن فيه أن تكونَ،إذا كنتُ أنا الجالس وأنتَ المار ، أن تبدأ أنتَ فتسَلِّم* ، فأقولُ أنا حينئذ مجيباً لك : وعليكم السلام . فإن كنتُ لا آكلا* شيئاً سكتُّ أنا وسكتَّ أنت ، ومضيتَ أنت وقعدتُ أنا على حالى . وإن كنتُ آكلُ فها هنا آيين* آخر ، وهو أن أبدأ أنا فأقول : هلمّ ، وتجيبُ أنت فتقول : هنيئاً . فيكون كلام بكلام ، فأما كلامٌ بفَعال وقولٌ بأكل فهذا ليس من الإنصاف ، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرًا ، قال : فورد على الرجل شىء لم يكن فى حِسابه .

فشهر بذلك فى تلك الناحية ، وقيلَ* له : قد أعفينا* من السلام ومن تكلّف

---

(٧) قال له ب — (٨) يريد أن يعبر النهر ب ؛ أو يعدى النهرك — (٩) فقال ب — (١٠) ولم ذا ب ، ولم ذلك (فان فلوتن) — (١٢) الأحسن ب — (١٣) بالسلام ب — [لا] آكل ب — (١٥) وجه ب — (١٩) وقال ب — أعفيناك ب .

الردّ . قال : ما بى إلى ذلك حاجة ، إنما هو أن أعفى أنا نفسى من « هـلمّ » ، وقد استقام الأمر .

ومثلُ هذا الحديث ما حدثنى به * محمد بن يسير * عن والٍ كان بفارس ، إما أن يكونَ خالداً خُوَمَهْرَوَيْهِ * أو غيرَه ، قال :

بينا هُوَ يوماً فى مجلس ، وهو مشغول بحسابه وأمره ، وقد احْتَجَب بجُهده * ، إذ نَجم شاعرٌ من * بين يديه ، فأنشده شعراً مدحه فيه وقرّظه ومجّده . فلمّا فرَغ قال : قد * أحسنتَ . ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطه عشرةَ آلاف درهم . ففرِح الشاعر فرحاً قد يُستطار له * ، فلما رأى حاله قال : و إنى لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقِع ؟ اجعَلها عشرين ألفَ درهم . فكاد الشاعرُ يخرجُ من جِلده . فلمّا رأى فرحَه قد أضعف * ، قال : و إن فرحك ليتضاعفُ على قدر تضاعف القول ؟ أعطه يا فلان أربعين ألفاً . فكاد الفرحُ يقتلُه .

فلمّا رجعتْ إليه نفسُه قال له : أنتَ — جُعلتُ فِداك — رجل كريم ، وأنا أعلمُ أنك كلما رأيتَنى قد ازددتُ فرحاً زدتَنى فى الجائزة ، وقبولُ هذا مِنك لا يكونُ إلاّ من قلّة الشكر * . ثمّ دعا له وخرج .

قال : فأقبلَ عليه كاتبُه فقال : سُبحان الله ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهماً ، تأمرُ له بأربعين ألف درهم ؟ قال : و يْلكَ ! وتريد أن تعطيَه شيئاً ؟ قال : * ومِن إنفاذ أمرك بدّ * ؟ قال : يا أحمق ، إنما * هذا رجلٌ سرَّنا بكلام ، وسررناه بكلام . هو حينَ زعمَ أنّى أحسنُ من القمر ، وأشدّ من الأسد ، وأن لسانى أقطعُ من السيف ، وأن أمرى أنفذُ من السِّنان جعلَ * فى يدى من هذا شيئاً أرجعُ به إلى بيتى ؟ ألسنا * نعلمُ أنه قد

---

(٣) بشير ك ب — (٤) خالد أخو مهرويه ك ب (فان فلوتن) (٥) بحجره (مرسيه) — (٦) [من] بين ب — [قد] ب — (٨) فرحاً شديداً ب — (٩) تضاعف ب — (١٤) الشكر صححنا : الشكر له ، ك ب — (١٦ — ١٧) ولم أمرت له بذلك ب — (١٧) إن ب — (١٩) هل جعل ب — [ألسنا] نعلم ب

كذبَ ؟ ولـكنه قد سرّنا حين كذبَ لنا ، فنحنُ أيضاً نسرُّه بالقَول ونأمر له بالجوائز ، وإن كان كذِباً ، فيـكون كذبٌ بكذب وقولٌ بقول . فأمّا أن يكون كذبٌ بصدق وقول بفعل ، فهذا هو الخسران المبين * الذى سمعتَ به . ٣

ويقالُ : إن هذا المثلَ الذى قد جرى على ألسِنة العوامّ من قولهم : ينظر إلىّ شَزْراً كأنّى أكلتُ اثنين وأطعمتُه واحداً ، إنما هو لأهل مرو .

قال : وقال المروزى : لولا أنّى أبنى مدينة لبَنَيْتُ آريًا لدابتى . ٦

قال : وقلتُ لأحمدَ بن هشام** ، وهو يبنى دارَه ببغداد : إذا أراد اللهُ ذَهاب مال رجل سلّط عليه الطين والماء . *قال: ومايصنع بذكر الطين والماء ؟ إنما إذا أراد الله ذهاب مالِ رجلٍ جعلَه يرجو الخلف ، لا والله إن* أهلَكَ الناسَ ولا أقفرَ بُيُوتهم ، ولا ترك ٩ دورهم بلاقع ، إلاّ الإيمان بالخلف ، *وما رأيتُ جُنَّة قط أوقى من اليأس*

قال : وسمع رجلٌ من المراوزة الحسنَ وهو يحثّ الناس على المعروف ، ويأمرُ بالصدقة ، ويقول : ما نقصَ مال قط من زكاة . ويعدهم * سرعةَ الخلَف . فتصدّق * بمالِه كلّه ١٢ فافتقر ، فانتظرَ سنة وسنة ، فلمّا لم * يرَ شيئاً بكر * على * الحسن ، * فقال : حسنٌ * ما صنعتَ بى ؟ ضمنتَ لى الخلَفَ ، فأنفقتُ على عِدتك ، وأنا اليومَ مذ كذا وكذا سنةً أنتظرُ ما وعدتَ ، لا أرى منه قليلا ولا كثيراً . هذا يحلُّ لك ؟ اللصُّ كان يصنع بى ١٥ أكثرَ من هذا ؟

والخلفُ يكون معجَّلا ومؤجَّلا . ومن تصدَّق وتشرّط الشروط استحقَّ الحِرمان . ولو كان هذا على ما توهَّمه المَرْوَزىُّ لـكانت المحنة فيه ساقطة ، ولترك الناسُ التجارة ، ١٨ * ولما بقىَ فقيرٌ ، ولذهبت * العبادة .

---

(٣) [المبين] ك – (٦) [قال . . . لدابتى] ب – (٨) [قال . . . إنما] ك – (٩) والله ما ب – (١٠) [وما . . . اليأس] ب – (١٢) ويعده ب – فتصدق < المروزى > ب – (١٣) فلم ير ب – فبكر إلى ب – وقال انظر ب – (١٩) ولم يبق فقير وذهبت ب

(ص ٢٦ : ٣ – ٢٧ : ٢) « ومثل . . . بكذب » كتاب البخلاء للخطيب البغدادى ، ورقة ٣٦ ، مخطوطة المتحف البريطانى .

وقيل : أصبح ثُمامة شديدَ الغمِّ حين احترقت داره . وكان كلَّما دخلَ عليه إنسان قال : الحريقُ سريعُ الخلَف . فلما كثر ذلك القولُ منهم ، قال : " فأستحرق الله " . اللهم إنى أستحرقُك فأحرِق كل شىء لنا .

وليس هذا الحديثُ من حديثِ المراوزة ، ولـكنا ضمَمناه إلى ما يشاكله .

قال سَجّادة* ، وهو أبو سَعيد سجادة : ناسٌ من المراوزة إذا لَبِسوا الخِفاف فى الستَّة الأشهر التى لا ينزَعون فيها خفافهم ، يمشون على صُدور أقدامهم ثلاثة أشهر ، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثةَ أشهر حتى يكون* كأنهم لم يلبسوا خِفافهم إلا ثلاثة أشهر ، مخافةَ أن تنجرد نِعال خفافهم أو تنقَب* .

حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام ، عن جاره* المروزى : أنه كان لا يلبس خفًّا ولا نعلا إلى أن يذهبَ النبق اليابس ، لـكثرة النوى فى الطريق والأسواق . قال : ورآنى مرةً مَصَصْتُ قصبَ سكّر ، فجمعتُ ما مصصت ماءه لأرمىَ به ، فقال : إن كنت* لا تنوّر لك ولا عيال عليك* ، فهبْه لمن له تنوّر وعليه عيال* . وإياك أن تعوِّد نفسك هذه العادة فى أيام خفَّة ظهرك ، فإنك لا تدرى متى يأتيك العيال* .

---

(٢) [فاستحرق الله] ب — (٧) يكونوا ب — (٨) تنتقب ب — (٩) حار ح عن ب — (١٢) كان ب — ولالك عيال ب ، ولا عيال (فان فلوتن) — و [عليه] عيال ب — (١٣) ما يأتيك العيال ك ، ما يأتيك من العيال (فان فلوتن) .

(١ — ٢) « أصبح . . . الله » البيان والتبيين ٢ : ٢٥٣ ، ط مصطفى محمد ، ١٩٣٢ م

قصة أهل البصرة من المسجديّين

قال أصحابُنا من المسجديين* :

اجتمع ناسٌ فى المسجد ، ممن يَنْتَحل الاقتصاد فى النفقة ، والتشمير* للمال ، من أصحاب الجمع والمنع . وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذى يجمع على التحابّ ، وكالحِلف الذى يجمع على التناصر وكانوا إذا التقَوا فى حِلَقهم* تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارَسوه ، التماساً للفائدة ، واستمتاعاً بذكره .

فقال شيخٌ منهم :

ماء بئرنا ـ كما قد علمتُم ـ مالحٌ أُجاج ، لايقرَبه الحمار ولا تُسيغه الإبل وتموتُ عليه* النخل ، والنهرُ منا بعيد وفى تكلف العَذب علينا مؤونة . فكنّا نمزجُ منه للحِمار ، فاعتلّ منه* وانتقض علينا من أجله ، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذبَ صِرفاً . وكنت أنا والنعجة* كثيرًا مانغتسلُ بالعذب مخافة أن يعترىَ جلودَنا منه مثلُ ما اعترَى جوفَ الحِمار . فكان ذلك الماء العذبُ الصافى يذهب باطلاً . ثم انفتحَ لى فيه بابٌ من الإصلاح ، فعمِدتُ إلى ذلك المتوضّأ ، فجعلت فى ناحية منه حُفرة ، وصَهرجتها وملستها ، حتى صارت كأنها صخرةٌ منقورة ، وصوّبت إليها المسِيل فنحنُ الان إذا اغتسَلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شىء . ولولا التعبد لكان جلدُ المتغوِّط أحقَّ بالنَّتْن* من جلدِ الجُنب ، فمقاديرطيبِ* الجلود واحدة ، والماء على حاله . والحِمار أيضاً لاتقزُّز* له من ماء الجنابة ، وليس علينا حرجٌ فى سَقيه منه . وما علمنا أنّ كتاباً حرّمه ولا سُنَّة نَهَت عنه فريحنا هذه منذ أيام ، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال* .

* قال القوم : هذا* بتوفيق الله ومَنِّه

---

(١) من المحدثين ك ، [من المسجديين] ب — (٢) [من المسجديين] ب — (٣) التشمير ، صححنا . التميز ك ، التمير ب — (٥) حلقة ب — (٨) وتموت منه ب — (١٠) عنه ك — (١١) والمرأة ب — (١٥) بالبتر ب (١٦) — طب ب — لا يتقذر من ب — (١٩) مال القوم وهذا ك

فأقبل عليهم شيخٌ فقال :

هل شَعَرتم بموتِ مريم الصنَّاع *؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد ، وصاحبة إصلاح.

قالوا : فحدِّثنا عنها . قال : نوادرُها كثيرة وحديثُها طويل، ولـكنى * أخبركم عن واحدة فيها كفاية . قالوا : وما هى ؟ قال :

زوَّجتْ ابنَتها ، وهى بنتُ اثنَتى عشرة سنة ، فحلَّتها الذهبَ * والفضةَ وكسَتها المروىَّ والوَشْى والقزَّ والخزَّ وعلَّقت المعصفرَ ، ودقَّت الطيب ، وعظَّمت أمرها فى عين الختَن *، ورفعَت من قدرها عند الأحماء . فقال لها زوجُها أنى لك * هذا يا مريم ؟ قالت : هو من عندِ الله . قال : دعِى عنك الجُملة وهاتى التفسير ، والله ما كنتِ ذا * مال قديماً ولا ورثتِه حديثاً ، وما أنتِ بخائنةٍ فى نفسك ولا فى مال بعلك * ، إلاَّ أن تـكونى قد وقعتِ على كنز . وكيف دار * الأمر ، فقد أسقطتِ عنى مؤنة وكفيتِنى هـذه النائبة . قالت : اعلمْ أنى منذُ يوم ولدتُها إلى أن زوَّجتُها كنتُ أرفع من دقيق كل عَجنة حَفنة ، وكنَّا — كما قد علمتَ — نخبزُ فى كل يومٍ مرَّة، فإذا اجتمع من ذلك مكُّوكٌ * بعتُه . قال زوجُها * ثبَّت الله رأيَك وأرشدك ، ولقد * أسعد اللهُ من كنت له سَكَناً ، وبارك لمن جُعلتِ له إلفاً . * ولهذا وشِبهه قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : من الذوْد إلى الذوْد إبل * . وإنى لأرجو أن يخرُج ولدكِ على عِرقك الصالح ، وعلى مذهبِك المحمود . وما فرَحى بهذا منكِ بأشدَّ من فرَحى بما يثبِّت الله بكِ فى عَقبِى من هذه الطريقة المرضيَّة.

فنهضَ القوم بأجمعِهم إلى جِنازتها ، وصلَّوا عليها . ثم انـكفئوا * إلى زوجها فعزَّوه على مصيبته . وشاركوه فى حزنه .

---

(٢) الصباغة ب — (٣) ولكن ب — (٥) بالذهب ب — (٧) الخلق ب — أنى (لك) لك — (٨) ذا ك ب : ذات (فان فلوتن) — (٩) مال فعلك أن ب — (١٠) هذا ب — (١٣) فقال — لها — زوجها ب — فقد ب (١٤ — ١٥) (ولهذا . . . إبل) ب — (١٧) رجعوا ب —

(١٤—١٥) « من الذود . . . إبل » مجمع الأمثال للميدانى ١ : ٢٨٨ ، لسان العرب ٤ : ١٤٨ وهو فيهما ليس حديثاً ، بل مثلا . ونصه فيهما : « الذود إلى الذود إبل ».

ثم اندفع شيخٌ منهم فقال :

يا قوم لا تحقروا صغار الأمور ، فإن أوّل كلّ كبير صغير ، ومتى شاء * اللهُ أن يعظم صغيراً عظّمه وأن يكثّر قليلاً كثره . وهل بيوت الأموال إلاّ درهَم على درهَم ** ؟ وهل الدرهَم * إلّا قيراط إلى جنب قيراط ** ؟ أو ليس * كذلك رملُ عالج وماء البحر ؟ وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلّا بدرهَم من ههنا * ودرهَم من ههنا . * قد رأيتُ صاحبَ سَقَط قد اعتقد مائة جَريب فى أرض العرب . ولربّما رأيته * يبيعُ الفُلفل بقيراط والحِمّص بقيراط ، فأعلمُ * أنه لم يربَحْ فى ذلك الفلفل إلا الحبّة ** والحبّتين من خَشَب * الفلفل ، فلم يزل يجمعُ من الصغار الكبار ، حتى اجتمع ما اشترى به مائةَ جريب .

ثم قال : اشتكيتُ أياماً صدرى ، من سُعال كان أصابنى . فأمرنى قومٌ بالفانيذ ** السكرى ، وأشارَ علىّ آخرون بالخزيرة تتّخذ من ** النشاشتج * والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك . فاستثقلتُ المؤنة وكرهت الكُلفة ورجوتُ العافية . فبينا أنا أدافع الأيام إذ قال لى بعضُ الموفقين : عليك بماء النُّخالة ، فاحسُه حارًّا . فحسَوْت ، فإذا هو طيّب جدًّا ، وإذا هو يعصِم * . فما جعتُ ولا * اشتهيتُ الغَدَاء فى ذلك اليوم إلى الظهر . ثم ما فرغتُ من غَدائى وغسل يدى ، حتى قاربت العصر . فلما قَرُبَ وقتُ غدائى من وقتِ عشائى، * طويت العَشاء وعرفت * قصدى .

فقلتُ للعجوز : لم لا تطبخين * لعيالِنا فى كل غداة نخالة ؟ فإن ماءها جِلاءٌ للصدر وقُوتها غِذاء وعِصمة ، ثم تجففين بعدُ * النخالة ، فتعود كما كانت ، فتبيعينَهُ إذا اجتمع * بمثل الثمن الأول ، ونكون قد ربحنا فضلَ ما بين الحالين . قالت * : أرجو أن يكون الله قد

---

(٢) أراد ب – (٤) الذهب ك – وليس ك – (٥) هنا ب – (٥ – ٦) وقد رأيت صاحب لى أخذ جراب فيه فلفل وحبوب فرأيته ب – (٧) فعلمت ب – حساب ب – (١٠) النشا ب – (١٣) يعصم < جداً > ب–وما ب– (١٥) [طويت العشاء] وحرفت ب – (١٦) تطحنين ك – (١٧) بعد < ذلك > ب – الجميع ك – (١٨) فقالت ب

جمعَ لكَ* بهذا السُّعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاحُ بَدَنك وصلاحُ معاشك .

وما أشك أن تلك المشورَةَ كانت من التوفيق .

قال القوم : صدقتَ . مثلُ هذا يُكتسبُ بالرأى ، ولا يكون إلّا سماوياً.

ثم أقبل عليهم شيخٌ آخر* فقال :

كنا نلقى من الحرَّاق والقدَّاحة جَهداً ؛ لأن الحجارة كانت — إذا انكسرت حروفُها واستدارت — كلت ولم* تقدح قَدحَ خير* ، وأصلدت فلم تور . وربما أعْجَلنا المطر والوَكف . وقد كان الحجرُ أيضاً يأخذُ من حروف* القدَّاحة حتَّى يدَعها كالقوس ، فكنت أشترى المرقشيثا* بالغَلاء والقدَّاحةَ الغليظةَ بالثمن الموجِع . وكان علينا أيضاً فى صَنعة الحرَّاق وفى معالجة العُطْبَة* مؤنة، وله ريحٌ كريهة . والحراق لا يجىء من الحرق المصبوغة ، ولا من الخرق الوسِخة، ولا من الكتَّان، ولا من الخلقان . فكنا نشتريه بأغلى الثمن . فتذاكرنا منذ أيامٍ أهلَ البدو والأعراب ، وقدحَهم النار بالمرْخ والعَفار ، فزعم لنا صديقُنا الثورى ، وهو — ما علمت — أحدُ المرشدين : أن عراجين الأعذاق تنوبُ عن ذلك أجمع ، وعلّمنى كيف تعالَج . ونحن نُؤتى بها من أرضنا بلا كلفة . فالخادم اليوم لا تقدَحُ ولا تُورِى إلاَّ بالعُرجُون .

قال القومُ : قد مرّت بنا اليومَ فوائد كثيرة ، ولهذا ما قال الأول* : مذاكرةُ الرجال تلقَح الألباب .

---

(١) [لك] ك — (٥) [آخر] ك — (٧) فلم ب — [قدح خير] ب — (٨) حرف ب — (١٠) العطنه ك ب ، القطنة (فان فلوتن) — (١٦) ولهذا قال الأولون ب

(٩ ص٣١—٢ص٣٢) « ثم قال . . . معاشك» انظر العقد الفريد ٦ : ١٧٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١٦ — ١٧) « مذاكرة . . . الألباب » البيان والتبيين ١ : ١٩ ، ط مصطفى محمد ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٤ ، كتاب المعلمين للجاحظ (مختارات من رسائل الجاحظ ورقة ١٠) مخطوطة المتحف البريطانى

ثم اندفع شيخٌ منهم فقال :

لم أر فى وَضع الأمور مواضعَها وفى توفيتها غاية حُقوقها ، كمعاذةَ العنبرية . قالوا : وما شأن * معاذةَ هذه ؟ قال ·

أهدى إليها العامَ ابنُ عمٍّ لها أُضحيّة . فرأيتُها كئيبةً حزينة مفكّرة مُطرِقة ، فقلتُ لها : مالكِ يامُعاذة ؟ قالت أنا امرأة أرْملة وليس لى قيّم * ، ولاعهد لى بتدبير لحم الأضاحى. وقد ذهب الذين كانوا يدبِّرونه ويقومون بحقِّه . وقد خفتُ أن يضيعَ بعضُ هذه الشاة ، ولستُ أعرفُ وضعَ جميع أجزائها فى أماكنها . وقد علمتُ أن الله لم يخلُق فيها ولا فى غيرها شيئاً لامنفعة فيه . ولكن المرء يعجز لا محالة . ولستُ أخاف من تضييع القليل إلا أنه يُجرُّ تضييع * الكثير .

أما القرنُ فالوجهُ فيه معروف ، وهو أن يُجعلَ منه * كالُخطاف ، ويسمّر فى جِذع من أجذاع * السقف ، فيعلّق عليه الزُّبُل والكيران ، وكل ما خيفَ عليه من الفأر والنمل والسنانير وبناتِ وَردان والحيّات وغير ذلك . وأما المُصران فإنه لأوتار المِندفة * ، وبنا إلى ذلك أعظمُ الحاجة . وأما قِحف الرأس واللَّحيان * وسائرُ العظام فسبيله أن يُكسَر بعد أن يُعرَق ، ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدسم كان لِلْمِصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك ، ثم تؤخذُ تلك العظام فيوقَدُ بها ، فلم يرَ الناسُ وقوداً قطُّ أصفى ولا أحسنَ لَهَباً منه . وإذا كانت كذلك * فهى أسرعُ فى القدر ، لقلّة ما يخالطها من الدخان . وأما الإهابُ فالجلدُ نفسه جِراب . وللصوف وجوهٌ لا تُعد * . وأما الفرْثُ والبعر فحطَب إذا جفف عجيب .

ثم قالت : بقى الآن علينا الانتفاعُ بالدم . وقد علمتُ أنّ الله — عزّ وجلّ — لم يحرِّم من الدم المسفوح إلّا أكلَه وشُربه ، وأن له مواضعَ يجوز فيها ولا يُمنع منها ، وإن أنا لم

---

(٣) ما كان من أمر ب — (٥) زوج ب — (٩) [تضييع] ب — (١٠) منه ، صححنا : فيه ك ؛ [منه] ب — (١١) أجذاع ، صححنا : جذاع ك ب — (١٢) مندقة ب — (١٣) واللحيين ب — (١٦) هكذا ب — (١٧) لا تدفع ك .

أقعْ على علم ذلك حتَّى يوضَع مَوْضِعَ الانتفاعِ به ، صار * كيّة فى قلبى وقذًى فى *عينى، وهمًّا لا يزالُ يعودنى .

قال * : فلم أَلبثْ أن رأيتُها قد طلّقت وتبسّمت . فقلتُ : ينبغى أن يكونَ قد انفتح لكِ باب الرأى فى الدم . قالت : أجل ذكرتُ أنّ عندى قدوراً شاميّة جُدُداً . وقد زعموا أنه ليسَ شىء أدبغَ ولا أزيدَ فى قوّتها من التلطيخ بالدم الحارّ الدسِم . وقد استرحتُ الآن ، إذ وقع كلُّ شىء موقِعه .

قال : ثم لقيتُها بعدَ ستة أشهر ، فقلتُ لها : كيف كان قديدُ تلك * ؟ قالت بأبى أنت ! لم يجئ وقتُ القديد بعدُ . لنا فى الشَّحم والأليـة والجنُوب والعظم المعرق وفى * غير ذلك مَعاش . ولكلّ شىء إبَّان .

فقبضَ صاحبُ الحمارِ والماء * العذب قَبضة من حصى ، ثم ضرب * بها الأرض ، ثم قال * : لا تعلمُ أنك من المسرفين ، حتى تسمعَ بأخبار الصالحين .

---

(١) كان صار (فان فلوتن) – وبدا بين ك ، وقذاء فى ب – (٣) [قال] ك – (٧) تلك < الشاة > (فان فلوتن) – (٨) [فى] (فان فلوتن) – (١٠) و < صاحب > الماء ب – وضربا ب – (١١) قالوا ب .

قصة زبيدة بن حميد

وأما زبيدةُ بنُ حُميد** الصَّيرفيّ ، فإنه استَسلف مِن بقّال كان على باب داره
دِرهمين وقيراطاً ، فلمّا قَضاه بعد ستّة أشهر ، قضَاه درهمين وثلاثَ حبّات شعير . فاغتاظ* ٣
البقال ، وقال* : سبحانَ الله ! أنتَ ربُّ مائة ألفِ دينار ، وأنا بقّال لا أملك مائة فَلْس ،
وإنّما أعيشُ بكدّى* وباستِفضال الحبّة والحبّتين . *صاحَ على بابك جمّال ، وحمال* ،
ولم يحضُرك <شيء> ، وغابَ وكيلُك ، فنقدتُ عنك درهمين وأربعَ شعيرات ، ٦
فقضيتنى بعد ستّة أشهر دِرهمين وثلاثَ شَعيرات ! فقال زبيدةُ : يا مجنون أسلفتَنى
فى الصيف فقضَيتُك فى الشتاء ، وثلاثُ شعيراتٍ شِتويّة نديّة ، أرزنُ من أربع
شعيراتٍ يابسه صيفيّة . وما أشكّ أنّ معك فضلًا . ٩

وحدثنى أبو الإصبغ بن ربعىّ قال :

دخلتُ عليه بعد أن ضَرَب غِلمانه بيوم ، فقلتُ له : ما هذا الضرب المبرِّح ، وهذا
الخُلقُ السيّئ ؟ هؤلاء غلمانٌ ، ولهم حُرمة وكفاية وتربية ، وإنما* هم ولَد . هؤلاء ١٢
كانوا إلى غير هذا أحوج . قال : إنّكَ لستَ تدرى أنهم أكلوا كلّ جُوارِشْنٍ**
كان عندى .

قال أبو الإصبغ . فخرجتُ إلى رئيس غِلمانه فقلتُ : ويلك ! مالكَ وللجُوارشن ؟ ١٥
ومارَغبتُك فيه ؟ قال : جُعلتُ فداك ! ما أقدر أن أكذِّبَك من الجوع إلا وأنا متّكِئ .

---

(٣) اغتاظ ك — (٤) فقال ك — (٥) بكذا ب — (٥) وإذا بصائح على بابك معه حمال وجمال ب ، صاح على بابك حمال والمال لم . . . (فان فلوتن) . وانظر نص الخطيب : « وإنما صاح على بابك جمال وحمال » . — (٦) ولم يحضرك وغاب وكيلك ك ب ، فلم يحضرك شيء وغاب وكيلك (الخطيب) — (١٢) [هم . . . هؤلاء] ب

(٢ — ٩) وأما زبيدة . . . فضلا » كتاب البخلاء للخطيب البغدادى ، ورقة ٢٣ ، العقد الفريد ٦ : ١٧٨ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الجوارِشن** ما أَصنَعُ به ؟ هو نفسُه ليس يشبَع ، ولا يَحتاجُ إلى الجوارِشْن ، ونحن الذين إنّما نسمعُ بالشبع سَمَاعاً من أفواه الناس ، ما* نصنع بالجوارشن ؟

واشتدّ على غِلمانه فى تصفِية المـاء ، وفى تبريده وتزميله ، لأصحابه وزوّاره . فقال له غازى أبو مُجاهد : جُعلتُ فِداك ! مُر بتزميل الخبزِ و بتـكبيره ، فإنّ الطعام قبلَ الشراب.

وقال مَرَّة : ياغلام هاتِ خِوان النرْد . وهو يريد تختَ النرد . فقـال له غازى : نحن إلى خِوان الخبز أحوج .

وسكِر زُبيدةُ ليـلة ، فـكسَا صديقاً له قميصاً ، فلمـا صار القميصُ على النديم خاف البَدَوات . وعلم أن ذلك من هَفَوات السكرِ . فمضى من ساعته إلى منزله ، فجعله برنـكانا** لامرأته* . فلمّا أصبَح ، سأل عن القميص ، وتفقّدَه . فقيل له : إنّك قد كَسَوته فلاناً . فبعثَ إليه ، ثم أقبل عليهِ ، فقال : ما* علمتَ أن هبـةَ السكران وشراءه و بيعَه وصَدَقتَه وطلاقَه لا يجوز ؟ و بعد فإنى أكره ألّا يكونَ لى حَمْد ، وأن يُوَجِّه* الناس هذا منى على السُّـكر ، فرُدَّه علىّ حتى أهبَـه لك صاحِياً عن طيب نفس ، فإنى أكره أن يذهب شىء من مالى باطلًا . فلمـا رآه صمّم أقبل عليه فقال : ياهناه ! إن النـاسَ يمزَحون و يلعبون ولا يؤاخَذون بشىء من ذلك ، فردَّ القميصَ عافاك الله . قال له الرجل : إنّى والله قد خفتُ هـذا بعينه ، فلم أضَع جنبى إلى الأرض حتى جيَّبتـه لامرأتى . وقد زدتُ فى الـكمَّين وحذفتُ المقاديم . فإن أردت بعد هـذا كلِّه أن تأخذه فخذه . فقال : نعم آخذه ، لأنه يصلحُ لامرأتى كما يصلح لامرأتك . قال : فإنه عندَ الصبّاغ . قال : فهاتِه . قال : ليس أنا أسلمتُه إليه . فلمّا علم أنّه قد وقَع ، قال : بأبى وأمى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حيثُ يقول : جُمع الشرّ كله فى بيت ، وأغلِقَ عليه ، فـكان مفتاحُه السكر .

---

(٢) فا ب — (٩) عند امرأته ب — (١٠) أما ب — (١١) ترى ب

قصة ليلى الناعطية

وأمّا ليلى الناعطية ، صاحبة الغالية من الشيعة ، فإنها ما زالت ترقَع قميصاً لها وتلبسُه ، حتى صار القميصُ الرِّقاع ، وذهبَ القميصُ الأول . ورفَت كِساءها ولِبسته[٥] ، حتَّى صارت لا تلبسُ إلا الرَّفو ، وذهَبَ جَميعُ الكِساء . وسمعتْ قولَ الشاعر :

البس قميصَك ما اهتَدَيْتَ لجَيْبه ... فإذا أضلّك جيبُه فاستبدِل

فقالت : إنّى إذًا لحرقاء . أنا — والله — أحُوصُ الفتقَ وفتقَ الفتق ، وأرقَع الخرْق وخرْقَ الخرق .

---

(٣) [ولبسته] ب

---

(٥) « البس . . . فاستبدل » العقد الفريد ٦ : ١٩٩ ط لجنة التأليف ، ١٩٤٩ م

قصة وليد القرشى وقصة أبى مازن

ومضيتُ أنا وأبو إسحاقَ النظامُ وعمرُو بن بُحَيْوى ، نريدُ الحديث فى الجبّان ، ولِنتناظر فى شَىء من الكلام . فمررنا بمجلسِ وَلِيدٍ القُرَشى — وكان على طريقنا — فلمّا رآنا تمشّى معنا . فلما جاوزنا الخَندق ، جلسنا* فى فِناء حائطه . وله* ظِلّ شديدُ السواد بارد ناعم ، وذلك لِثِخَن الساتر ، واكتناز الأجزاء ، ولبُعد مسقِط الشمس من أصل حائطه . فطال بنا الحديثُ ، وجَرينا* فى ضُروب من الكلام . فماشعَرنا إلا والنهار قد انتصف ، ونحن فى يوم قائظ . فلمّا* صِرنا فى الرجوع* ، ووجدت مسَّ الشمس ووقعَها على الرأس ، أيقنت بالبِرسام . فقلتُ لأبى إسحاق — والوَليد إلى جَنبى يسمعُ كلامى — الباطِنةُ* منا بعيدَة ، وهذا يومٌ منكَر ، ونحن فى ساعة تذيبُ كل شىء* . والرأىُ أن نميلَ إلى منزلِ الوليد فنَقيلَ فيه ، ونأكل ما حضَر ، فإنه يوم تخفيف* . فإذا أبرَدنا تفرّقنا . وإلّا فهو* الموتُ ، ليس دونه شىء . قال الوليدُ رافعاً صوته : أمّاعلى هذا الوجه لا يكونُ والله أبداً ، فضَعه فى سُويداء قلبك . فقلتُ له : ما هذا* الوجهُ الذى أنكرتَه علينا رحِمَك الله ؟ هل ههنا إلّا الحاجة والضرورة ؟ قال : إنك أخرجتَه مخرَجَ الهُزء . قلتُ : وكيفَ أخرجُه مُخرَجَ الهُزْء ، وحَياتى فى يدك ، معَ مَعرِفتى بك ؟ فغَضِب ونَتَريده من أيدينا ، وفارقنا . ولا والله ما اعتذر إلينا ممّا رَكِبنا به* إلى الساعة *ولم أر منْ يجعَلُ الأسَى حجّةً فى المنع إلّا هو* ، وإلّا* ما كان من أبى مازن إلى ** جَبَل العمّىّ* .

---

(٣) وجلسنا ك ب — حائط له ب — (٥) فجرينا ك ب — (٦) أردنا الرجوع ب — (٨) البلد ب — تذيب الحديد ب — (٩) شديد ب — (١٠) فهذا ب — (١١) فقلت [ما] له هذا الوجه ك — (١٤) مافعل ب — (١٥) [ولم أر . . . هو] ب — وأما ب — (١٦) العمى ، صححنا ، الغمر ك ، [العمى] ب .

وكان جَبلٌ خرج ليلا من موضِع كان فيه ، * فخافَ الطائفَ ، ولم يأمن المستقفى * . فقال : لو دَقَقْتُ البابَ على أبى مازن ، فبتُّ عندَه فى أدنى بيت * أو فى دِهليزه ، ولم ألزِمْه من مؤنتى شيئاً ، حتى إذا انصَدع عمودُ الصبح خرجتُ فى أوائل المدلجين .

فدقّ عليه البابَ دقّ واثِق ودقّ مُدِلّ ودقّ من يخافُ أن يُدرِكه * الطائف أو يقفوَه المستقفى * ، وفى قلبِه * عزُّ الكِفاية * والثقة بإسقاط المؤنة * . فلم يشكّ أبو مازن أنه دقّ صاحبِ هديّة ، فنزل سريعاً .

فلما فَتح الباب * و بصُر بجبل، بصُر بملَك الموت * . فلمّا رآه جَبَل واجِماً لا يُحيرُ كلمة، قال له : إنى خِفتُ معرَّة * الطائف وعجلة المستقفى * فملتُ إليك لأبيتَ عندك . فتساكرَ أبو مازن ، وأراه أن وجُومه إنما كان بسَبَب السُّكر . * فخلّع جوارحَه وخبّل لسانه * ، وقال : سكران والله ، أنا والله سَكران . قال له جَبَل : كُن كيفَ شئتَ . نحنُ فى أيام الفَصْل * ، لا شتاء ولا صَيف ، ولستُ أحتاجُ إلى سَطح فأغنّم عِيالك بالحرّ ، ولستُ أحتاج إلى لِحاف فأكلفَك أن تؤثرنى بالدثار . وأنا كما ترى ثمِل من الشراب ، شبعانُ من الطعام ، ومِن منزِل فلان خرجتُ ، وهو أخصَبُ الناس رَحْلا . و إنما أريد أن تدَعنى أغفِى فى دِهليزك إغفاءةً * واحدة ، ثم أقومُ فى أوائل المبكِّرين. قال أبو مازن — وأرخى عينيه وفكّيه ولسانه ، ثم قال — : سكران ، والله ، أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا ، والله إنْ * أفهمُ ما تقول .

ثم أغلَقَ البابَ فى وجهه ، ودخَلَ * لا يشكّ أن عذره قد وَضَح ، وأنه * قد ألطف النظرَ حتّى وَقَعَ على هذه الحيلة .

---

(١) فخاف العسس ولم يأمن من أحد يتبعه فيضره ب — (٢) أى موضع كان ب
(٤ — ٥) العسس أو أحد يتبعه ب — (٥) من الخوف ما يزيد عن الكفاية ب — [والثقة . . . المؤنة] ب — (٧) ونظر لجبل أبصر به الموت ب — (٨) العسس وخوف أحد يضرنى أو يتبعنى ب — (٩) ففتح فاه وحرك لسانه ب — (١١) الربيع ب — (١٤) غفوه ب — (١٦) ما ب — (١٧) [لا يشك . . . وأنه] ب

و إن وَجَدتم فى هذا الكتاب لحناً ، أو كلاماً غيرَ مُعرَب ، ولفظاً معدولا عن جهته فاعلموا أنّا إنما ترَكنا ذلك لأنّ الإعرابَ يبغِّض * هذا الباب ، ويخرجُهُ من حدّه ** .

٣ إلّا أن أحكىَ كلاماً من كلام متعاقِلِى البخلاء وأشحّاء * العلماء ، كسهل بن هارون ، وأشباهه .

---

(٢) ببعض ب ، ينغص (مرسيه) – [و] يخرجه ب – (٣) وراسخى ب

قصة أحمد بن خلف**

ومن طيّاب* البخلاء أحمدُ بن خَلَف اليزيدى. ترك أبوه فى منزله يوم مات ألفَىْ ألفِ درهم ، وستمائةَ ألف درهم ، وأربعين ومائة* ألف دينار . فاقْتَسَمها هو وأخوه حاتمٌ قبل دفنه ، فأخذ* أحمدُ وحدَه ألفَ ألفٍ وثلاثمائة ألفِ درهم ، وسبعين ألف دينار، ذهباً عَيناً مثاقيلَ وازنة جياداً ، سوى العُروض .

فقلتُ له — وقد وَرِث هذا المال كله— : ما بَطّأ بك الليلةَ ؟ قال : لا والله إلّا* أنى تعشَّيتُ البارحةَ فى البيت . فقلتُ لأصحابنا : لولا أنه بعيدُ العهدِ بالأكل فى بيته، وأنّ ذلكَ غريبٌ منه ، لما احتاج إلى هذا الاستثناء ، وإلى هذه الشَّريطة . وأين يتعشَّى الناس إلّا فى منازلهم ؟ وإنما يقولُ الرجلُ عند مثل هذه المسألة : لا والله إلا أن فلاناً حَبَسنى ، ولا والله إلا أن فلاناً عَزَم علىّ . فأما ما* يستثنى ويشترط ، فهذا ما لا يكونُ إلّا على ما ذكرناه قبلُ .

وقال لى مُبتدئاً مرّة ، عن غيرِ مَشُورة وعن غير سَبَب جرى :

انظُر أن تتّخذ لعيالك فى الشتاء مِن هذه المثلّثة ، فإنها عظيمة البَرَكة كثيرة النزَل* ، وهى تَنُوب عن الغَداء ، ولها نفخة تُغنى عن العشاء . وكلُّ شَىء من الأحساء فهو يُغنى عن طلَب* النبيذ وشُرب الماء . ومن تحسَّى الحارّ عَرِق، والعرقُ يُنْفِض* الجلدويخرج ضرّ* الجوف . وهى تملأ النفسَ* وتمنع من التشهّى . وهى أيضاً تدفئ* ، فتقومُ لك* فى أجوافهم مَقام فحم الكانون من خارج . وحسوُ الحار* يغنى عن الوَقود ، وعن لبس الحشو* .

---

(٢) [طياب] ب — (٣) ومائة وأربعين ب — (٤) وأخذ ك — (٦) [إلا] ب — (١٠) [ما] ك ب — (١٣) الفوائد ب — (١٥) [طلب] ب — ينفض ، صححنا : يسعص ك ، نبيتص ب — ضر ، صححنا : من ك ب — (١٦) < الجوف > والنفس ب — فيقوم ذلك ب — (١٧) وحسو الحار ، صححنا : وحسوا طار ك ، وحسو ب ، وحسو طار (فان فلوتن) — [وعن لبس الحشو] ب

والوقودُ يسوِّد كل شيء وينتنه . وهو سَريع فى الهضم، وصاحبه بعرض حريق، ويذهبُ فى ثمنه المال العظيم . وشرُّ شيء فيه أنَّ مَنْ تعوَّده لم يدفئه شيءٌ سواه . فعليك يا أباعثمان بالمثلثة ، واعلم أنها لا تكونُ إلَّا فى منازِل المَشْيَخَة وأصحاب التجربة . فخُذها من حكيم مجرِّب ومن ناصِح مُشفِق .

وكان لا يفارق مَنازلَ إخوانه . وإخوانهُ *مخاصيبُ مناويب*، أصحاب نفح وترَف وكانوا يَتْحَفّونه ويدلّلونه* ويفكّهونه ويحكمونه ، ولم يشكّوا أنه سيدعوهم مرَّة ، وأن يجعلوا بيتَه نُزهة ونشوة . فلمّا طالَ تغافلهُ ، وطالَتْ مُدافعته ، وعرَّضوا له بذلك فتغافَل ، صرَّحوا له . فلمّا امتنع قالوا : اجعَلْها دَعْوة ليسَ لها أخت . فلمّا بلغ منهُ ومنهُم المجهود، اتَّخذ لهم طُعيّماً خفيفاً شهيًّا مَليحاً ، لا ثمنَ له ، ولا مؤنة فيه . فلمّا أكلوا وغَسَلوا أيديَهم ، أقبل عليهم فقال : أسألكم بالذى لا شيء أعظمُ منهُ ، أنا الساعةَ أيسَرُ وأغنى أوقبل أن تأكلوا طعامى؟ قالوا : ما نشكّ أنك — حينَ كنتَ والطعامُ فى ملكِك — أغنى وأيْسَر . قال : فأنا الساعةَ أقربُ إلى الفقر ، أم تِلك الساعة ؟ قالوا : بل أنتَ الساعةَ أقربُ إلى الفقر . قال : فمن يلومُنى* على دَعوة قومٍ قرَّبونى من الفقر وباعدونى من الغِنى ، وكلّما دعوتهم أكثرَ ، كنتُ من الفقر أقرب ومن الغنى أبعد ؟ ! وفى* قياسه هذا أنَّ من رأْيه* أن يهجُرَ كلَّ من استسقاه شربةَ ماء ، أو تناولَ من حائطه تينة* ومن خليط دابته عوداً .

ومر بأصحاب الحِداء — وذلك فى زَمان التوليد — فأطمعه الزمانُ فى الرُّخْص ، وتحرّكت شهوَتهُ على قَدْرِ إمكانه عندَه . فبعثَ غلاماً له يقالُ له ثَقْف — وهو معروف — ليشترىَ له جَدْيا ، فوقفَ* غيرَ بعيد . فلم يلبثْ أن رَجَع الغلام يُحضر، وهو

(١ — ٢) لعل سياق القول يجعل العبارة هكذا : « والوقود يسود كل شيء وينتنه ، وصاحبه بعرض حريق . والنبيذ سريع فى الهضم ، ويذهب فى ثمنه المال العظيم » — (٥) [مخاصيب مناويب] ب ، ولعل مناويب محرفة عن : متاريب — (٦) ويدلكونه ك — (١٣) على < ترك > دعوة (فان فلوتن) — (١٤ — ١٥) وفى قياس هذا أن من كان له رأى ب — (١٥) سه ك ، لينه ب ، تبنه (فان فلوتن) — (١٩) لعل الأشبه ؛ ووقف

يشير بيده و يومىء برأسه، أن : اذهبْ ولا تَقِف . فلم يبرَحْ . فلمّا دنا منهُ قال : وَيْلَك * ! تُهَرِّبُنى كأنى مطلُوب ؟ قال : هذا طُرفة * . الجدىُ بعشرة . أنت من ذِى البابة ؟ مرّ * الآن ، مرّ مرّ * . فإذا غلامُه يرَى أن من المنكَر أن يُشْتَرى جَدْىٌ بعشرة دراهم ، والجَدْىُ بعشرة إنما ينكَرُ عندَنا بالبصرة ، لكثرة الخير ورُخْص السِّعر . فأمّا فى العساكر * فإن أنكرَ ذلك منكِر ، فإنما ينكرُه من طريق رُخْصه وقلّة ثمنه ، لا لغير ذلك .

* ولا تقولوا الآن : قد والله أساء أبو عُثْمان إلى صديقه ، بل ما تناوله بالسُّوء حتّى بدأ بنفسه . ومَنْ كانت هذه صِفتَه وهذا مذهبَه ، فغير مأمونٍ على جليسه . وأىّ الرجال المهذَّب . هذا والله الشُّنُوع * والتَّبوع والبذاء وقلة الوفاء .

اعلموا أنى لم ألتَمِس بهذه الأحاديث عنه إلّا مُوافقَته وطلبَ * رضاه ومحبّته . ولقد خِفتُ أَن أكونَ عندَ كثير من الناس دَسِيساً مِن قِبَله وكميناً من كمَنائه . وذلك أن أحبَّ الأصحاب إليه ، أبلغهُم قولاً فى إيأَس الناس ممّا قبلَه ، وأجودُهم حَسْماً لأسباب الطمع فى ماله . على أنى إن أحسنتُ بجُهدى ، فسيجعلُ شكرى موقوفاً : فإن * جاوَز كِتابى هذا حُدودَ العراق شَكَر ، وإلّا أمسك . لأن شُهرته بالقبيح عندَ نفسِه فى هذا الإقليم ، قد أغناه عن التنويه والتنبيه على مذهبه . وكيفَ وهو يرى أن سهلَ بنَ هارون وإسماعيل بن غَزوان كانا من المُسرفين ، وأن الثَّوريَّ والكِندىَّ يستوجِبان الحَجْر ؟ و بلغنى أنه قال : لو لم تَعرِفوا من كرامةِ الملائكة على الله إلا أنه لم يبتلِهم * بالنفقة ، ولا بقوْل العِيال : هات هات * لعرفتم حالَهم ومنزلتهم * .

---

(١) < مالك > ويلك ب – (٢) [هذا طرفه] ب ، أطرفه ك – (٢–٣) [مر الآن مر مر] ب – (٥) العشائر ب ، ولعلها : العسكر ، أى عسكر مكرم ، فى أغلب الظن – (٦–١٧) [ولا تقولوا ... ومنزلتهم] ب – (٨) الشيوع ك – (٩) فطلب (فان فلوتن) . (١٢) وإن (فان فلوتن) – (١٦) يبتلها ك – (١٧) هاب [هات] (فان فلوتن) .

طرف شتى

وحدثنى صاحبٌ لى قال :

دخلتُ عَلى فُلانِ بنِ فلان ، وإذا المائدةُ مَوضوعة بعدُ ، وإذا القومُ قد أكلوا ورَفعُوا أيديَهم ، فمددتُ يدى لآكل فقال : أجهزْ على الجرحى، ولا تَعْرِض للأصحّاء. يقولُ : اعرِضْ للدجاجة التى قد نِيل منها ، وللفرخِ المنزوعِ الفَخِذ ، فأمّا الصحيحُ فلا تَعْرِض له . وكذلك الرغيفُ الذى قد نيلَ منه ، وأصابَه بعضُ المرق .

وقالَ لى هذا الرجلُ : أكلنا عنده يوماً ، وأبوه حاضر ، وبُنىٌّ له يجىء ويذهب . فاختلفَ مِراراً ، كلَّ ذلك يرانا نأكل . فقال الصبىّ : كم تأكلون لا أطعم اللهُ بطونكم ! فقال أبوه — وهو جد الصبىّ — ابنى وربّ الكعبة .

وحدّثنى صاحبُ مَسْلَحة بابِ الكرخ ، قال :

قال لى صاحبُ الحمّام ألّا أعجّبك من صالح بن عفان ؟ كان يجىء كلَّ سَحَر ، فيدخلُ الحمّام ، فإذا غبتُ عن إجّانة النورة مسَح عانته وأرفاغه ، ثم يتستّر بالمِئزر ثم يقوم فيغسِله فى غِمار الناس . ثم يجىء بعدُ فى مثل تلك الساعة ، فيَطلِى ساقَيه وبعضَ فَخِذيه ، ثم يجلسُ ويتّزر بالمئزر ، فإذا وَجَدَ غَفلة غَسَله . ثم يعودُ فى مثل ذلك الوقت ، فيمسحُ قطعة أُخرى من جسده . فلا يزال يَطّلى فى كلّ سحَر حتى ذهبَ منّى بطلْية . قال : ولقد رأيتُه وإنّ فى زيق سراويله نورة .

---

(٣) تتعرض ب — (٥) تتعرض ب — (١٠) ما أعجبك ب — [كان] ب — (١٢) بالمنورية ب (١٥) [قال . . . نوره] ب — لوتر ك .

(٢ — ٥) « دخلت . . . فلا تتعرض له » العقد الفريد ٤ : ٢١٧ ، الأزهرية ، ١٩١٣ م ، ٦ : ١٨١ ط لجنة التأليف والنشر .

وكان لا يرى الطبخَ فى القُدور الشاميَّة ، ولا تبريدَ الماء فى الجرار المَذَارية . لأن هذه ترشَح ، وتلك تنشَف .

حدثنى أبو الجهجاه النوشَروانى قال :

حدثنى أبو الأحوصِ الشاعرُ قال : كنَّا نفطِر عند الباسيانى (٤) فكانَ يرفعُ يديه قبلنا ، ويستلقى على فراشه ويقول : إنما نُطْعِمُكمْ لِوَجْهِ الله ، لا نُريدُ مِنْكم جزَاء وَلا شُكوراً (٥-٦) .

(٤) الباسبيانى (فان فلوتن)

(٤ – ٦) حديث الباسيانى : انظر العقد ٤ : ٢١٦ ، الأزهرية ، ١٩١٣ م –

(٥ – ٦) « إنما . . . شكورا » سورة الإنسان : ٩

حديث خالد بن يزيد

وهذا خالدُ بنُ يزيد مولى المهالبة — هوخالَوَيه المُكَدِّى — وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وفى كثرة المال المبالغَ التى لم يَبْلغها أحد .

وكان ينزل فى شِقّ * بنى تميم ، فلم يعرفوه . فوقف عليه ذاتَ يومٍ سائلٌ ، وهو فى مجلس من مجالسهم ، فأدخل يده فى الكيس ليُخرج فلساً — وفُلوس البصرة كبار — فغلِط بدرهم بَغْلى ، فلم يفطن حتى وضَعَه فى يد السائل . فلما فطن استردّه ، وأعطاه الفلسَ . فقيل له : هذا * لا نظنه يحل ، وهو بعدُ * قبيح * . قال : قبيحٌ * عند من؟ إنى * لم أجمع هذا المالَ بعقولكم ، فأفرّقه بعقولكم . ليس هذا من مساكين الدراهم ، هذا من مساكين الفلوس . * والله ما أعرفه إلّا بالفِراسة * .

قالوا : و إنك لتعرفُ المكدِّين * ؟ قال : وكيفَ لا أعرِفهم؟ وأنا كنتُ * * كاجَارَ * فى حَداثة سنِّى . ثم لم يبق فى الأرض مخطرانىّ * ولا مستعرضٌ * * إلا فُقْتُه * ، ولا شحّاذ ولا كاغانى * * ولا بانوان ولا قرسى * ولا عواء * ولا مشعب ولا فلور * * ولا مزيدى ولا * إسطيل * إلا وكان تحتَ يدى . * ولقد أكلتُ الزكورىَ * * ثلاثين سنة * . ولم يبق فى الأرض كعبىّ ولا مكدٍّ * إلا وقد أخذتُ العِرافة عليه * حتى خضَع لى إسحاقُ * * قتال الحر * ، و بنجويه شعر الجمل ، وعمرو القوقيل ، وجعفر كردى كلك * ، وقرن أيره ، وحمّويه عين الفيل ، وشهرام * حمار أيوب ، وسعدويه نائك أمه * .

---

(٤) حى ك — (٧) [لا . . . بعد] ب — < بمثلك > قبيح ب — عندكم وأما أنا فانى ب — (٩) والله < إنى > [ما] اعرفه [الا] بالفراسة ب — (١٠) المكذبين ب — كاجار ، صححنا : كاحار ك ، مكذباً ب ، كاخان (فان فلوتن) — (١١) مخطرا ب — الاقفية (فان فلوتن) — (١٢) قرشى ك ، توشى ب — غرا ب — قلور ك ب — (١٣) [ولا مزيدى ولا اسطيل] ب — (١٣ — ١٤) [ولقد . . . سنه] ب — (١٤) مكدى ك ب — (١٥) كذا فيما نحسب ، فقال المرء ك ، ولم أهتد إلى تحقيق صور هذه الأسماء — (١٤ — ١٦) [حتى . . . أمه] ب — (١٦) كذا ، ولعلها : كله . انظر يتيمة الدهر ٣ : ١٣٨ — ١٣٩ ط الصاوى ١٩٣٤ م (ترجمة أبى الفضل ابن العميد) — كذا ، ولعلها شهريار .

(٢ — ٣) « خالد . . . أحد » معجم الأدباء ١١ : ٤٢ — ٤٣ ، ط دار المأمون .

وإنما أراد بهذا * أن يوئسهم من ماله، حين عرَف حِرصَهم وجشَعَهم * وسوءَ جِوارهم. وكان قاصًّا متكلِّماً بليغاً داهياً ، وكان أبو سليمانَ الأعورُ وأبو سعيدٍ المدائنىّ القاصَّان من غلمانه .

وهو الذى قال لابنه عندَ مَوْته :

« إنى قد تركتُ لك ما تأكله * إن حفظتَه. وما لا تأكله إن ضيّعته . ولما وَرَّثتُك من العُرف الصالح ، وأشهدتُك من صَوَاب التدبير ، وعوَّدتك من عَيْش المقتصدين ، خيرٌ لك من هذا المال . * ولو دفعتُ إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ، ثمّ * لم يكنْ لك معينٌ من نفسك ، لما انتفعتَ بشىء من ذلك . بل يعودُ ذلك النهىُ كلُّه إغراء * لك ، وذلك المنعُ تهجيناً لطاعتك .

قد بلغتُ فى البرِّ منقطَعَ التُّراب ، وفى البحرِ أقصَى مبلغِ السفن . فلا عليكَ ألا ترى ذا القرنين . ودع عنكَ مذاهب ابن شَرْيةَ ** ، فإنه لا يعرفُ إلاَّ ظاهرَ الخبر . ولو رآنى تميمٌ الدارىّ ** لأخَذَ عنِّى صِفةَ الروم . ولأنا أهدَى من القَطا ومن ** دُعيميص * ومن ** رافع المِخَش * إنى قد بتُّ بالقَفر مع الغُول ** وتزوَّجتُ السِّعلاة ، وجاوبتُ الهاتف ، ورغتُ عن الجِنِّ إلى الحِن ، واصطدتُ الشِّقَّ ، وجاوبتُ النَّسناس ، وصَحِبنى الرئىّ * ، وعرَفت خُدَع الكاهن وتدسيسَ العرّاف ، وإلى ما يذهبُ الخطّاط والعيّاف ، وما يقولُ أصحاب الأكتاف ** ، وعرفتُ التنجيم والزَّجر والطَّرْق والفكر **

إنّ هذا المالَ لم أجمعه من القَصَص والتَّكْدية * ، ومن احتيال النهار ومكابَدَة الليل. ولا يُجْمع مثلُه أبداً إلا من مُعاناة ركوبِ البحر ، أو * من عَمَل سلطان ، أو من كيمياء الذهب والفضة ، قد * عرفتُ الرأسَ ** حقَّ معرفته ، وفهمتُ كسر الإكسير ** على

---

(١) وما أراد بهذا إلا ب — وخبثهم ب — (٤) ما لا تأكله ك ب . وانظر رواية ياقوت (معجم الأدباء) — (٧) الحفظة < ان > ك — ولو ، صححنا : وقد ك — وقددفعت بجميع ذلك إليك فعليك بحفظ المال بكل حيلة فإن لم يكن ب — (٩) إغراء ، صححنا : اعتزا ك ب — (١٢) دعميص ك ب — (١٣) المخشرانى ب — (١٥) الرمى ك ، الذى ب — (١٧) الكذب ب — (١٨) ومن ك — (١٩) فقد ب

حقيقته . ولولا علمى بضيق صَدرك ، ولولا أن أكونَ سَبباً لتلف نفسِك ، لعلّمتُك الساعةَ الشيء الذى بلغ به قارون وبه تبنكت خاتون . والله ما يتّسع صدرك عندى لسرٍّ صديق ، فكيفَ مالا يحتملهُ عَزم ولا يتسع له صدر . وخَزْنُ سرّ الحديث ، وحبس كنوز الجواهر ، أهوَنُ من خَزن العلم . ولو كنتَ عندى مأموناً على نفسِك لأجريتُ الأرواحَ فى الأجساد، وأنت تبصر ، إذ كنت لا تفهمه بالوصف ولا تحقّه بالذكر. ولكنى سألقى عليك علم الإدراك ، وسَبك الرخام ، وصَنعة الفسَيْفِساء ، وأسرار السيوف القَلَعيّة ، وعقاقير السُّيوف اليمانيّة ، وعمل الفرعَونى ، وصنعة التلطيف على وجهه ، إن أقامَنى اللهُ من صَرعتى هذه .

ولست أرضاك ، وإن كنتَ فوقَ البنين ، ولا أثِقُ بك وإن كنت لاحقاً بالآباء ، لأنى لم أبالغ فى محنتِك . إنى قد لابست السلاطينَ والمساكين ، وخدمت الخلفاء والمُكدّين ، وخالطت النُّسّاك والفُتّاك ، وعَمرتُ السُّجون كما عمرتُ مجالس الذكر ، وحلبتُ الدهر أشْطُرَه وصادفت دهراً كثير الأعاجيب فلولا أنى دخلت مِن كلّ باب ، وجَريت مع كلّ ريح ، وعَرَفت السرّاء والضرّاء ، حتى مثّلت لى التجاربُ عواقبَ الأمور ، وقرّبتنى من غوامضِ التدبير ، لما أمكننى جمعُ ما أخلّفه لك ، ولا حفظُ ما حبَستُه عليك ، ولم أحمد نفسى على جَمعه ، كما حَمدتُها على حفظه ، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكَيْس . قد حَفظْتُه عليك من فِتنة البناء ومن فِتنة النساء ، ومن فتنةِ الثناء ، ومن فِتنة الرياء ، ومن أيدى الوكلاء ، فإنّهم الداء العَياء .

ولستُ أوصيك بحفظه لفضل حبّى لك ، ولكن بفضل بُغضى للقاضى . إن الله

---

(١) و [لولا] ب — (٢) المشى ب — بلغ بقارون ك ، به قارون < ما بلغ > ب — (٦) اليك ب — الفلاسفة ب (١٠) محنتك (مرسيه) : محبتك ك ب — (١١–١٢) وجربت الدهر [أشطره] ب — (١٣) الخير والشر ب — (١٤) جميع ك ب . (١٥ – ١٦) [لم . . . والكيس] ب — (١٦) الأبناء ب —(١٦ –١٧) [ومن فتنة الثناء] ب — (١٨) بنقاضى ك ، بالتقاضى ب

(ص ٤٧ : ٥ — ص ٤٨ : ١٧) « إنى قد تركت ... العياء » معجم الأدباء لياقوت ٤ : ١٦٩ — ١٧٧ ، ط أمين هندية (١١ : ٤٣ — ٤٧ ، ط دار المأمون) .

— جَلّ ذكره — لم يسلّط القُضاة على أموال الأولاد إلاّ عقوبةً للأولاد ، لأن أباه إن كان غنيًّا قادرًا أحبّ أن يُريَه غناه وقدرتَه ، وإن كان فقيراً عاجزاً أحبّ أن يستريح من شَيْنه ومن حَمل مؤنته ، وإن كان خارجاً من الحالين أحبّ أن يَستريح من مُداراته، فلا هم شكَروا مَن جَمع لهم وكَفاهم وَوَقاهم وغرَسهم ، ولا هم صَبَروا على من أوجَب الله حقَّه عليهم .والحقُّ لا يوصف عاجلُه بالحلاوة ، كما لا يوصفُ عاجِل الباطل بالمرارة . فإن كُنتَ منهم فالقاضي لك، وإن لم تكن منهم فالله لك . فإن سلَكتَ سبيلي صار مالُ غيرِك وديعةً عندك ، وصرتَ الحافظَ على غيرِك . وإن خالفت سبيلي صار مالك وديعةً عند غيرك ، وصار غيرُك الحافظَ عليك . وإنك يومَ تطمعُ أن تُضيعَ مالك ويحفظه غيرُكَ ، لجشع الطمع مخذول الأمل . احتال الآباء فى حَبس الأموال على أولادهم بالوقف ، فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستبحاث ما أسرعهم إلى إطلاق الحَجْر ، وإلى إيناس الرُّشد ، إذا أرادوا الشراء منهم . وأبطأهم عنهم إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم .

يا ابنَ الخبيثة إنك وإن كنت فوقَ أبناء هذا الزمان ، فإنّ الكفاية قد مَسَختك ومعرفتُك بكثرة ما أخلف قد أفسدتك . وزاد فى ذلك أن كنت بِكرى ، وعُجْزة أمّك .

أنا لو ذهب مالى لجلَسْتُ قاصًّا ، أوطفت فى الآفاق — كما كنتُ — مكدِّيًا . اللحية وافرة بيضاء ، والحلْقُ جَهير طلّ والسمتُ حَسَن ، والقبولُ علىّ واقع . إن سألت عَينى الدمعَ أجابت — والقليلُ مِن رحمة الناس خيرٌ من المال الكثير — وصرتُ محتالاً بالنهار ، واستعملتُ صناعةَ الليل . أو خرجتُ قاطعَ طريق ، أو صِرتُ للقوم عيناً ولهم مجهرًا . سل على صَعاليك الجَبَل وزواقيلَ الشام وزطّ الآجام ورؤوس

(١) عز وجل ب — (٥) وإن ب (٩) لكان ب، ولعلها : لكاذب — (١٠) بالاستبحاث (مرسيه)، بالأسحار ك ، بالاستيجار ب — اخير ب — (١١) [وابطأهم عنهم إذا] ب — أو أرادوا ب — (١٤) منحتك ك ب ، مجنتك (دى جويه) ، فنختك ، فتختك (مرسيه) — (١٥) وعجزت ك ب — (١٧) جل ب

الأكراد ومَرَدَة الأعراب وفُتّاك * نهر بطّ ** ولُصُوص ** القفص * ، وسَل عنى *القِيقانية ** والقطرية ** وسَل عنى المتشبهة * وذبّاحى الجزيرة * : كيفَ بَطشى ساعة البطش ، وكيف * حِيلتى ساعةَ * الحيلة ، وكيف أنا عند الجَولة * ، وكيفَ ثباتُ جَنانى عندَ رؤية الطليعة ، وكيفَ يَقَظَتى إذا كنتُ ربيئة * ، وكيف كلامى عندَ السلطان إذا أُخذتُ ، وكيف صبرى إذا جُلدت ، وكيفَ قِلّة ضَجَرى إذا حُبِستُ ، وكيف رَسَفانى * فى القَيْد إذا أثقلت . فكم من دِيماس ** قد نَقَبته ، وكم من مُطبَق قد أفضَيْته ، * وكم من سِجن قد كابدته . لم تَشْهَدنى وكردويه الأقطعَ أيامَ سندان ** ، ولا شهِدتنى فى فِتنة سَرَنديب ، ولا رأيتَنى أيامَ حرب المولتان ** ، سل عنّى الكتيفية والخليدية والحرَّبية * والبلالية ** ، وبقية أصحاب صَخرٍ ومُصخِر ، وبقية أصحاب فاسٍ وراسٍ ومقلاس ** ، ومن لقِىَ أزهرَ أبا النقم . كان آخر من صادفنى حَمدويه أبو الأرطال. وأنا مجيبُ مردويه بن أبى فاطمة ، وأنا خلعتُ بنى هانئ . وأنا أوّلُ من شَرِب الغربىّ حارًّا ، والبزيل * بارداً . وأوّلُ من شَرِب بالعِراق بالكَبَرة * ، وجعل القَنْقَل * قرعة . وأوّلُ من ضَرَب الشاهسبرم ** على ورق القرع ، وأوّل من لَعِب باليرمع * فى البَدو ، وأسقط الدفّ المربع من بين الدِّفاف . وما كان النقاب إلا هدّاماً حتى نشأت ، وما كان الاستقفاء إلا استلاباً * حتّى بلغتُ .

وأنت غلام ، لِسانُك فوق عَقلك ، وذكاؤك فوقَ حَزمك لم تعجُمك الضرّاء * ، ولم تزَل فى السَّرّاء * والمال واسع ، وذرعُك ضيّق . وليس شىء أخوفُ عليك عندى

---

(١) قتال ب – القصص ك – (٢) [لقيقانية . . . الجزيرة] ب – كذا ، ولعلها : المشبهة – (٣) وقت ب – الحولة ك ، الحولة ب – (٤) فى ريبة ب – (٦) ساق ب – (٧ – ١٤) [وكم من سجن . . . استلابا] ب – (٩) والحربية ك – (١٢) والبزيل ، صححنا : البرك ك – (١٢) كذا ك : العرق بالكبر (فان فلوتن) – القنقل ، صححنا ؛ المنقل ك ، وانظر شعر التيمى ، الأغانى ١٨ : ١١٥ – (١٣) بالمرمع ك – (١٦) لم يصبك ضراء ب – (١٧) سراء ب .

(١٦) « لسانك . . . حزمك » عيون الأخبار ٣ : ٢١٥ – (١٦–ص ٥١ : ١١) « وأنت غلام . . . ومات » الاشارة إلى محاسن التجارة ، ص ٦٧ ، ط المؤيد ١٣١٨ هـ

من حُسن الظن بالناس، فاتّهم * شِمالَك على يمينك ، وسمعَك على بَصَرك ، وخَفْ عباد الله على حَسب ما ترجو الله .

تفسير ألفاظ فى هذا الحديث

فأول ما أوقَعَ * فى رُوعى أنّ مالى محفوظ علىّ ، وأن النماء لازمٌ لى ، وأن الله سيَحفظُ عَقبى من بعدى ، أنى لمّا غَلَبتنى يوماً شَهوتى ، وأخرجتُ يوماً دِرهَماً لقضاء وَطَرى ، ووقعتْ * عينى على سِكّته ، * وعلى اسمِ الله المكتوبِ عليه * ، قلتُ فى نفسى : إنى إذاً لمن الخاسرين الضالّين ، لئن أنا أخرجتُ من يدى ومن بَيْتى شيئاً عليه : « لا إله إلا الله » وأخذتُ بدلَه شيئاً ليس عليه شىء . والله إن المؤمنَ لينزع خاتمه للأمر يريدُه * ، وعليه ، « حَسبى الله » أو : « توكلتُ على الله » فيظنُّ أنه قد خَرجَ من كنف الله — جلّ ذكرُه — حتى يُرَدّ الخاتم فى موضعه . وإنما هو خاتم واحد ، وأنا أريدُ أن أخرِجَ فى كلّ يوم درهماً عليه الإسلامُ كما هو ؟ إنّ هذا لَعظيم .

ومات من ساعته ، وكفّنه ابنُه ببعض خُلقانه ، وغَسّله بماء البئر . ودفنه من غير أن يَضرَحَ له ، أو يَلحَد له * . ورجع .

فلمّا صار فى المنزل نظر إلى جَرّةٍ خضراء معلّقة . قال : أىُّ شىء فى هذه الجرّة ؟ قالوا : ليسَ اليومَ فيها شىء . قال : فأىُّ شىء كان فيها قبلَ اليوم ؟ قالوا : سمن . قال : وما كان يصنعُ به ؟ قالوا : كنّا فى الشتاء نلقى له فى البُرمة شيئاً من دقيق نعمَلُه له ، فكان ربّما برّقه بشىء من سمن . قال : يقولون ولا يفعلون . السمنُ أخو العسَل. وهل أفسدَ الناسُ أموالَهم إلا فى السمن والعسل؟ والله إنى لولا أنّ للجرّة ثمناً لما كسرتها إلا على قبره . قالوا : فخرجَ فوقَ أبيه ، وما كنّا نظنُّ أن فوقَه مزيداً .

* المخطرانى : الذى يأتيك فى زىّ ناسك ، ويُريكَ أن بابَكَ قد قوّر لسانه من أصله ، لأنه كان مؤذّناً هناك . ثمّ يفتحُ فاهُ كما يصنعُ مَن يتثاءب ، فلا ترى له لساناً البتة .

---

(١) فاتهم (مرسيه) : فانهم ك ب — (٣) وقع ك ب — (٥) وقعت ك ب — وعليه مكتوب اسم الله ب — (٨) لأمر [يريده] ب — (١٢) يلحده ب (١٩) أول السقط الذى يشمل جميع التفسير ، فى ب .

ولسانهُ فى الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خُدع بذلك . ولا بدّ للمخطرانى أن يكون معه واحدٌ يعبِّر عنه ، أو لَوحٌ أو قِرطاس قد كتبَ فيه شأنه وقصَّته .

والكاغانى : الذى يَتَجنَّن ويَتَصارع ويُزبد ، حتى لا يُشَكّ أنه مجنونٌ لا دَوَاء له ، لشِدَّة ما يُنزِلُ بنفسه ، وحتَّى يتعجَّبَ من بقاء مثله على مِثلِ علَّته .

والبانوان * الذى يقف على الباب ويسل الغلق ، ويقول : بانوا . وتفسيرُ ذلك بالعربية : يا مَوْلاى * .

والقَرَسىّ : الذى يَعصِب ساقَه وذراعَه عَصْباً شديدًا ، ويبيتُ على ذلك لَيلَة . فإذا تورَّم واختنقَ الدمُ ، مَسَحه بشىء من صابون ودمِ الأخوين ** ، وقَطَر عليه شيئاً * من سَمن ، وأطبَق عليه خِرقة ، وكَشَف بعضَه . فلا يشكُّ من رآه أنَّ به الأُكلة ، أو بليَّةً شبه الأكلة .

والمشعب : الذى يحتالُ للصبىّ حينَ * يولد ، بأن يُعميَه أو يجعله أعسم * أو أعضد ، ليسأل الناسَ به أهلَه . وربَّما جاءتْ به أُمه وأبوه ليتولّى ذلك منه بالغُرم الثقيل ، لأنَّه يصيرُ حينئذ عُقْدَة وغلَّة . فإما أن يكتَسِبا به ، وإمّا أن يُكرياه بكِراء مَعْلوم . وربَّما أكروا أولادَهم ممن يمضى إلى أفريقيَّة ، فيسأل بهم الطريق أجمع ، بالمال العظيم . فإن كان ثِقَةً مليئاً * ، وإلَّا أقام بالأولاد والأجرة كَفيلا .

والفلور : الذى يحتالُ لخصيته ، حتى يُريك أنه آدر . وربما أراك أن بها سَرَطاناً أو خُرَّاجاً أو غَرَبا . . أو ربَّما أرى ذلك فى دُبُره بأن يُدخل فيه حُلقوماً ببعض الرئة . وربما فعلت ذلك المرأةُ بفرجها .

والكاغان * : الغلام المُكَدَّى إذا واجر ، وكان عليه مَسحة جمال ، وعَمِل العَمَلين جميعاً .

---

(٥) والبابوان ك — (٦) لعلها : يامولاتى ، انظر مجلة المجمع العلمى العربى ٣ — ٤ : ٢٠ ص ١٦١ — (٨) شىء ك — (١١) حتى ك — اعشم ك — (١٥) ملى (مرسيه) — (١٩) والكاخان (فان فلوتن) .

والعوّاء : الذى يسأل بين المغرب والعشاء . وربّما طرّب ، إن كان له صوتٌ حسن وحلق شجىّ .

والإسطيل : هو المُتعامى : إن شاء أراك أنه منخسفُ العَيْنين ، وإن شاء أراك أن بهما ماءً ، وإن شاء أراك أنه لا يُبصِر ، للخَسْف ولريح السَّبَل** .

والمزيدىّ* : الذى يدورُ ومعَه الدُّرَيهمات ، ويقول : هذه دراهمُ قد جُمعَت لى فى ثمن قطيفة ، فزيدونى فيها رحمكم الله . وربّما احتملَ صبيا على أنه لقيط . وربّما طلب فى الكَفَن .

والمُستعرِض : الذى يعارِضُك وهو ذو هيئة ، وفى ثياب صالحة . وكأنه قد مات* من الحياء ، ويخافُ أن يراه مَعرفة . ثم يَعترضُك اعتراضاً ، ويكلّمك خفيًّا .

والمقدّس : الذى يقفُ على الميّت يسأل فى كفنه . ويقفُ فى طَريق مكّة على الحِمار الميّت ، والبعير الميت فيدعى* أنه كان له ، ويزعم أنّه قد أحصِر . وقد تعلّم لغة الخُراسانية واليمانيَة والأفريقية ، وتعرّف تلك المدنَ والسِّككَ والرجال . وهو متى شاء . كان أفريقيًّا ، ومتى شاء كان من أهل فَرغانة ، ومتى شاء كان من أىّ مخاليف اليَمن شاء .

والمكدّى : صاحبُ الكداء* .

والكعبى : أضيف إلى أبىّ بن كَعب* المَوْصلى وكان عريفَهم بعد خالَويه سنة على ماء .

والزكورى : هو خبز الصدقة ، كان على سَجين* أو على سائل .

هذا تفسيرُ ما ذكرَ خالويه فقط . وهم أضعافُ ما ذكرنا فى العَدَد . ولم يكن يجوزُ أن نتكلّف شيئاً ليسَ مِن الكتاب فى شىء* .

---

(٥) والزيدى ك — (٨) هاب (فان فلوتن) — (١١) يدعى (فان فلوتن) — (١٤) الكداد ب — (١٥) أبى كعب (فان فلوتن) — (١٦) جبى ك — (١٧) نهاية ما سقط فى ب : [المخطراني . . . فى شىء]

(٥٢ : ٣ — ٥٣ — ٩) « والكاغانى . . . خفيا » انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ٢ : ٢١٩ — ٢٢٠ ، ط السعادة ١٩٠٦ م

طرف شتى

رفع يحيى بنُ عبدِ الله بن خالدِ بن أُميَّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد رغيفاً من خوانه بيده ، ثم رطَله والقوم يأكلون ، ثمَّ قالَ : يزعمون أَن خُبزى صِغار . أَىّ ابنِ زانية يأكل من هذا الخبزِ رَغيفين ؟

وكنتُ أَنا وأَبو إسحاق إبراهيمُ بن سيّار النظّام ، وقطربُ النحوى ** ، وأَبو الفتح مؤدِّبُ منصور بن زياد ، على خِوان فلان بن فلان . والخوان من جَزْعة ، والغَضَار صِينىّ ملمَّع ، أَو خَلَنجية كَيماكِيّة ** ، والألوان طيّبة شهيَّة * وغذية قدية * ، وكل رغيف فى بياض الفضة ، كأنه البدر وكأنه مرآة مجلوَّة ولكنَّه على قَدر عَدَد الرؤوس . فأكل كلُّ إنسان رغيفَه إلا كِسرة . ولم يَشبعُوا فيرفعوا أَيديَهم ، ولم يُمَدُّوا * بشىء فيتمُّوا أَكلَهم ، والأيدى مُعلقة . وإنما هم فى تنقير وتَنتيف .

فلمَّا طالَ ذلك عليهم ، أقبلَ الرجلُ على أَبى الفتح — وتحت القَصعة رقاقه — فقال: يا أَبا الفتْح خُذ ذلك * الرغيف فقطّعه واقسِمه على أَصحابنا . فتغافل أَبو الفتح . ثم أَعاد عليه القول ، فتغافل * فلما أَعادَ عليه القولَ الرابعةَ قال : مالك ويلَك لا تقطّعه بينهم ؟ قطّع الله أَوصالك ! قال : تُبتلى على يدىْ غيرى أَصلَحَك الله ! فخجّلناه مرَّة ، وضَحِكنا مرَّة ، وما ضحك * صاحبنا ولا خجل .

وزُرْته أَنا والمكىّ ** . وكنتُ أَنا على حِمار مُكارى ، والمكِىّ على حمار مُستعار . فصار الحمارُ إلى أَسوَإ من حال الزَّوْر * . فكلّم المكىُّ غِلمانَه فقال : لا أُريد منكم

(٧)[وغذية قدية] ب — (٩) يمدوا ، صحنا : يغذو ك ، يأتوا ب — (١٢) ذاك ب — (١٥) وما ضحكنا ب — (١٧) الزود ب ، الرود (فان فلوتن)

(٢ — ٤) « رفع . . . رغيفين » العقد ٤ : ٢١٧ ، الأزهرية ، ١٩١٣ م ، ٦ : ١٨١ ط لجنة التأليف . . .

التِّبْنَ فما فوقه ، اسقُوه ماءً فقط . فسقَوه * ماءَ بئر ، فلم يشربه الحمار ، وقد مات عَطَشاً . فأقبل المكىُّ عليه ، فقال : أصلحَك الله إنهم يسقُون حمارى ماءَ بئر ، ومنزِلُ صاحب الحمار على شارع دجلة ، فهو لا يعرفُ إلا العذب . قال ، فامزجوه له ياغلام . فمزجوه ، فلم يشربه . فأعاد المسألة فأمكنَه من أَذن من * لا يسمع إلا ما يشتهى .

وقال لى مَرَّة : يا أخى إنَّ ناساً من الناس يغمسون اللُّقمة إلى أصبارها * فى المرى فأقول هؤلاء قومٌ يحبُّون الملوحة ولا يُعجَبون بالحامِض . فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حَرف الجرذقة ، فيغمسها فى الخلّ الحاذق ويُغرِقها فيه . وربما رأيت أحدَهم يُمسِكها فى الخل بعد التغريق ساعة ، فأقول : هؤلاء قومٌ يجمَعون * حبَّ * الحموضة إلى حبّ الملوحة . ثم لا ألبثُ أن أراهم يصنعون مثل ذلك بالخرْدل . والخردلُ لا يُرام : قل * لى أىُّ شىءٍ طبائعُ هؤلاء ؟ وأىّ * ضرْب هم ؟ وما دواؤهم ؟ وأى شىءٍ علاجُهم ؟

فلما رأيتُ مذهَبَهُ وحُمْقَه ، وغلبةَ البُخل عليه ، وقهره له ، قلتُ : ما لهم عندى علاجٌ هو أنجعُ فيهم مِن أن يمنعوا الصِّباغ كله . قال : لا والله إن هو غيرَه !

وصديقٌ لنا * آخر ، كنا قد ابتُلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظنَّ أنا قد عرَفناه بالبُخل على الطعام ، وهَجَس ذلك فى نفسِه ، وتوهَّم أنا قد تَذاكرنا أمرَه . فكان يتزيَّد * فى تكثير الطعام ، وفى إظهار الحِرص على أن يؤكل ، حتى قال : مَن رفَعَ يده قبل القوم غرَّمناه * ديناراً * فيرى بعضُهم أن غُرمَ دينار أولى ، فذلك منه مُحتمل فى رِضا قلبه * ، وما يَرجو من نفع ذلك له .

ولقد خَبّرنى * خبَّاز لبعض أصحابِنا أنه جَلَده على إنْضَاجِ الخُبْز ، وأنه * قال له :

---

(١) فاسقوه ب – (٤) [من] ب – (٥) آخرها ب – (٨) يحبون ب – [حب] ب – (٩) فقل ب – (١٠) و < من > أى ب (١٣) و [كان] لناصديق ب – (١٤) يتزايد ب – (١٦) فيرى بعضهم أن غرم دينار أولى فذلك منه . . . صححنا : فترى ك ، بغضه (فان فلوتن) ، ديناراً وظاهر لا تمته ك ، دينار وفى ذلك رضا نفسه ب ، [منه محتمل فى] ب – (١٨) أخبرنى ب – و [أنه] ب

انْضج خبزى * الذى يوضَعُ بينَ يدىَّ واجعل خبزَ من يأكلُ معى * على مِقدار بين المقدارين * . وأمّا خبز العِيال والضَّيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يَصير العجينُ رغيفاً و بقدر ما يتماسَك فقط . * فكلَّفه العويصَ * فلمّا أعجزَه ذلك جَلَده حدَّ الزانى الحرّ .

فحدثتُ بهذا الحديثِ عبدَ الله العَروضى * . فقال : ألم تعرفْ شأن الجدْى ؟ ضربَ الشوّاء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج . وذلك أنه قالَ له ضعْ الجدىَ فى التنور حين نَضَعُ الخِوان ، حتى أستبطئك أنا فى إنضاجه ، وتقولُ أنت : بَقِىَ قليل . ثم تجيئنا به وكأنى قد أعجلتُك . فإذا وُضِع بين أيديهم غيرَ مُنضَج * ، احتسبْتُ عليهم بإحضار الجدى . فإذا لم يأكلوه أعدتَه إلى التنور ، ثم أحضَرْتناه الغد بارداً فيقومُ الجدى الواحد مَقامَ جَدْيَيْن . فجاء به الشوّاء يوماً نضيجاً ، فعمِل فيه القومُ . فجلَده ثمانين جلدة ، جلد القاذفِ الحرّة .

حدثنى أحمد بنُ المثنَّى ** ، عن صديق لى وله ، ضخم البدَن كثير العلم فاشى الغلَّة عظيم الولايات ، أنه إذا دُعِىَ على مائدته بفضْل دَجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك ردَّ الخادم مع الخبَّاز إلى القَهْرمان حتى يَصُكَّ له بذلك إلى صاحب المطبخ .

ولقد رأيته مرَّة وقد تناول دَجاجة فشقّها نصفين * ، فألقى نِصفَها إلى الذى عن يمينه ، ونِصفَها إلى الذى عن شماله . ثم قال ياغلام جئنى * بواحدة رَخصة ، فإن هذه كانت عَضِلة جدا . فحسبتُ أن أقل ما عندَ الرجُلَين ألا يعودا إلى مائدته أبداً . فوجدتهما قد فَخَرا علىَّ بما حَباهما به من ذلك دونى .

وكانوا ربَّما خَصُّوه ، فوضَعوا بين يديه الدُّرَّاجة * السمينة ، والدجاجة الرخصة . فانطفأت الشمعةُ فى لَيْلة من تلك الليالى ، فأغار علىَّ الأسوارى ** على بعض ما بين يديه واغتنمَ الظلمة ، وعمل على أن الليلَ أخبى للويل . ففطن له ، وما هو بالفطنِ إلا فى

---

(١) الخبز ب — (١ — ٢) متوسط بين ذلك ب — (٣) فخالفه الخباز ب — (٨) نضيج ب — (١٥) بنصفين ك — (١٦) ايتنى ب — (١٩) الدجاجة ب .

هذا الباب .وقال : كذلكَ * الملوك كانت لا تأكل معَ السوقة * .

وحدثنى أحمد بنُ المثنّى أنّهم كانوا يعمدون إلى الجراذِق التى تُرفَع عن مائدته ، فما كان منها مُلطّخًا دُلِك ذلك دَلكًا شديدًا ، وما كان منها قد ذهَب جانبٌ منه ، قطع بسكّين من ترابيع الرغيف مثلُ ذلك . لئلا يَشُكَّ من رآه أنهم قد تعمّدوا ذلك ، وما كان من الأنصاف والأرباع ، جُعِلَ بعضُه للمريد ، وقطع بعضه كالأصابع ، وجُعِلَ مع بعضِ القلايا .

ولقد رأيتُ رَجُلا ضخماً فخم اللفظ فخم المعانى ، تربيةً فى ظل ملك ، مع عِلم جَمّ * ولسان عَضْب ، ومعرفة بالغامِض من العيوب والدقيق من المحاسن ، مع شِدّة تسرُّع إلى أعراض الناس وضيق صدر بما يَعرف من عُيوبهم ، وإن ثريدته لبلقاء ، إلّا أن بياضها ناصع ، ولونَها الآخر أصهب . * فرأيت ذلك مرّة أو مرّتين * . وكنتُ قد هَمَمْتُ قبل ذلك أن أعاتبَه على الشيء يستأثر به ، ويُخَصُّ به ، وأن أحتمِلَ ثِقَل تلكَ النصيحة * ، وبشاعتَها فى حَظِّه وفى النظر له . ورأيت أن ذلك لا يكونُ إلا من حاقِّ * الإخلاص ومن فرط الإخاء بينَ الإخوان . فلما رأيت البُلقة ، هان علىَّ التحجيلُ والغُرّة . ورأيت أن تَرْكَ الكلام أفضل وأن الموعظةَ لغوٌ .

وقد زعمَ أبو الحسن المدائنى ** أن ثريدةَ مالك بن المُنذر ** كانت بَلقاء . ولعلَ ذلك أن يكون باطلا . وأمّا أنا فقد رأيتُ بعينى مِن هذا الرجُل ما أخبرُك به . وهو شيءٌ لم أرَه إلّا فيه ولا سَمِعتُ به فى غَيره .

ولسنا من تسمِيَة * الأصحابِ المتهتِّكين ولا غيرهم من المستورين ، فى شيْء . أمّا الصاحبُ فإنا لا نُسمِّيه * لحرمته وواجب حقِّه ، والآخر لا نسميه لِستْرِ الله عليه ، ولما يجبُ لمن كان فى مِثل حاله ، وإنما نسمّى من خرَج من هاتَيْنِ الحالين * ، ولربما سمّينا الصاحبَ إذا كانَ ممن يُمازَحُ بهذا كثيراً ، ورأيناه يتظرّف به ، ويجعلُ ذلك الظّرفَ سُلَّماً إلى منع شَيْنه * .

---

(١) لذلك (مرسيه) – السوق ك – (٧) علو جم ك ، علوهم (فان فلوتن) – (١٠) ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين ك – (١١) الفضيحة ك ب – (١٢) حق ب – (١٨) [تسمية] ب – (١٩) لا اسمية ب – (٢٠) الحالتين ب – (٢٢) منيته ك ب .

قصـــــة أبى جعفر

ولم أرَ مثل أبى جعفر الطَّرَسوسى :

٣ زار قوماً فأكرموه وطَيّبوه ، وجَعلوا فى شار به وسَبَلته غالية . فحكته° شفتهُ العُليا ، فأدخلَ إصبعه فحكّها من باطنِ الشفة ، مخافةَ أن تأخذَ إصبَعُه من الغاليـة شيئاً إذا حكّها مِن فَوق .

٦ وهذا وشِبهُه إنما يطيبُ جدًّا إذا رأيتَ الحكايةَ بعينِك . لأنّ الكتابَ لا يصوّر لك كلَّ شىء ، ولا يأتى لكَ على كُنهه ، وعلى حُدوده وحَقائقه .

---

(٣) فحكه بها (فان فلوتن)

قصة الحزامى

وأما أبو محمّد الحزامىّ ، عبدُ الله بن كاسِب ، كاتبُ مُوَيْس ، وكاتبُ داودَ بنِ أبى داود ، فإنه كان أبخلَ من برأ الله ، وأطيبَ من برأ الله . وكان له فى البُخل كلام . وهو أحد من يَنْصرُه * ويفضّله ، ويحتجُّ له ويدعو إليه .

وإنه رآنى مرة فى تَشْرينَ الأوّل ، وقد بكّر البردُ شيئاً ، فلبِسْتُ كِساءً لى قُومَسِيًّا ** خفيفاً ، قد نِيلَ منه . فقال لى : ما أقبَحَ السَّرَف بالعاقل وأسمجَ الجهل بالحكيم . ما ظننتُ أن إهمالَ النفس وسوءَ السياسة بَلغ بك ما أرى . قلتُ : وأىُّ شىء أنكرْت منّا مُذ اليوم ، وما كان هذا قولُك فينا بالأمس؟ فقال : لُبسُكَ هذا الكِساء قبلَ أوانه. قلتُ : قد حَدَثَ من البردِ بمقداره . ولو كان هذا البردُ الحادثُ فى تمّوزَ وآب ، لكان إبّانًا لهذا الكِساء قال : إن كان ذلك كذلك ، فاجعلْ بَدَل هذه المبطّنة جبّة محشوّة ، فإنها تقومُ هذا المَقام ، وتكونُ قد خَرَجتَ من الخطأ . فأمّا لبسُ الصوف اليوم ، فهو * غيرُ جائز . قلت : ولِمَ؟ قال : لأن غُبارَ آخرِ الصَّيف يتداخلُه ويسكن فى خَلَله، فإذا أمطِر الناس ونَدِىَ * الهواء وابتلَّ كلُّ شىء . ابتَلَّ ذلك الغُبار . وإنما الغُبار تراب ، إلّا أنه لُباب التراب . وهو مالِح ، ويَنقبِضُ * عند ذلك عليه الكساء ويتكرّش، لأنه صوف ، فتنضمُّ أجزاؤه عليه . فيأكلُه أكلَ القادِح ويعملُ فيه عَمَلَ السُّوس ، ولهو أسرَعُ فيه من الأرَضة فى الجذوع النَّجْرانيّة . ونكن أخِّر لُبسَه ، حتى إذا مُطِر الناسُ وسَكن الغُبار وتلبّد التراب وحطَّ المطرُ ما كان فى الهواء من الغُبار وغَسَله وصفّاه ، فالبسْه حينئذ على بركة الله .

وكان يقع * إلى عِياله بالكوفة كلَّ سنة مَرّة ، فيشترى لهم من الحبِّ مقدار طبيخِهم * وقُوتِ سَنَتهم * . فإذا نَظَر * إلى حبٍّ هذا وإلى حبِّ هـذا ، وقام على * سِعره ،

---

(٤) يبصره (فانفلوتن)– (١١) فهذاب، فهو < اليوم > ك– (١٣) تندىب – (١٤) وينتقض ب – (١٩) يأتى ب – طحينهم (مرسيه)– (٢٠) [وقوت سنتهم] ب – فإذا < أراد أن يشترى > فينظر ب

اكْتال° من كلِّ واحد منهَا كَيْلة معلومة < ووزنها >° بالميزان ، واشترَى أثقلها وَزْناً . وكان لايختارُ على البَلَدى والموصلىّ شيئاً ، إلّا أن يتقارَبَ السعر . وكان على كلِّ حال يفرّ من المَيْسانى ، إلّا أن يُضطرَّ إليه . ويقول : هو ناعِمٌ ضَعيف ، ونارُ المَعِدة شيطان ، فإنّما ينبغى لنا أن نَطعَم الحجرَ وما أشبه الحجر . وقلتُ له مرّة أعلمتَ أن خبز البلدىِّ ينبُتُ عليه شىءٌ شبيهٌ بالطين والتُّراب والغُبار المتراكم ؟ قال : حبّذا ذلك من خُبز . ولَيْته قد أشبَه الأرض بأكثرَ من هذا° المقدار !

وكان إذا كان جديدَ القميص ومغسوله ، ثم أتوه بكلِّ بَخور فى الأرض لم يتبخَّر ، مخافةَ أن يُسوِّد دُخانُ العُود بياضَ قميصه . فإن اتّسخ فأتِيَ بالبَخور ، لم يرضَ بالتبخر واستِقصاءِ° ما فى العُود من القَتار ، حتَّى يَدعُوَ بدُهن فيمسَح به صَدرَه و بطنَه وداخِلةَ° إزاره ، ثم يتبخّر ، ليكونَ أعلقَ للبَخور .

وكان يقولُ : حبّذا الشِّتاء فإنّه يحفظُ عليك رائحة البخور ، ولا يحمَض فيه النبيذ إن تُرِكَ مفتوحاً ، ولا يفسُد فيه مَرَق إن بَقِيَ أياماً . وكان لا يتبخَّر إلّا فى منازل أصحابه . فإذا كان فى الصَّيف دعا بثيابه فلبِسَها على قميصِه ، لكيلا يضِيعَ من البَخور شىء .

°وقال مرّة : إن للشيبِ سَهْكةً° . و بياضُ الشّعر الأسود° هو مَوْته ، وسوادُه حياتُه . ألا ترى أنّ موضِعَ دَبْرةِ الحمار الأسودِ لاينبتُ إلا أبيض . والناسُ لايرضَوْن منّا فى هذا العَسْكَر إلّا بالعِناق واللِّثام . والطِّيبُ غالٍ ، وعادتُه رديئة . و ينبغى لمن كان أيضاً عندَه أن يحرُسَه و يحفظَه من عِياله . و إنّ العطّارَ ليختِمه على أخصِّ غِلمانه به° . فلستُ أرى شيئاً هو خيرٌ من اتخاذ مُشط صَندَل ، فإنّ ريحَه طيّبةٌ ، والشَّعر سريع القَبول ، وأقلُّ ما يصنَع أن ينفِيَ سَهَكَ الشَّيب . فصِرنا فى حالٍ لا° لنا ولا علينا . فكان

(١) سعر واكتال ك ب — < ووزنها > (مرسيه)، وليست بالأصل — (٦) [هذا] (فان (وتن) — (٩) واستقصى ب — وداخل ب — (١٤ — ٦١ : ١) [وقال مرة . . . صديق] ب — (١٥) سهمة ك — [الأسود] (فان فلوتن) — (١٩) [لا] (فان فاوتن) .

(١٤ — ١٩) «وقال مرة . . . ولا علينا» العقد الفريد ٤ : ٢١٤ ، الأزهرية ، ١٩١٣ م ، ٦ : ١٧٥ ط لجنة التأليف

عِطرُ الحزامى إلى أن فارق الدنيا مُشطَ صَندل ، إلّا أن يطيِّبه صديق * .

واستَسلفَ منه علىّ الأسْوارىّ مائةَ دِرهم ، فجاءنى وهو حزينٌ مُنكسِر . فقلتُ له : إنّما يَحزَنُ من لا يجدُ بُدًّا من إسلاف الصّديق ، مخافةَ ألّا يرجعَ إليه مالُهُ ولا يعدَّ ذلك هِبةً منه . أو رجلٌ يخافُ الشكيّة ، فهو إن لم يُسلف كَرَمًا أسلف خَوفًا . وهذا بابٌ الشُّهرة فيه هى قُرَّة عينِك . وأنا واثقٌ باعتزامك وتَصميمك ، و بقلّة المبالاة بتَبْخِيل الناسِ لك فما وجهُ انكسارِك واغتمامِك ؟

قال : *اللهم غَفْرًا! ليسَ ذاكَ بى إنما بى أنى قد* كنتُ أظنُّ أن أطماعَ الناس قد صارت بمعزِل عنّى وآيسةً منى، وأنى قد أحكمتُ هذا البابَ وأتقنتُه ، وأوْدَعتُ قلوبَهم اليأس ، وقطعتُ أسبابَ الخواطِر . فأرانى واجداً منهم <...>* . إن من أسبابِ إفلاسِ المرء طمَعَ الناس فيه . لأنّهم إذا طَمِعوا فيه احتالوا له الحِيَل ونصَبوا له* الشُّرُك ، و إذا يئِسوا منه فقد أمِن . * وهذا المذهَبُ من عَلِىّ استضعافٌ شديد . وما أشكُّ أنى عندَه عمر ، وأنى* كبعض مَنْ يأكُل مالَه . وهو مَعَ هذا خليطٌ وعشير . و إذا كان مثلُه لم يعرِفْنى ، ولم يتقرَّر عندَه مذهبى ، فما ظنُّك بالجيران ، بل ما ظنُّك بالمعارف ؟ أرانى أنفُخ فى غير فَحم وأقدَحُ بزَنْد مُصلِد . ما أخوَفَنى أن أكون قد قُصِدَ إلىَّ بقول . ما أخوفَنى أن يكونَ اللهُ فى سَمائِه قد قَصَد إلى أن يُفقرنى .

قال :ويقولون : ثوبُك على صاحبك أحسنُ منه عليك . فما يقولون إن كان أقصرَ منى، أليس يتخبَّلُ فى قميصى ؟ و إن كان طويلاً جدًّا وأنا قصيرٌ جدًّا فلبسه ، أليسَ يصير آية للسائلين* ؟ فمن أسوأ أثراً على صديقه ممن جعله ضُحكة للناس ؟ ما ينبغى لى أن أكسوَه حتى أعلمَ أنه فيه مثلى . ومتى يتفقُ هذا ، وأنى ذاكَ* لحيا ومَمات* ؟

---

(٧) [اللهم غفرا] ليس بى من هذا [بى أنى قد] ب – (٩) <...> سقط فى الأصل، فيما يظهر – (١٠) [له] ب – (١١ – ١٩) [وهذا المذهب ... وممات]ب – (١٢) عمرو أبى (فان فلوتن) – (١٨ للسابلين (فان فلوتن) – (١٨) وإلى ذاك (فان فلوتن) .

(١٦ – ١٩) «قال ويقولون ... هذا» العقد الفريد ٤ : ٢٣٠ ، الأزهرية ١٩١٣ م ، ٦ : ١٩٨ ط لجنة التأليف

وكان يقول : أشتهى اللحمَ الذى قد تهرّأ ، وأشتهى أيضاً الذى فيه بعضُ الصّلابة . وقلتُ * له مرّة : ماأشبهَك بالذى قال : أشتهى لحمَ دجاجتين . قال : وما تصنعُ بذلك القائل ؟ هو ذا أنا أشتهى لحمَ دَجاجتين : واحـــــدة خِلاسيَّة مسمّنة ، وأخرى *خوارزكة** رَخْصَة .

وقلتُ له مرّة : قد رضيتَ بأن يقالَ : عبدُ الله بخيلٌ ؟ قال : لا أعدَمنى الله هذا الاسم . قلتُ : وكيفَ ؟ قال : لا يقالُ فلانٌ بخيلٌ إلاّ وَهُو ذُو مال ، فسلم إلىّ المال ، وادعُنى بأىّ اسمٍ شئت . قلتُ : ولا يقالُ أيضاً فلانٌ سخىٌّ إلاّ وهو ذو مال ، فقد جمع هذا الاسمُ الحمدَ والمال ، واسمُ البُخل يجمعُ المال والذمّ . فقد اخترتَ أخسَّهما وأوضَعهما . قال : و بينهما فرق : قلتُ : فهاته . قال : فى قَوْلهم بخيل تثبيتٌ لإقامة المال فى مِلكه ، وفى قولهم سخىٌّ إخبارٌ عن خروج المال من مِلكه . واسمُ البَخيل اسمٌ فيه حِفظ وذم ، واسمُ السخىِّ اسمٌ فيه تضييعٌ وحمد . والمالُ زاهرٌ * نافع مُكرِم لأهله معزٌّ ، والحمدُ ريحٌ وسُخرية ، واستماعُك له ضعفٌ وفسولة وما أقلّ غَناء الحمدِ — والله — عنه ، إذا جاع بطنهُ ، وعرىَ جلدُه ، وضاع عياله ، وشمِت * به من كان يَحسُده .

* وَ دنّا عندَ داود بنِ أبى داود * بواسط ، أيّامَ ولايته كَسْكَر . فأتته من البَصرة هدايا فيها زِقاق دِبس ، فقَسَمها بيننا فكلنا أخذ ما أعطِىَ غيره * . فأنكرتُ ذلك من مَذهبه ، ولم أعرِف جِهَة تدبيره . فقلتُ للمكىّ : قدعلمتُ أن الحزامى إنما يجزعُ من الإعطاء وهو عدوُّه ، فأمّا الأخذُ فهو ضالّته وأمنيّته . و إنه لو أعطِىَ أفاعى سِجِسْتان ، وثعابينَ مصر ، وحيّاتِ الأهواز ، لأخذها ، إذ * كان اسمُ الأخذِ واقعاً عليها ، فعساه أراد التفضيل

(٢) لعلها : فقلت — (٤) جوامركه ك ، خوامرغه ب — (١١) كذا فى ك و ب ، راهن : عيون الأخبار ، ناض : العقد ، ولعله : ناصر — (١٣) تشمت ب — (١٤) وكنا : أول سقط فى ب إلى آخر قصة الحزامى — دارد ، عيون الأخبار : خالد ك — (١٥) فكلما أخذ ما أعطى غيره ك ، فكل ما أخذ منها الحزامى أعطى غيره (فان فلوتن) — (١٨) إذا ك .

(٥ — ١٣) « وقلت . . . يحسده » عيون الأخبار ٢ : ٣٣ — ٣٤ ، العقد الفريد ٦ : ١٩٧ ط . لجنة التأليف ، محاضرات الراغب الأصبهانى ١ : ٢٩٠ ط العامرة الشرفية ١٣٢٦ هـ ، معجم الأدباء ٦ : ٥٨ ط هندية ، الإشارة إلى محاسن التجارة ص ٦٧ — ٦٨ ط المؤيد ، نهاية الأرب ٣ : ٣٢٤

فى القسمة . قال : أنا كاتبهُ ، وصَداقَتى أقدم ، وما ذلك به . وإنّ ههنا أمراً مانقعُ عليه . فلم يلبث أن دَخَل علينا ، فسألتُه عن ذلك ، فتعصَّر قليلًا . ثم باح بسرِّه . قال : وَضِيعته أضعافُ رِبحه ، وأخذُه عندى من أسباب الإدبار . قلت : أوّل وضائعه احتمالُ الشكر* . قال : هذا لم يخطُر لى قطُّ على بال . قلت : فهاتِ إذاً ما عِندَك . قال :

أوّل ذلك كِراء الحمّال . ثم هو على خَطر حتّى يصير إلى المنزل . فإذا صار إلى المنزل ، صار سَبَباً لطلبِ العَصيدة والأرُزَّة والبِستَنْدود** . فإن بِعتُه فِراراً مِن هذا ، صيَّرتمونى شُهرة ، وتركتُمونى عِندَه آية . وإن أنا حَبَستُه ، ذهب فى العصائد وأشباهِ العصائد ، وجذَبَ ذلك شراء السمن ، ثم جذَبَ السمنُ غيرَه ، وصارَ هذا الدِّبسُ أضرّ علينا من العيال .

وإن أنا جَعلتُه نبيـذاً ، احتجْت إلى كِراء القُدور ، وإلى شراء الحُبّ ، وإلى شِراء الماء ، وإلى كِراء من يُوقِدُ تحتَه ، وإلى التفرُّغ له . فإن وَلّيت ذلك الخادمَ اسودّ ثوبُها ، وغرِمنا ثمنَ الأشنان والصابون ، وازدادتْ فى الطَّعم* على قَدر الزِّيادة فى العَمَل . فإن فَسدَ ذَهَبت النفقةُ باطِلًا ، ولم نستخلفْ منها عِوَضاً بوجهٍ من جميع الوجوه . لأن خلَّ الداذِىّ يَخضِبُ اللحمَ ، ويغيِّر الطّعم ، ويسوِّد المرَقَ ، ولا يصلحُ للاصطباغ* . وهذا إذا استحال خلًّا ، وأكثرُ ذلك* أن يحولَ عن النبيذِ ، ولا يصير إلى الخلّ . وإن سَلِم — وأعوذُ بالله — وجاد وصفا ، لم نجد بُدًّا مِن شُربه ، ولم تطِب أنفسُنا بتركِه . فإن قَعَدتُ فى البيت أشربُ منـه ، لم يُمكِن إلّا بتَرك سُلافِ الفارسىِّ المعسَّل ، والدجاج المسمَّن ، وجِداء كسكر** ، وفاكِهة الجبل** ، والنَّقل المشّ والرَّيحان الغضّ ، عند مَن لا يغيضُ مالُه ولا تنقطعُ مادّته ، وعند مَن لا يبالى* على أىِّ قُطريه سَقَط ، مَع فَوْتِ الحَديث المُونِس والسماع الحسن .

وعلى أنى إن جَلَستُ فى البيتِ أشربُه ، لم يكنْ** لى بدٌّ مِن واحد ، وذلك الواحدُ

---

(٣) السكر (فان فلوتن) — (١١) الطعام (فان ظلوتن) — (١٣) للاصطباغ ، عيون الأخبار : < إلا > للاصطباغ ك — (١٤) لعلها : وأكثر من ذلك — (١٨) لا يبالى (عيون الأخبار) : لا أبالى ك — (٢١) يمكن ب .

لابدَّ له مِن دريهم لحم ، ومن طَسوج نقَل ، وقيراط رَيْحان ، ومن أبزارٍ للقِدر ، ومن حَطَب للوقود . وهذا كلُّه غُرمٌ . وهو بعدَ هذا شؤمٌ وحِرفة وخُروجٌ من العادة الحسَنة . فإن كان ذلك النديمُ غيرَ مُوافق . فأهلُ الحَبس أحسنُ حالًا منى . وإن كان — وأعوذُ بالله — موافقًا ، فقد فَتَح الله على مالى باباً من التَّلَف . لأنه حينئذ يسيرُ فى مالى كسَيْرى فى مال مَن هو فَوْق . وإذا عَلم الصديقُ أنّ عِندى زائراً ونبيذاً ، دقَّ الباب دقَّ المدل. فإن حَجَبناه فبلاء ، وإن أدخلناه فشَقاء .

وإن بدا لى فى استِحْسان حَديثِ النـاس كما يَستحسِنُه منّى من أكونُ عندَه ، فقد شاركتُ المسرفين . وفارقتُ إخوانى مِن المصلِحين ، وصرتُ من إخوانِ الشياطين . فإذا صرتُ كذلك ، فقد ذَهَب كسْبى من مالِ غَيْرى ، وصارَ غيرى يكسِبُ منّى . وأنا لو ابتُلِيتُ بأحـدهما لم أقُم له . فـكيفَ إذا ابتليتُ بأن أعطِىَ ولا آخُـذ . أعوذُ بالله من الخذلان بعد العِصمة ، ومن الحَوْر بعد الـكَوْر . لو كانَ هـذا فى الحداثة كان أهون .

هذا الدّوشاب دَسيسٌ من الحِرفة ، وكيدٌ من الشَّيطان ، وخُدعة من الحسود . وهو الحَلاوةُ التى تُعقِب المَرارة . ما أخوَفَنى أن يكونَ أبو سليمان قد ملَّ منـادَمتى ، فهو يَحتالُ لى الحِيَل .

وكنّا مرّةً فى مَوْضع حشمة ، وفى جماعة كثيرة . والقومُ سُكوت ، والمجلس كبير . وهو بعيدُ المكان منى . فأقبلَ علىَّ المكىُّ وقال — والقومُ يسمعون — : يا أبا عثمان مَن أبخل أصحابنا ؟ قلت : أبو الهُذَيل . قال : ثمَّ من ؟ قلتُ : صاحبٌ لنـا لا أسمِّيه .

---

(٥) زائراً ك : داعيا (فان فلوتن) ، رأسا (عيون الأخبار) فى الأصل — (٩) يكتسب (فان فلوتن) — (١٥) محتال (فان فلوتن) — (١٧) وأقبل (فان فلوتن)

(ص ٦٢ : ١٤ — ص ٦٤ : ١٥) «وكنا عند . . . الحيل» عيون الأخبار ٣ : ٢٥٠ — ٢٥٣ .

قال الحزامىُّ من بعيد : إنما يعنينى . ثم قال : حَسَدتم للمُقتصِدين تدبيرَهم ونماء أموالهم ، ودوام نعمتهم ، فالتمستم تهجينَهم بهذا اللقَب ، وأدخلتم المَكرَ عليهم بهذا النَّبز. تظلِمون المتلِف لماله باسمِ الجود ، إدارة له عن شَيئه * ، وتظلِمون المصلحَ لماله باسم البُخل ، حَسَداً منكم لنعمته ، فلا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم * .

(٣) شينه (فان فلوتن) ، شيه ك — (٤) آخر السقط فى ب [وكنا عند . . . يسلم]

قصة خالد بن عبد الله القسرى واحتجاجه بخالد المهزول

قال أبو عُبَيدة : بلغَ خالدَ بنَ عبدِ اللهِ القسْرى ** أنَّ الناسَ يرمُونه بالبخلِ على الطعام . فتكلَّم يوماً ، فما زال يُدخِل كلاماً فى كلام ، حتَّى أدخَلَ الاعتذارَ من ذلك فى عُرض كلامه . فكان مما احتجَّ به فى شدَّة رُؤية الأكيل * عليه ، وفى نُفوره منه ، أن قال: نظر خالدٌ المهزول فى الجاهليَّة يوماً إلى ناس يأكلون ، وإلى إبل تجترُّ ، فقال لأصحابه : أترَونى * بمثل هذه العَيْن التى أرى بها الناس والإبل ؟ قالوا : نعم . فحلفَ بإلٰهه ألا يأكل بقلا ، وإن مات هَزْلا . فكان * يغتذِى اللبَن ، ويُصيب من الشراب . فأضمرَه ذلك وأيْبَسه . فلمَّا دقَّ جسمه ، واشتدَّ هُزاله ، سمِّىَ : المهزول .

ثم قال خالد : هأنذا مبتلًى بالمضغ ، ومحمولٌ على تحريك اللَّحْيَين ، ومضطرٌّ إلى مُناسبة البهائم ، ومحتمِلٌ ما فى ذلك من السخف والعجز . ما بالى * احتملتُه فيمن لى منه بدّ ، ولى عنه مذهب . ليأكلْ كلُّ امرئٍ فى منزله ، وفى موضع أمنه وأنسه ، ودون ستْره وبابه .

* هذا ما بلَغَنا عن خالدِ بن عبد الله القَسْرىّ واحتجاجه .

فأما خالد المهزول فهو أحد الخالدَين ، وهما سيِّدا بنى أسَد . وفيه وفى خالدِ ** بن نضلة يقول الأسودُ بن يَعفُر :

وقبلَك ماتَ الخالدانِ كلاهما : عَميدُ بنى جَحْوانَ وابنُ المضلَّلِ

---

(٣) الاكليل ك — (٥) أترونى < إذا أكلت > ب — (٦) وكان (فان فلوتن) — (٩) ما بالى (مرسيه) : ما أبالى ك — (١٢) هذا ما بلغنا : أول سقط فى ب ينتهى عند قوله : وقيل للجاز ، فى قصة الحارثى

---

(١٥) « وقبلك . . . المضلل » شعراء النصرانية ص ٤٨٤ ، معجم البلدان ٦ : ٢٧٨ ، ط السعادة ، القاهرة ١٩٠٦ م ، إصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٤٤٦ ط دار المعارف .

قصـــــة الحـارثى

وقيل للحارثىّ بالأمس :

والله إنك لتصنعُ الطعام فتجيدُه ، وتعظُم عليك النفقة وتـكثر منـه . وإنّك لتُغالى بالخبّاز والطبّاخ والشوّاء والخبّاص ثمّ أنتَ — مع هذا كلّه — لا تُشهِدُه عَدُوًّا لتغمَّه ، ولا وليًّا فتَسُرَّه ، ولا جاهِلا لتُعَرِّفه ، ولا زائِراً لتعظِّمه ، ولا شاكِراً لتثبّته . وأنت تعـلم حين يتنحّى من بين يديك ، ويغيب عن عينيك . فقد صار نَهْبـاً مقسّما ، ومُتَوزَّعاً مستهلـكاً . فلو أحضرتَه من ينفع شكرُه ، ويبقى على الأيام ذِكرُه ، ومن يُمتعِك بالحديث الحسَن والاستماع ، ومن يمتدُّ به الأكل ، ويقصرُ به الدهر ، لـكان ذلك أوْلى بك ، وأشبهَ بالذى قدمته يدُك .

وبعدُ فلم تبيحُ * مَصون الطعام لمن لا يحمدُك ، ومن إن حَمِدك لم يحسِن أن يحمدَك ، ومن لا يفصِلُ بين الشهىِّ القَدىّ * ، وبينَ الغليظ الزهم ؟ قال : يمنعُنى من ذلك ما قال أبو الفاتك . قالوا : ومن أبو الفاتك ؟ قال : قاضى الفتيـان . وإنى لم آكل مع أحد قطّ إلا رأيتُ منـه بعضَ ما ذمّه ، وبعض ما شنّعه وقبّحه . فشىءٌ يقبحُ بالشطّار ، فما ظنُّك به إذا كانَ فى أصحاب المروءات وأهل البيوتات ؟ قالوا * : فما قال أبو الفاتك ؟ .

قال : قال أبو الفاتك : الفتى لا يكونُ نشّالا * ، ولا نشّافاً ، ولا مِرسالا ، ولا لَـكّاماً ، ولا مصّاصاً ، ولا نفّاضاً ، ولا دلّاكاً ، ولا مقوِّراً * ولا مُغربلا ، ولا محلقِماً ، ولا مسوِّغاً * ولا مُلغِّماً * ولا مخضّراً . فـكيف لو رأى أبو الفاتك اللطّاع والقطّاع والنّهاش والمدّاد * والدفّاع والمحوِّل ؟ .

---

(١٠) تبح ك — (١١) الغذى ك — (١٤) قالوا ، صححنا : قال ك (١٦) [نشالا] ك — (١٧) معوراً ك — مسرعاً ك — (١٨) ميغلا ك — [ولمداد] ك .

والله إنى لأفضِّل الدهاقين حينَ عابوا الحسو ، وتقزَّزوا من التعرُّق ، وبَهْرَجوا صاحبَ التمشيش ، وحين أكلوا بالبارجين** ، وقطَعوا بالسكِّين ، ولزموا عند الطعام السكتَة ، وتركوا الخوْضَ ، واختاروا الزمزمة** .

أنا والله أحتملُ الضيفَ والضَّيْفَن ، ولا أحتملُ اللُّعْموظ ولا الجرْدَبيل** . والواغِل أهوَنُ علىَّ من الراشن .

ومن يشكّ أن الوِحدةَ خيرٌ من جليس السوء ، وأنّ جَليس السُّوء خيرٌ من أكيل السوء* ؟ لأن كلّ أكيل جليس ، وليسَ كلُّ جليس أكيلا . فإن كان لابد من المؤاكلة ، ولا بدَّ من المشاركة ، فمع من لا يَسْتَأثر علىّ بالمخّ ، ولا ينتهزُ بَيْضةَ البَقيلة ، ولا يلتهم كبِد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دِماغ رأس السُّلاءة* ، ولا يختطفُ كُلية الجَدى . ولا يزدردُ قانِصةَ الكُركيِّ ، ولا ينتزِع شاكِلة الحَمل ، ولا يقتطع سُرّة الشِّيصان* ، ولا يعرِض لعيون الرؤوس ، ولا يستَوْلى عَلَى صُدور الدجاج ، ولا يُسابقُ إلى أسقاط الفراخ ، ولا يتناوَلُ إلَّا مابينَ يديه ، ولا يلاحظُ مابين يدىْ غيره ولا يتشهّى الغرائب ، ولا يمتَحِن الإخوانَ بالأمور الثمينة ، ولا يهتِكُ أستار الناس بأن يتشهَّى ماعسى ألَّا يكونَ موجوداً .

وكيف تصلُح الدنيا ، وكيفَ يطيبُ العيش ، مع مَن إذا رأى جَزُورية التقط الأكباد والأسنِمة ، وإذا عاين بقريَّة استولى على العِراق* والقِطْنة ، وإن أتوا بجَنب شِواء اكتَسَح كلّ شيء عليه . لا يرحَمُ ذا سنّ لضعفِه ، ولا يرقُّ على حَدَثِ لحدَّة شَهْوته ، ولا ينظرُ للعِيال ، ولا يبالى كيفَ دارت بهم الحال . وإن كان لابدَّ من ذلك ، فمع من لا يجعلُ نصيبَه فى مالى أكثرَ من نصيبى .

(٦ – ٧) وأن . . . السوء ، (العقد) : وأن أكيل السوء خير من جليس السوء ك – (٩) السلافة ك – (١١) الشيصان ، صححنا : الشصان ك ، السمك (العقد) ، الشصر (فان فلوتن) – (١٦) العرق ك .

(٦ – ١٢) « الوحدة . . . الفراخ » ثمار القلوب للثعالبى ص ٣٩٣ ، ط الظاهر ، القاهرة ، ١٩٠٨ م – (٦ – ص ٦٩ : ٨) « الوحدة . . . الدم » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٣ – ٢٥٤.

وأشدّ من كل ما وصفنا ، وأخبثُ من كلّ ما عَدَدْنا ، أنّ الطبّاخ ربما أتى باللون الطريف ، وربّما قدّم الشيء الغريب ، والعادةُ فى مثل ذلك اللون أن يكونَ لطيفَ الشخص ، صغيرَ الحجْم ، وليسَ كالطفْشيليّة ، ولا كالهَريسة ، ولا كالفجليّة ، ولا كالكرنبيّة ؛ وربما عُجِّل عليه ، فقدّمه حاراً مُمتنِعاً ، وربّما كانَ من جَوْهَرٍ بطىء الفُتور وأصحابى فى سُهولة ازْدِرادِ الحارّ عليهم فى طِباع النعام ، وأنا فى شدّة الحارّ علىّ فى طِباع السباع . فإن انتظرتُ إلى أن يُمكنَ أتوا على آخِره ، وإن بَدَرْتُ مخافةَ الفوْت ، وأردتُ أن أشارِكَهم فى بعضِه ، لم آمَن ضَرَره . والحارُّ ربّما قتل ، وربّما أعقَم ، وربّما أبال الدم .

ثم قال : هذا علىٌّ الأسوارىّ ، أكل معَ عيسى بن سُليمان بن على ** ، فوضعتْ قُدّامَهم سَمَكة عجيبة ، فائقة السِّمَن ، فجلَط بطنها جلطةً * ، فإذا هو يكتنِز شَحْماً . وقد كان غَص بلُقمة — وهو المستسقى * — ففَرغ من الشراب ، وقد غَرَف من بطنها كلُّ إنسان منهم بلقمته غرفة . وكان عيسى ينتخبُ الأكَلَة ، ويختارُ منهم كلَّ مَنهوم فيه ومفتونٍ به . فلما خاف علىٌّ الأسْوارىّ الإخفاق ، وأشفَقَ من الفَوْت — وكان أقربهم إليه عيسى — استلَب من يده اللُّقمة بأسرع من خَطْفةِ البازى وانكِدار العُقاب ، من غير أن يكونَ أكلَ عندَه قبل مَرَّتِه . فقيل له : وَيحك ! استلبتَ لقمة الأمير من يدِه ، وقد رفعها إليه وشَحَا لها فاه ، من غيرِ مؤانسة ولا ممازحة سالفة . قال : لم يكن الأمرُ كذلك ، وكذبَ من قال ذلك . ولكنّا أهوَيْنا أيدِينَا معاً ، فوقعت يدى فى مُقدَّم الشّحمة ، ووقعت يده فى مؤخّر الشحمة ، معاً . والشحمُ ملتَبِسٌ بالأمعاء . فلمّا رَفَعنا أيدِينَا معاً ، كنت أنا أسرعَ حركة ، وكانت الأمعاء متّصلة غير متباينة ، فتحوّل كلُّ شىء كان فى لقمته بتلك الجذبة إلى لقمتى ، لاتّصال الجنس بالجنس والجوهر بالجوهر .

وأنا كيف أؤاكل أقواماً يصنعون هذا الصنيع ، ثم يحتجُّون له بمثلِ هذه الحُجَج ؟

---

(١٠) فحلط بطنها لحظة ك — (١١) وهو لمستسق (فان فلوتن)

ثم قال : إنّكم تُشيرون علىّ بِملَابسة شِرار الخلق وأنذال الناس ، وبكلّ عيّاب متعتّب ، ووثّاب على أعراض الناس متسرّع . وهؤلاء لم يرضَوا* أن يدعوَهم الناس ، ولا يَدْعوا الناس ، وأن يأكلُوا ولا يُطعِموا ، وأن يتحدّثوا عن غيرهم ، ولا يبالون أن* يُتحدَّث عنهم ، وهم شِرار الناس .

ثم قال : أجلسَ مُعاوية — وهُو فى مرتبة الخلافة ، وفى السطح* من قُرَيش ، وفى نُبل الهمة ، وأصالةِ* الرأى ، وجَوْدة البيان ، وكمال الجِسم ، وفى تمام النَّفْس عندَ الجولة ، وعندَ تقصُّف الرماح وتَقَطّع السُّيوف — رجُلًا على مائدته ، مجهولَ الدار ، غيرَ معروف النَّسب ، ولا مذكور بيوم صالح . فأبصَرَ فى لُقمتِه شَعرة ، فقال : خُذ الشعرةَ مِن لُقمتك . ولا وَجهَ لهذا القول منه إلّا مَحضُ النصيحة وإلا* الشفقَةَ فقال الرجلُ : وإنّك لتُراعينى مُراعاةَ من يُبصر معهَا الشَّعرة ؟ لا جلستُ لكَ على مائدةٍ ما حييتُ ، ولَأُحكِينَّها عنك ما بقيت . فلم يَدْر الناسُ أىّ أمرَى معاويةَ كان أحسن وأجمل : تغافلُه عنه أم شفقتُه عليه . فكان هذا جزاؤه منه ، وشكرُه له .

ثم قال : وكيفَ أطْعِمُ مَن إن رأيتُه يقصّر فى الأكل فقلتُ له : كل ولا تقصِّر فى الأكل ، * قال : ولم فَطِن* لفضلِ ما بينَ التقصير وغيره ؟ وإن قصّر فلم أنشِّطه ولم أحثّه قال : لولا أنه وافقَ هواه .

ثم قال : ومدَّ رجلٌ من بنى تميم يدَه إلى صاحبِ الشراب يستسقيه ، وهو على خِوان المهلب ، فلم يرَه الساقى ولم* يفطَن له . ففَعل ذلك مِرارًا والمهلَّب يراه . وقد أمسَك عن الأكل إلى أن يُسيغ لقمتَه بالشراب . فلما طال ذلك على المهلَّب قال : اسقِه يا غلام

---

(٢) لعلها : لم يرضوا إلا أن — (٣) ان لا ك — (٥) السطح (فان فلوتن) : السطع لك — (٦) وإصابة (فان فلوتن) — (٩) و [الا] (فان فلوتن) — (١٤) قام ولم يفطن (فان فلوتن) — (١٧) فلم (فان فلوتن)

(٥ — ١١) « اجلس . . . ما بقيت » عيون الأخبار ٣ : ٢٢١ (بإيجاز) . العقد الفريد ٢ : ٤٥٧ ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ما أحبَّ من الشراب. فلما سقاه استقلَّه وطلبَ الزيادةَ منه. وكان المهلَّب أوصاهم بالإقلال من الماء، والإكثار من الخبز. قال التميمىّ: إنك لسريع إلى السقْى، سريعٌ إلى الزيادة. وحبَس يدَه عن الطعام. فقال المهاب: الهْ عن هذا أيُّها الرجل، فإن هذا لا ينفعك ولا يضرُّنا. أردنا أمراً وأردتَ خلافه.

وقد علمتُ أنى دونَ معاوية، ودون المهلَّب بن أبى صُفرة، وأنهم إلىَّ أسرع، وفى لَحمى أرتع.

ثم قال: وفى الجارود بن أبى سبرة** لكُمْ واعظ، وفى أبى الحارث جُمَّين زاجر. فقد كانا يُدعيَان إلى الطعام وإلى الإكرام، لظَرفهما وحَلاوَتهما وحسن حديثهما وقِصَر يومهما. وكانا يتشهَّيان الغرائب، ويقترحان الطرائف، ويكلِّفان الناسَ المؤن الثقال، ويمتَحِنَان ما عندَهم بالكُلَف الشِّداد. فكان جَزاؤهم من إحسانهم ما قد عَلِمتم.

قال: ومن ذلك أنّ بلالَ بن أبى بُردة كان رَجَلا عيَّاباً، وكان إلى أعراض الأشراف مُتسرِّعا، فقال للجارود: كيف طعامُ عبد الله بن أبى عثمان؟ قال: يُعرَف ويُنكر. قال: فكيفَ هو عليه؟ قال يُلاحظ اللقم، وينتهرُ السائل. قال: فكيفَ طعام سَلْم بن قُتَيبة**؟ قال: طعامُ ثلاثة. فإن* كانوا أربعةً جاءوا. قال: فكيفَ طعامُ تَسنِيم ابن الحوارى**؟ قال: نقَط العروس. قال: فكيفَ طعامُ المِنجاب بن أبى عُيينة؟ قال: يقول: لا خيرَ فى ثلاث أصابعَ فى صحْفة*. حتَّى أتى على عامّة أهل البصرة، وعلى كلِّ من كانَ يُؤثره بالدَّعوة وبالأنَسة والخاصّة، ويحكِّمه فى ماله. فلم يَنجُ منه إلَّا من كان يبعده، كما لم يُبتلَ به إلَّا من كان يقرِّبه.

وهذا أبو شُعَيب القلَّال**، فى تقريب مُوَيْس له وأنسه به، وفى إحسانه إليه، مع سَخائه على المأكول، وغَضِّ طرفه عن الأكيل، وقلة مبالاته بالحفظ، وقلَّة احتفاله بجَمع الكثير — سُئلَ عنه أبو شُعَيب فزَعمَ أنه لم يَرَ قط أشحَّ منه على الطعام. قيل:

(١٤) وان (فان فلوتن) — (١٦) صفحة (فن فلوتن).

وكيفَ ؟ قال : يدلّك على ذلك أنّه يصنَعُه صَنعةَ ، ويهيّئهُ تهيئةَ من لا يُريد أن يُمَسَّ ، فضلا على غير ذلك . وكيف يجترئُ الضِّرس على إفساد ذلك الحُسن ، ونقضِ ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف ، وقد عَلِم أن حُسنه يُحشم ، وأن جماله يهيِّب منه . فلو كان سخيًّا لم يَمنع منه بهذا السِّلاح ، ولم يجعل دونه الجُنَن . فحوَّل إحسانه إساءة ، وبذلَه منعاً ، واستدعاءه إليه نهياً .

قال : ثم قيل لأبى الحارث جُمّين : كيفَ وجهُ محمّد بن يحيى** على غَدائه ؟ قال : أمّا عَيناه فعينا مجنون . وقال فيه أيضاً : لو كان فى كفّه كُرُّ خَردل ، ثم لَعِب به لَعِب الأُبُلىّ بالأكرة ، لما سقَطتْ من بَين أصابعه حبَّة واحدة . وقيل له أيضاً : كيفَ سَخاؤه على الخبز خاصّة ؟ قال : والله لو ألقِىَ إليه من الطعام بقَدْر ما إذا* جَدَس نَزَف السحاب لَوْ ثَرَّ* ، ما تجافى عن رَغيف .

وكان أبو نُواس يرتعى على خِوان إسماعيلَ بنِ نُيْبَخت** ، كما ترتعى الإبل فى الحَمض بعد طول الخَلَّة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبزُ إسماعيلَ كالوَشْـ ـى إذا ما شُقَّ يُرفا

وقالَ :

وما خبزُه إلّا كُليبُ بنُ وائل ليالىَ يحمِى عزُّه منبِت البَقلِ

وكان أبو الشَمَقْمق** يعيب فى طعام جَعفر بن أبى زُهير ، وكان له ضِيفانٌ* فى ضيافة جعفر . وهو مع ذلك يقول :

---

(٩) جلس نزف السحاب يوثر ك ، جلس فوق السحاب يور (فان فلوتن) — (١) ضيفا (فان فلوتن) .

---

(١٣) « خبز . . . يرفا » الديوان ص ١٤١ ط الحميدية المصرية ، ١٣٢٢ هـ ، عيون الأخبار ٣ : ٢٤٨ ، العقد ٤ : ٢٢٥ ، ط الأزهرية ، ٦ : ١٩١ ط لجنة التأليف ، نهاية الأرب ٣ : ٣٢١ ط دار الكتب المصرية (١٥) « وما خبزه . . . البقل » نهاية الأرب ٣ : ٣٢٢

رأيتُ الخبزَ عزَّ لديك حتَّى حسبتُ الخبز فى جو السحابِ
وما روَّحتنا لتذبَّ عنـــا ولـكن خِفتَ مَرزئة الذُّباب *

وقيل للجمّاز : رأيناك فى دِهليز فلان ، و بين يَديْك قَصعة ، وأنت تأكل ، فمن أىّ شىء كانت القصعة ، وأىّ شىء كان فيها ؟ قال : قِىء كلب فى قِحف خنزير .

وقيل لرجُل من العرب : قد نزلتَ بجميع القبائل ، فـكيفَ رأيتَ خُزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث .

ونزل عمرُو بنُ مَعدى كرِب برَجُل من بنى المُغيرة — وهم أكثرُ قريش طعاماً — فأتاه بما حَضَر — وقد كان فيما أتاه به فضل — فقال لعمرَ بن الخطّاب، وهم أخواله : لِئام * بنى المغيرة يا أميرَ المؤمنين . قال : وكيفَ ؟ قال : نزلتُ بهم فما قَرَونى غير * قوسٍ وكعبٍ وثور * . قال عمر : إن ذلك لشبعة .

وكم قد رأينا من الأعراب < * من > نزل برَبٍّ صِرْمة ، فأتاه بلَبَن وتمر وحَيْس وخبز وسَمْنٍ سِلاء ، فبات ليلتَه ثم أصبح يَهجوه : كيف لم ينحرْ له — وهو لا يعرفه * — بعيراً من ذَوْده أو من صِرمته . ولو نحرَ هذا البائسُ لـكلِّ كلب مرّ به بعيراً * من مخافة لسانه * ، لما دار الأسبوع إلاّ وهُو يتعرَّض للسابلة * ، يتكفّف الناس ، و يسألهم العُلَق * .

وسأل زيادٌ عن رَجل من أصحابه فقيل : إنه لملازِم ، وما يُغِبُّ غَداء الأمير . فقال زياد : فليُغِبَّه ، فإن ذلك مما يضرُّ بالعيال . فألزَموه الغِبّ . فعابوا زيادًا بذلك . وزعموا أنه استَثْقَل حُضورَه فى كل يوم ، وأراد أن يزجُر به غيره ، فيُسقط عن نفسه وعن

(٢) آخر السقط فى ب — (٩) العام ب — قرنين وكعب ثور ك قرنين وكعب وثور ب — (١١) < من > ساقطة فى ك و ب — (١٢) لا يعرف ك ب — (١٣–١٤) [من مخافة لسانه] ب — (١٤) للسؤال ب — [العلق] ب .

(١ – ٢) « رأيت . . . الذباب » الحيوان ٣ : ٣١٧ ، ط مصطفى البابى الحلبى ، عيون الأخبار ٢ : ٣٦ ، العقد ٤ : ٢٢٥ ط الأزهرية ، ٦ : ١٩١ ط لجنة التأليف ، البخلاء للخطيب ، ورقة ٣٦ ، ٣٧ — (٢) « وما روحتنا . . . الذباب » المحاسن والمساوى ١ : ٢٠٣ ، ط السعادة ، ١٩٠٦ م ، منسوباً إلى أبى نواس — (٩ — ١٠) « نزلت . . . وثور » لسان العرب ، مادة ث ور

ماله مؤنة عظيمة . وإنما كان ذلك من زياد على جهةِ النظَر للعيالات * ، وكما ينظُر الرّاعى للرعيَّة ، على * مذهبِ عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه * . وقد قال الحسَن : تشبَّه زيادٌ بعمرَ فأفرط ، وتشبّه الحجّاج بزيادٍ فأهلك الناس . فجعلتُم ذلك عيباً * منه .

وقال يوسُف بنُ عُمرَ ** لقوّام موائده : أعظموا الثريدة ، فإنّها لُقمة الدرداء . فقد يحُضر طعامَكم الشيخُ الذى قد ذهب فمه ، والصبيُّ الذى لم يُنبِت * فمه . وأطعِموهم * ما يَعرفون ، فإنه أنجعُ وأشفى للقرَم . فقلتم : إنّما أراد العَجَلة والراحة ، بسُرعة الفراغ ، وأن يكيدهم * بالثريد ، ويَملأ صدورَهم بالعراق . وقد قال رسولُ الله — صلّى الله عليه وسلم — : سيِّدُ الطعام الثريد . ومثَلُ عائشة فى النساء مثَلُ الثريد فى الطعام . ولعِظَم صفة * الثريد فى أعين قريش سمَّوا عَمْرَو بن عبد مناف بهاشِمَ ، حين هَشَمَ الخبز واتخذ منه الثريد ، حتّى غَلَب عليه الاسمُ المشتقُّ له من ذلك .

وقال عَوفُ بنُ القَعْقاع ** لمولاه : اتخذْ لنا طعاماً يُشبِع فضلُه أهلَ الموسم . قلتم : فلمّا رأى الخبزَ الرِّقاق والغِلاظ والشواء والألوان ، واستطرافَ الناس للّون بعدَ اللون * ، ودوامَ أكلهم لدوام الطُّرَف ، وأن ذلك لو كان لوناً واحداً لكان أقلَّ لأكلهم ، قال : فهلاّ جعلتَه * طعامَ يد ، ولم تجعلْه طعام يدَيْن . فقلتم : اتّسع ثمّ ضاق ، حين أراد إطعامهم الثريدَ والحَيْس ، وكلّ ما يُؤكل بيدٍ دونَ يدين . و < ابن > * القعقاع عربىّ كَرِه لمولاه أن يرغَب عن * طَعام العرَب إلى طَعام العجم ، وأراد دوامَ قومِه على مثلِ

---

(١) للعيال ب — (٢) وعلى ك — [رضى الله عنه] ب — (٣) عنتا (فان فلوتن) — (٥) يثبت ب — وأطعموه (فان فلوتن) — (٧) يصدرهم ب — (٩) صنعة ك — (١٢) لوناً بعد لون ب — (١٤) فعلته (فان فلوتن) — (١٥) و < ابن > القعقاع ، صححنا : والقعقاع ك ب — (١٦) من (فان فلوتن)

(٢—٣) « قال الحسن . . . الناس » البيان والتبيين ٢ : ٣١ ، ط الفتوح الأدبية ، عيون الأخبار ١ : ٣٢١

ما كانوا عليه . وعلى أن الترفة * تفتّخهم * وتُفسدهم ، وأنّ الذى فُتح عليهم من باب الترفة أشدُّ عليهم مما أغلق * عليهم من باب فُضول اللذة . وقد فَعَل عمرُ من جِهة التأديب أكثر من ذلك ، حين دُعِى إلى عُرس ، فرأى قِدراً صفراء وأخرى حمراء ، وواحدة ٣ مُرَّة وأخرى حُلوة ، وواحدة محمَضة . فكدَرها كلّها فى قِدر عظيمة . وقال : إن العربَ إذا أكلت هذا قتلَ بعضُها بعضاً .

---

(١) الترفة ، صححنا : التردة ك ، الثروة (فان فلوتن) ، الفرقة ب — تفتخهم : كذا الأشبه فى ك ، تفنخهم (فان فلوتن) ، تفتحهم ب . وقارن فى هذا نص الجاحظ فى البيان والتبين ٣ : ١٠ (ط ١٩٣٢) : « . . . كراهية أن يتكلوا على بعض ما يورثهم الاسترخاء والتفتخ ، ويضاهئون أصحاب الترفة والنعمة » — (٢) غلق (فان فلوتن) .

تفسير كلام أبى فاتك

أما قوله : الفتى لا يكونُ نشّالا ، « فالنشال » عنده : الذى يتناوَلُ من القِدر ، ويأكُل قبلَ النُّضج ، وقبلَ أن تنزِل القِدر ويتتامّ القوم .

و « النشّاف » : الذى يأخذُ حَرفَ الجِرذقة ، فيفتحُه ، ثم يغمسُه فى رَأس القِدر ، ويشرِّبه الدسَم . يستأثِر بذلك دون أصحابه .

و « المِرسال » رجلان : أحدهما إذا وضعَ فى فيه لُقمة هريسة أو ثَريدة أو حَيْسة أو أرُزَّة ، أرسلها فى جَوْف حَلقه إرسالاً . والوجهُ الآخر : هو الذى إذا مَشَى فى أشَب من فَسيل أو شَجَر ، قَبضَ على رأس السَّعَفة ، أو على رأس الغصن ، لينَحِّيها عن وجهه ، فإذا قضى وطرَه أرسلها مِن يده . فهى لامحالةَ تصكُّ وجهَ صاحبِه الذى يتلوه ، لايحفلُ بذلك ، ولا يعرف ما فيه .

وأما « اللكّام » : فالذى فى فيه اللُّقمة ، ثم يلكُمها بأخرى قبلَ إجادة مضغها أو ابتلاعها .

و « المصّاص » : الذى يمصُّ جوفَ قَصَبة العَظم ، بعد أن استخرجَ مخّه ، واستأثر به دون أصحابه .

وأما « النّفّاض » : فالذى إذا فَرَغ من غسل يده فى الطَّست نَفَض يديه من الماء ، فنضح على أصحابه .

وأما « الدلّاك » : فالذى لا يجيدُ تنقيَة يَدَيه بالأشْنان ، ويجيدُ دَلكها بالمِنديل .

وله أيضاً تفسير آخر ، وليس هو الذى تظنّه ، وهو مليح ، وسيقع فى موضعه إن شاء الله .

---

(١) أولَ سقط فى ب ينتهى عند قصة الكندى – (٤) والمنساف ك – (٦) فه (فان فلوتن) – (٩) وإذا (فان فلوتن) – (١٨) تظنه (مرسيه) : نظنه ك ، نظنه (فان فلوتن) .

و «المقوّر» : الذى يقوِّر الجراذِق، ويستأثر بالأوساط ، ويدَعُ لأصحابه الحروف .

و « المغربِل » : الذى يأخذُ وِعاء الملح ، فيديرُه إدارةَ الغِربال ليجمعَ أبازيره ، يستأثرُ به دونَ أصحابه . لا يبالى أن يدعَ مِلحهم بلا أبزار .

و «المحلقم» : الذى يتكلّم واللُّقمة قد بلَغت حُلقومه . نقول لهذا : قبيح ! دع الكلام إلى وقت إمكانه .

و « المسوِّغ» : الذى يُعظّم اللُّقَم ، فلا يزالُ قد غَصَّ ، ولا يزال يسيغه بالماء .

و «الملغِّم*» : الذى يأخذ* حُروف الرغيف، أو يغمزُ ظهرَ التمرة بإبهامه : ليحمِلا* له من الزُّبد والسمن ، ومن اللِّبَأ واللبن ، ومن البَيْض النيمبرشت ، أكثرَ .

و « المخضِّر » : الذى يدلُك يَدَه بالأُشْنان من الغَمَر والوَدَك ، حتى إذا اخضَرَّ واسوَدَّ من الدَّرَن ، دلَك به شفتَه .

هذا تفسيرُ ما ذكَرَ الحارثىّ من كلام أبى فاتك ، فأما ما ذكره هو* :

فإنّ « اللطّاع » معروف ، وهو الذى يلطَع إصبعه ، ثم يعيدُها فى مَرَق القوم أو لبنهم أو سَويقهم وما أشبهَ ذلك .

و « القطّاع » : الذى يعَضُّ على اللُّقمة ، فيقطَع نِصفَها ، ثمّ يغمسُ النصفَ الآخَر فى الصّباغ .

و « النهّاش » : هو* معروف ، وهو الذى ينهش اللحمَ كما ينهشُ السبعُ .

و « المدّاد » : الذى ربما عضَّ على العَصَبة التى* لم تنضَج ، وهو يمدُّها بفيه ، ويدُه توتِّرها له. فربَّما قطَعها* بنَتْرة ، فيكون لها انتضاحٌ على ثَوْب المؤاكل . وهو : الذى إذا أكل مع أصحابه الرُّطَب أو التمر أو الهريسة أو الأرُزَّة ، فأتى على ما بين يديه ، مدَّ ما بين أيديهم إليه .

و « الدفّاع » : الذى إذا وَقَع فى القصعة عظمٌ ، فصار مما يليه ، نحّاه بلقمة من الخبز ،

---

(٧) الملغم : المبلغم ك – أخذ (فان فلوتن) – ليحملان ك – (١١) [هو] (فان فلوتن) – (١٦) وهو (فان فلوتن) – (١٧) العصب الذى ك – (١٨) قطعه ك .

حتى تصير مكانه قطعة من لحم . وهو فى ذلك كأنه يطلب بلُقمته تشريبَ المرق ، دون إراغة اللحم .

٣ و«والمحوِّل» : هوالذى إذارأى كثرةَ النوى بين يَديه ،احتال له حتى يخلِطَه بنوى صاحبه.

وأما ما ذكره < من > * الضيف والضَّيْفن ، فإنّ الضيفنَ ضيفُ الضيفِ . وأنشدَ أبو زيد :

٦ إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيْفَن فأودَى بما يُقرَى الضيوفُ الضيافِن

يقول : الأكيل لا يكون إلاّ بالمعاينَة ، وقد يكونُ الضيفُ — وإن كان < معه الضيفن > * — لا يؤاكل من أضافه. يقول : فأكل الكثيرمن حيثُ لا أراه ٩ أهونُ علىّ .

وأما قوله : « * الواغل أهونُ علىّ من الرّاشِن * » فإنه يزعمُ أنّ طفيلى الشراب أهونُ علىّ * من طفيلىّ الطعام .

١٢ وقول الناس فلانٌ طفيلىٌّ ليس من أصول كلام العرب ، ليس كالراشن واللُّموظ . وأهل مكة يسمُّونه البُرَقىّ .

وكان بالكوفة رجلٌ من بنى عبدِ الله بن غَطَفان يسمّى « طُفَيل » ** : كان أبعد ١٥ الناس نُجعة فى طَلَب الولائم والأعراس ، فقيل له لذلك « طفَيل العرائس » ، وصار ذلك نَبْزاً له ، ولقباً لا يُعرَف بغيره . فصار كلُّ من كانت تلك طِعمته يقال له « طفيلى » . هذا من قَول أبى اليقظان ** .

١٨ ثم قال الحارثى :

وأعجبُ من كلِّ عجَب ، وأطرفُ من كلِّ طريف ، أنكم تشيرون على بإطعام الأكلة ودفعى إلى الناسِ مالى . وأنتم أتركُ لهذا منى . فإن زَعمتم أنى أكثر مالاً ، وأعدّ عُدة ،

---

(٤) < من > ساقطة فى ك — (٨) < معه الضيفن > (فان فلوتن) : ليست فى ك — (١٠) الراشن . . . الواغل ك — (١١) لعله : عليه

---

(١) « إذا . . . الضيافن » تهذيب الألفاظ ص ٦١٧ ، مبادىء اللغة للاسكافى ، ص ٧٢ ، ط السعادة ، القاهرة (٢٠ — ٧٩ : ٣) « وأنتم . . . شطره » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٤ .

فليس بين * حالى وحالكم فى التقارب ، أن أطعمَ أبداً ، وأنتم تأكلُون أبداً . فإذا أتيتم * فى أموالِكم من البذل والإطعام ، على قدر احتمالكم ، عرفتُ بذلك أنّ الخيرَ أردتم ، وإلى تزيينى * ذهبتم . وإلاّ فإنكم إنما تحلِبون حَلَباً لكم شَطره . بل أنتم كما قال الشاعر : ٣

يحبُّ الخمرَ من مال النَّدامَى ويكره أن تفارِقَه الفُلوس

ثم قال :

والله إنى لولم أترك مؤاكلة الناس و إطعامَهم ، < إلا > * لسُوء رِعة على الأسوارىّ ٦ لتركتُه . وما ظنُّكم برَجُل نهَش بَضعة لحم تعرُّقاً ، فبَلَع ضِرسَه وهو لا يعلم . فعل ذلك عند إبراهيمَ بنِ الخطّاب ، مَوْلى سُليم * . وكانَ إذا أكلَ ذهب عقلُه ، وجَحَظت عينُه ،وسكِر وسدِر وانبهر ، وتربّد وجهه . وعَصِب * ولم يسمع ، ولم يبصر ، فلمّا رأيتُ ٩ ما يعتريه وما يعترِى الطعام منه ، صرتُ لا آذَن له إلا ونحن نأكل التمرَ والجوْزَ والباقلّى . ولم يفجَأنى قطّ وأنا آكلُ تَمْراً إلا استفّه سفًّا ، وحساه حسواً ، وزدا به زدْواً * . ولا وجده كنيزاً * إلا تناول القطعة * كجُمْجُمة الثَّور ، ثم يأخذُ بحِضنَيها ، ١٢ ويُقلّها من الأرض . ثم لا يزالُ ينهشُها طولا وعرضاً ، ورفعاً وخفضاً ، حتى يأتىَ عليها جميعاً . ثم لا يقعُ غضبه * إلا على الأنصاف والأثلاث * . ولم يفصِل تَمْرة قطّ من تمرة . وكان صاحبَ جُمَل ولم يكن يرضى بالتفاريق . ولا رَمَى بنواة قطّ ، ولا نزَع قمعاً ، ١٥

---

(١) بين (مرسيه) : من ك — ابيتم ك — (٣) تزيينى (عيون الأخبار) : بوسى ك ، تربيتى (فان فلوتن) — (٦) < الا > (فان فلوتن) : ليست فى ك — (٨) سليمان (فان فلوتن) — (٩) وغصب (فان‌فلوتن) (١٢) وردا به ردوا ك ، وذرا به ذروا (فان فلوتن) — كنيزاً (عيون الأخبار) : كثيراً ك — القطعة (عيون) : القصعة ك — (١٤) عصبه ك ، غضبه (فان فلوتن) ، عضه (عيون) — والاتلاف ك

(٦ — ص ٨٠ : ١) « إنى لو . . . والدود » عيون الأخبار ٣ : ٢٢٩ — ٢٣٠

ولا نفى عنه قشراً ، ولا فتّشه مخافة السوس والدود . ثم ما رأيتُه قطّ إلاّ وكأنه طالبُ ثأر ، وشَحْشحَان صاحبُ طائلة . وكأنه عاشِق مفتَلِم ، أو جائع مقرور .

٣ والله يا إخوتى لو رأيتُ رَجُلا يفسد طين الردَغة ، ويضيع ماء البحر ، لصرفتُ عنه وجهى . فإذا كان أصحابُ النظر وأهل الديانة والفلسفة ، هذه سيرتهم ، وهكذا أدبهم ، فما ظنكم بمن لا يُعدُّ ما يعدّون . ولا يبلغُ من الأدب حيثُ يبلغون .

obeikandl.com

قصة الكندىّ

حدثنى عمرو بن نُهيوىّ قال :

كان الكِنْدىّ لا يزال يقول للساكن ، وربَّما قال للجار : « إنّ فى الدّار امرأة بها حَمْل ، والوحْمى ربما أسقطَت من ريح القِدر الطيِّبة ، فإذا طَبختم فردُّوا شهْوتها ولو بغَرفة أو لَعقة ، فإنّ النفس يردُّها اليسير . فإن لم تفعلْ ذلك بعدَ إعلامى إيّاك ، فكفَّارتك إن أسقطتْ غُرَّة : عبدٌ أو أمة ، ألزمتَ ذلك نفسَك أم أبيت » قال : فكان ربمايوافى إلى منزله مِن قِصاع السكَّان والجيران ما يكفيه الأيام وكان أكثرُهم يفطَن ويتغافَل . وكان الكندىّ يقول لعياله : أنتم أحسن حالاً من أرباب هذه الضياع . إنما لكلّ بيتٍ منهم لوْن واحد وعندكم ألوان .

قال : وكنتُ أتغدَّى عنده يوماً ، إذ دخل عليه جارٌ له . وكان الجارُ لى صديقاً . فلم يعرض عليه الغَداء . فاستَحْييت أنا منه فقلتُ : لو أصبتَ معنا ممَّا نأكل . قال : قد — والله — فعلت . قال الكِندى : ما بعد الله شىء . قال : فكَتفه والله — يا ناعثمان — كَتْفاً لا يستطيعُ معه قَبضاً ولا بَسْطاً ، وتَركه ولو أكل لشَهِد عليه بالكُفر ، ولكان عندَه قد جَعل مع الله شيئاً .

قال عَمْرو : بينا أنا ذاتَ يوم عندَه إذ سَمع صوت انقلابِ جرَّة مِن الدار الأخرى : فصاح : أىْ قصاف ! فقالت ، مجيبَةً له : بئر وحياتك ! فكانت الجارية فى الذكاء ، أكثرَ منه فى الاستقصاء .

---

(٧) [و] كان ك ، < وان > كان (فان فلوتن) — (٩) فلن ب — (١٠ — ١٤) [قال وكنت . . شيئاً] ب — (١٦) < ماء > بئر ب

(٢ - ٦) « قال كان . . . أمة » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٨

قال مَعبد : نزلنا دارَ الكِندىِّ أكثرَ من سَنة ، وتزوَّج له الكِراء ونقضى له الحوائج ، ونفى له بالشرط . قلت : قد فهمتُ ترويج الكراء ، وقضاءالحوائج . فما مَعْنى الوفاء بالشرط ؟ قال : فى شَرطه على الشُّكَّان أن يكونَ له رَوْثُ الدابة ، وبعرُ الشاة ونَشْوار العلوفة ، وألا يُلقوا عظماً ، ولا يخرجو كُساحة . وأن يكون له نَوى التمر ، وقشورُ الرُّمان ، والغَرفةُ من كلِّ قدر تطبخ للحبلى فى بيته . وكان فى ذلك يتنزَّل عليهم. فكانوا لطِيبه و إفراط بُخله وحُسنِ حديثه يحتملون ذلك .

قال معبد : فبينا أنا كذلك إذ قدم ابن عمٍّ لى ومعه ابنٌ له ، وإذا رقعةٌ منه قد جاءتنى : « إن كان مُقام هذين القادِمين ليلةً أو ليلتين ، احتملناذلك . وإن كان إطماعُ الكَّان فى الليلة الواحدة، يجرُّ علينا الطمعَ فى الليالى الكثيرة » . فكتبتُ إليه : « ليس مقامُهما عندَنا إلا شهراً أونحوه » . فكتب إلىَّ : « إنَّ دارَك بثلاثين درهماً، وأنتم ستَّة ، لكلِّ رأس خمسة . فإذ قد زدتَ رَجُلين، فلابدَّ من زيادة خمستين . فالدارُ عليكَ من يومِك هذا بأربعين » . فكتبتُ إليه : « وما يضرُّك من مقامُهما ، وثقلُ أبدانهما على الأرض التى تحمِل الجبال ، وثقلُ مَؤنتهما علىَّ دونك ؟ فاكتب إلىَّ بعُذرك لأعرفَه » .ولم أدر أنى أهجُم على ما هَجَمت، وأنى أقع منه فيما وقعت فكتب إلى :

« الخصالُ التى تدعو إلى ذلك كثيرة ، وهى قائمة معروفة . من ذلك سرعةُ امتلاء البالوعة ، وما فى تنْقِيتها من شدَّة المؤنة . ومن ذلكأنّ الأقدامَ إذا كثُرت ، كثُر المشىُ على ظهور السُّطوح المطيَّنة ، وعلى أرض البيوت المجصَّصة ، والصعودُ على الدَّرَج الكثيرة. فينقشِر لذلك الطين ، وينقلِع الجصّ، وينكسر العَتَب. مع انثِناء الأجذاع لكثرةالوطء وتكسُّرهاالفرْط الثقل . وإذا كثُرالدُّخول والخروجُ والفتحُ والإغلاقُ والإقفالُ وجذبُ الأقفال، تهشمت الأبواب وتقلَّعت الرزَّات . وإذا كثُر الصِّبيان، وتضاعف البوْش

---

(١) يأخذ الكرى ب – (٢) أخذ ب – (٤) يخرجوا لك – [ولا . . . كساحة] ب – (٧) [و] إذا ك – (٨) < وفيها > ان ب – (١١) واحد ب – (١٧) ظهر ب – (١٩) وجدت ب – (٢٠) والأبواب تقلعت ب – [الرزات] ب – البوس ت

(١ – ٦) « قال معبد . . . ذلك » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ .

نُزِعَت مسامير الأبواب ، وقُلِعت كلّ ضَبَّة ، ونزعت كلّ رَزَّة ، وكسرت كل حَوزة ، حفر فيها آبار * الزدو * ، وهشّموا بلاطَها بالمداحى . هذا مع تخريب الحيطان بالأوتاد وخَشَب الرفوف .

و إذا كثُر العيالُ والزوّار ، والضِّيفان والنُّدَماء ، احتيج من صَبِّ الماء واتِّخاذ الحبَبَة القاطرة ، والجرار الرَّاشحة ، إلى أضعاف ما كانوا عليه . فكم من حائط قد تآكّل أسفله ، وتناثر أعلاه ، واسترخى أساسه ، وتداعى بنيانهُ ، من قَطْر حُبٍّ ورشح جرّة ، ومن * فَضل ماء البئر ، ومن سُوء التدبير . وعلى قَدر كثرتهم يحتاجون من الخَبيز والطبيخ ومن الوقُود والتسخين . والنارُ لا تُبقى وَلا تَذَر . و إنما الدورُ حَطَبٌ لها . وكلُّ شيء فيها من مَتاع فهو أُكُل لها . فكم من حريقٍ قد أتى على أصل الغلّة . فكلَّفتم أهلها أغلظ النفقة. ور بّما كان ذلك عند غاية العُسرة ، وَشِدَّة الحال . ور بَّما تعدَّت تلك الجنايةُ إلى دُور الجيران ، و إلى مُجاورة الأبدان والأموال . فلو تَرَك الناسُ حينئذٍ ربّ الدار وَقدرَ بليَّته ومقدارَ مصيبته ، * لكان عَسَى ذلك أن يكونَ مُحتَمَلاً * . ولكنهم يَتَشاءمون به ، وَلا يزالون يَسْتَثقلون ذكره ، ويُكنرون من * لائمته وتَعْنيفه * .

نعم * ثمّ يتَّخذون المطابخَ فى العلالىّ على ظهور السُّطوح ، و إن كان فى أرض الدار فَضل وفى صَحنها متَّسع . مع ما فى ذلك من الخِطار بالأنفس ، والتغرير بالأموال ، وتعرُّض الحُرَم ليلةَ الحريق لأهل الفساد ، وهجُومهم مع ذلك على سِرٍّ مكتوم ، وخبيء مستور : من ضَيفٍ مُستخفٍ ، وربِّ دار مُتَوارٍ ، ومن شراب مكروه ، وَمن كِتاب مُتَّهم ، وَمن مال جمّ أُريدَ دفنُه ، فأعجَلَ الحريقُ أهله عن ذلك فيه * ، ومن حالاتٍ كثيرة ، وأمور لا يحبُّ الناسُ أن يُعرَفوا بها . ثم لا * ينصِبون * التنانير ، ولا يمكِّنون * للقدُور * ، إلّا * على مَتْن السطح ، حيثُ ليسَ بينَها و بينَ القَصَب والخشب إلّا الطينُ الرقيق والشيء

---

(٢) الزدو ك ، الددن (فان فلوتن) — (٦) [و] من ك — (١٢) لكان [عسى] ذلك [أن يكون] محتملا ب — (١٣) لومه ويعنفوه ب — (١٤) [نعم] ب — (١٨) [فيه] ب — (١٩) [لا] ب — [التنانير ولا يمكنون] ب — القدور ب — [إلا] ب .

لا يقى * . هذا مع خِفَّة المؤنة فى إحكامها وأمن القلوب من المتالف بسَبَبها . فإن كنتم تُقْدِمون على ذلك منّا ومنكم وأنتم ذاكرون ، فهذا عَجَب * وإن كُنتُم لم تحفِلوا بما عليكم فى أموالنا ، ونَسيتم * ما عليكم فى أموالكم ، فهذا أعجب .

ثمّ * إن كثيراً منكم يُدافع بالكِراء ، ويماطِل بالأداء . حتّى إذا اجتمعت * أشهرٌ عليه فرَّ وخلّى أربابَها جِياعاً ، يتقدّمون على ما كان من حُسن تقاضيهم وإحسانهم . فكان جزاؤهم وشكرُهم اقتطاعَ حقوقهم ، والذّهاب بأقواتهم .

ويَسكنها الساكنُ حين يسكنُها ، وقد كَسَحناها * ونظّفناها ، لتحسُن فى عَيْن المستأجر ، وليرغبَ فيها الناظر . فإذا خَرَج ترك فيها من بلة وخراباً ، لا تصلِحُه إلا النفقةُ الموجِعة ، ثم لا يدع مَتْرساً إلا سرَقه ، ولا سَلَماً إلا حمله ، ولا نِقضاً * إلا أخذه ، * ولا برادة إلّا مضى بها معه * ، ويَدَعُ * دقّ الثوب ، والدقّ فى الهاون * والمنحاز * * فى أرض الدار . ويدقّ * على الأجذاع والحواضِن والرّواشِن ، وإن كانت الدار مُقرمَدة أو بالآجرِّ مفروشة ، * وقد كان صاحبُها * جَعَل فى ناحيةٍ منها صَخْرة ، ليكون الدقُّ عليها ، ولتكون واقيةً دونها . دعاهم النّهاون والقسوةُ ، والغشُّ والفُسولة إلى أن يدقوا حيث جَلَسوا ، وإلى ألّا يحفِلوا بما أفسدوا . لم يُعط قط لذلك أرْشاً ، ولا استحلّ صاحبَ الدار ، ولا استغفر الله منه فى السرّ . ثم يستكثرُ من نفسه فى السنة إخراجَ عشرة دراهم ، ولا يستكثرُ من رب الدار ألفَ دينار فى الشهر * . أيذكرُ ما يصير إلينا مع قلّته ، ولا يذكرُ ما يصير إليه مع كثرته ؟

* هذا والأيام التى تنقض المبرَم ، وتُبلى الجِدّة ، وتفرِّق الجميع المجتمع ، عاملةٌ فى الدور

---

(١) < الذى > لا يقى ب — (٢) اعجب ك ب — (٣) نسيتم ك — (٤) من ك ب — جمعت (فان فلوتن) — (٧) كنسناهاب — (٩) مسماراب — (١٠) [ولا برادة . . . معه] ب — و < لا > يدع ب ، (فان فلوتن) — المنجاز ك ب ، المنجان (فان فلوتن) — (١١) ويدع ك — (١٢) ويكون صاحب الدار ب — (١٦) الشهر ، صححنا : الشرك ، الشراء ب (فان فلوتن) — (١٨) أول سقط فى ب إلى قوله : ولا تأمنوهم على حال (ص ٩٠ : ١٨)

كما تعملُ فى الصخور ، وتأخذ من المنازل كما تأخذُ من كلِّ رطب ويابس ، وكما تجعلُ الرَّطب يابساً ، واليابس * هشيماً ، والهشيمَ مضمَحِلاً .

ولانهدام المنازل غايةٌ قريبةٌ ، ومدَّة قصيرة . والساكنُ فيها هو كان المتمتعَ بها ، والمنتفعَ بمرافقها . وهو الذى أبلى جِدَّتها و < ذهب > * بجلاها ، وبه هَرِمت وذهبَ عمرها ، لسوء تدبيره . فإذا قسْنا الغُرم عند انهدامها بإعادتها ، وبعد ابتدائها ، وغُرم ما بين ذلك من مرمَّتها وإصلاحها ، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاَّتها ، وارتفَقْنا به من إكرائها ، خرج على المُسكِن من الخُسران ، بقدر ما حصَل للساكن من الربح . إلاّ أن الدراهم التى أخرجناها من النفقة كانت جملة ، والتى أخذناها على جهة الغلَّة جاءت مقطّعة . وهذا مع سُوء القضاء ، والإحواج إلى طُولِ الاقتضاء ، ومع بغض الساكن للمُسكن ، وحبِّ المُسكنِ للساكن . لأن المُسكن يحبُّ صحَّة بدن الساكن ، ونفاقَ سوقه إن كان تاجراً ، وتحرُّك صناعتِه إن كان صانعاً . ومحبَّةُ الساكن أن يشغلَ الله عنه المسكن كيفَ شاء . إن شاء شغله بعينه * ، وإن شاء بزمانه ، وإن شاء بحبْس ، وإن شاء بمَوْت ومدارُ مُناه أن يُشغل عنه . ثمَّ لا يُبالى كيفَ كان ذلك الشُّغل ، إلاّ أنه كلَّما كان أشدّ كان أحبّ إليه ، وكان أجدَر أن يأمَن ، وأخلقَ لأن يسكُن . وعلى أنه إن فترَتْ سُوقُه أو كسَدَت صِناعته ، ألحّ فى طلب التخفيف من أصل الغلَّة ، والحَطيطة ممّا حصل عليه من الأجرة . وعلى أنه إن أتاه اللهُ بالأرباح فى تجارته ، والنَّفاق فى صِناعته ، لم يَرَ أن يزيد قيراطاً فى ضَريبته ، ولا أن يُعجِّل فَلساً قبل وقته .

ثم إن كانت الغلَّة صِحاحاً دفعَ أكثرها مقطَّعة ، وإن كانت أنصافاً وأرباعاً دفعها قُراضه مفتَّتة . ثم لا يدعُ مُزبَّقاً * ولا مكحلاً ولا زائفاً ولا ديناراً بَهْرَجاً إلاّ دسّه فيه ودلّسه عليه ، واحتالَ بكلِّ حيلة ، وتأتَّى له بكلِّ سَبَب . فإن ردُّوا عليه بعد ذلك شيئاً ، حلفَ بالغَموس أنه ليسَ من دراهمه ولا من ماله ، ولا رآه قطّ ولا كان فى مِلكه . فإن كان الرسول

---

(٢) [واليابس] (فان فلوتن) — (٤) و < ذهب > بجلاها ، صححنا : بجلاها ك — (١٢) بغيبه (مرسيه) — (١٩) مرتعاً ك .

جارية ربِّ الدار أفسدها وربما أحبلها ، وإن كان غلاماً خدَعه وربما شَطَر به . هذا مع التشرّف * على الجيران والتعرُّض للجارات ، ومع اصطياد طُيورهم وتعريضنا لشكايتهم . وربَّما استضْعَفَ عقولهم ، وطمع فى فَسادهم وعَيْبهم . فلا يزال يضربُ لهم بالإسلاف ، ويُغريهم بالشهَوات ، ويفتحُ لهم أبواباً من النفقات ، ليُغْيِيَهم * ويربح عليهم . حتى إذا استَوْثَق منهم ، أعجلهم وحزَق بهم ، حتى يتَّقُوه ببَيْع بعض الدار ، أو باسْتِرْهان الجميع ، ليربحَ — مع الذهاب بالأصل — السلامة ، مع طول مُقامه — ، من الكراء . وربما جعله بيعاً فى الظاهر ، ورهناً فى الباطن ، فحينئذٍ يقتضيهم * دون المهلة ، ويدَّعيها قبل الوقت .

وربَّما بلغ من استِضْعافه واستِثْقاله لأداء الكِراء ، أنْ يدعى أن له شَقِيصاً وأن له يداً ليصيرَ خَصْماً من الخصوم ، ومنازعاً غير غاصب . وربما أخذهم * ومعه امرأةٌ يفجرُ بها ، فيجعَلُ استئجارَ البيوت وتصفُّح المنازل ، علة لدُخولها والمقام ساعة فيها . فإذا استقرّ فى المنزل ، قَضى حاجتَه منها ، وردَّ المفتاح . وربما اكترى المنزلَ وفيه مرمَّة ، فاشترى بعضَ ما يُصلِحُها ، ثم يتوخّى عاملاً * جيِّدَ الكُسوة ، وجيراناً * أصحابَ آنية وآلة ، فإذا شُغِل العاملُ وغَفَل ، اشتَمَل على كلِّ ما قدَر عليه ، وتركهم يتسكّعون . وربما استأجَر إلى جَنْب سجن لينقُب أهلُه إليه ، وإلى جَنب صرّاف لينقبَ عليه ، طلباً لطُول المُهلة والستر ، ولطول المدة والأمن . وربَّما جَنى الساكنُ ما يَدْعو إلى هَدْم دار المُسكن ، بأن يقتل قتيلاً أو يجرَح شريفاً ، فيأتى السلطانُ الدَّار — وأربابُها إمّا غُيَّب وإما أيتام وإما ضُعَفاء — فلا يصنع شيئاً دون أن يسوِّيها بالأرض .

وبعد فالدُّور ملقّاة ، وأربابُها منكوبون ومُلَقَّون . وهم أشدُّ الناس اغتراراً بالناس ، وأبعدُهم غايةً من سَلامة الصدور . وذلك أن من دفَع داره * ونقْضها وساجَها وأبوابها * ، مع حديدها وذهب سقوفها ، إلى مجهولٍ لا يُعرف ، فقد وَضَعها فى مَواضع الغَرَر وعلى

(٢) التشرف ، صححنا : الشرف ك — (٤) ليغيبهم : ليعيبهم ك ، (فان فلوتن) ، ليغنهم (دى جويه) — (٧) يقتضيهم ، صححنا : يقطنهم ك ، يفظ بهم (فان فلوتن) — (٩) كذا فى ك ، ولعلها — كما يدل السياق — : « وربما أخذ < المفتاح > منهم » . (١٢) عاملا (فان فلوتن) : غلاما ك — وجيرانا ك ، ولعلها وصبيانا — (١٩) ونقضه وساجه وأبوابه ك

أعظم* الخطر . وقد صار فى معنى المُودِع ، وصار المُكترِى فى موضِع المودَع . ثم . ليستْ الخيانة وسُوء الوَلاية إلى شىء من الوَدائع أسرعَ منها إلى الدور . وأيضاً إنّ أصلح السكان حالاً من إذا وجد فى الدار مَرمّة ففوّضوا* إليه النفقة ، وأن يكونَ ذلك محسوباً ٣ عند الأهلّة ، الذى* يُشفِّف فى البناء ويزيد فى الحساب . فما ظنّك بقوم هؤلاء أصلحُهم وهم خِيارهم . وأنتم أيضاً ربما* أكْرَيتُمْ* مستَغلّات غيركم ، بأكثرَ مما اكتريتموها منه . فسِيروا فينا كسيرتِكم فيهم ، وأعطونا من أنفُسِكم مثلَ ما تريدونَه* ٦ منهم . وربما بنيتُم فى الأرض ، فإذا صار البناء بنيانَكم — وإن كانت الأرضُ لغيركم — ادّعيتم الشركة ، وجعلتموه كالإجارة ، وحتى تصيِّروه كتِلاد مال أو مُورَث* سَلَف . ٩

وجُرمٌ آخر ، وهو أنكم أهلكتُم أصول أموالنا ، وأخربتم غلّاتِنا ، وحطَطتم بسُوء معاملتِكم أثمان دورنا ومُستَغلّاتنا ، حتى سَقَطت غلاتُ الدور من أعين المياسير وأهل الثّروة ، ومن أعيُن العوامّ والحُشوة . وحتى تدافعوكم بكل حيلة ، وصرّفوا أموالهم فى كلّ وجه ، وحتّى قال عُبَيد اللهِ بنُ الحسن قولا أرسله مَثَلا ، وعاد علينا حجّة وضررا . ١٢ وذلك أنه قال: « غلّة الدار مسكة* وغلّة النخل كَفاف، وإنما الغلّة غلّة الزرع والنّسولتين». وإنما جرّ ذلك علينا حسنُ اقتِضائنا ، وصَبرُنا على سوء قضائكم . وأنتم تقطّعونها علينا وهى عليكم مُجملة ، وتُلوونا بها وهى عليكم حالّة . فصارت كذلك* غلّات الدور ١٥ — وإن كانت أكثرَ ثمناً ودَخْلاً — أقلّ ثمناً وأخبثَ أصلاً ، من سائر الغلّات .

فأنتم* شرٌّ علينا من الهِند والروم ومن التُّرك والدَّيْلم ، إذ كنتُم أحضرَ أذى وأدومَ

---

(١) عظم (فان فلوتن) — (٣) فوضوا لك ، فوضعوا (فان فلوتن) — (٤) [الذى] (فان فلوتن) — (٥) ربما (مرسيه) : إنما لك — اكبر تم لك — (٦) ترويدونه لك ، تزويدوا به (فان فلوتن) ، ترتادونه (مرسيه) — (٩) موروث (فان فلوتن) — (١٣) مسكة (عيون الأخبار) ؛ مسألة لك — (١٥) لذلك (فان فلوتن) — (١٧) وأنتم (فان فلوتن) .

(١٤) « غلة . . . النسولتين » عيون الأخبار ١ : ٢٥٢ ، العقد الفريد ٣ : ٣٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

شرًّا . ثم كانت هذه صفتُكم وحِلْيتكم ومعاملتُكم فى شىء لا بدَّ لكم منه ، فكيفَ كنتُم لو امتُحِنتم بما لكم عنه مندوحة والوجوه لكم فيه مُعرِضة ، وأنتم فيه بالخيار وليس عليكم طَريقٌ للاضطرار *؟

٣ وهذا مع قولكم : إن نزولَ دورِ الكِراء أصوبُ من نزول دُور الشراء . وقلتم : لأن صاحبَ الشراء قد أغلق رهنَه وأشرط نفسَه ، وصار بها ممتَحناً و بثمنها مرتَهَناً . ومن اتَّخذ دارًا ، فقد أقام كَفيلاً لا يَحفُر وزعيماً لا يغرم . و إن غاب عنها حنَّ إليها ، و إن
٦ أقام فيها ألزمته المُؤَن وعرَّضته للفِتَن : إن أساءوا جوارَه ، وأنكَر مكانَه ، و بَعُدَ مُصلَّاه ، ونأت * عنه سوقُه ، وتفاوتَتْ حوائجُه ، ورأى أنه قد أخطأ فى اختيارها على سواها ، وأنه لم يوفَّق لرُشده حين آثرها على غيرها . و إنَّ من كان كذلك ، فهو عبدُ داره وخوَل جاره.
٩ وأن صاحبَ الكراء الخيارُ فى يده والأمرُ إليه ، فكلُّ دار هى له متنزَّه إن شاء ، ومتجر إن شاء ، ومَسْكن إن شاء . لم يحتَمِل فيها اليسيرَ من الذلّ ، ولا القليلَ من الضَّيْم ، ولا يعرف الهَوَان ، ولا يُسَام الخسْف ، ولا يحترِسُ من الحسَّاد ، ولا يدارى المتعلِّلين .
١٢ وصاحبُ الشراء يجرَّع المُرار ، ويُسْقى بكأس الغيظ ، ويُكدُّ بطلَب * الحوائج ، ويحتَمِل الذّلة و إن كان ذا أنفَة . إن عفا عفا على كظْم ، ولا يُوَجَّه ذلك منه إلّا إلى العَجْز ، و إن رام المكافأة تعرَّض لأكثر مما أنكره . قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —:
١٥ « الجارُ قبل الدار ، والرَّفيق قبلَ الطريق » .

وزعمتُم أنّ تسقُّط الكِراء أهون ، إذا كان شيئًا بعدَ شىء . وأنَّ الشدائد إذا وقعت جُملة ، جاءت * غامرة للقوَّة * فأما إذا تقطَّعُ * وتفرَّق ، فليس يكترثُ لها إلَّا من تفقَّدها
١٨ وتذكرها . ومال الشِّراء يخرج جُملة ، و ثَلمته فى المال واسعة وطَعنته نافذة . وليسَ كلُّ خَرق يُرقَع ، ولا كلُّ خارج يرجِع . وأنه قد أمِن من الحرق * والغَرَق وميل * أسطُوان وانقِصاف سهم واسترخاء أساس وسُقوط سِترة وسوء جوار وحَسَدِ مُشاكل ،

---

(٣) الاضطرار (فان فلوتن) — (٨) ومات (فان فلوتن) — (١٣) ويكد الطلب ك — (١٣) وجاءت ك — لتقوت (مرسيه) : « وجاءت غامرة لتقوت » — انقطع ك — (٢٠) الحرق ك (فان فلوتن) — مثل ك .

وأنه إمَّا لا يزالُ فى بلاء ، و إما أن يكونَ متوقِّعاً لبلاء . وقلتُم : إن كان تاجراً فتصريف ثمن الدار فى وجُوه التِّجارات أربح ، وتحويلُه فى أصناف البياعات أكيَس . وإن لم يكن تاجراً ، ففى ما وصفناه له ناهٍ وفيما عَدَدنا له زاجر . فلم تمنعكم حُرمة المساكنة وحقّ المجاورة والحاجة إلى السُّكنى ومُوافقة المنزل ، أن أشرتُم على الناس بتَرْك الشراء . وفى كَساد الدُّور فَساد لأثمان الدور ، وجُرأة للمستأجر ، واستِحْطاط من الغلّة ، وخسرانٌ فى أصل المال . وزعمتم أنكم قد أحسنتم إلينا حينَ حثثتم الناس على الكِراء ، لما فى ذلك من الرَّخاء والنماء . فأنتم لم تريدوا نفعَنا بترغيبهم فى الكِراء ، بل إنما أردتم أن تضرُّونا بتزهيدِكم فى الشِّراء . وليس ينبغى أن يُحكمعن كلِّ قوم إلا بسبيلهم * ، و بالذى يغلِبُ عليهم من أعمالهم .

فهذه الخصال المذمومة كلّها فيكم ، وكلّها حُجَّة عليكم ، وكلّها داعيةٌ إلى تُهمَتكم وأخذ الحذْر منكم . وليست لكم * خَصلة محمودة ، ولا خَلَّة فيما بيننا و بينكم مَرضيَّة .

وقد أرَيْنا كم أنَّ حُكم النازلين كحُكم المقيمين ، وأنّ كلَّ زيادة فلها نصيبٌ من الغلّة . ولو تغافلتُ لك يا أخا أهل البَصرة عن زيادة رَجُلين لم أُبعِدْك — على قَدْر ما رأيتُ منك — أن تلزمَنى ذلك ، فيما يتبيَّن * ، حتى يصيرَ كِراء الواحد ككِراء الألف، وتصيرَ الإقامة كالظَّعن والتفريغُ كالشغل . وعلى أنى لو كنتُ أمسكت عن تقاضيك وتغافلتُ عن تعريفك ما عليك ، لذهب الإحسانُ إليك باطلا . إذ كنتَ لاترى للزيادة قدراً .

وقد قال الأوّل :

والكُفرُ مَخبَثةٌ لنفس المُنعِمِ

---

(٨) سبيلهم ك — (١١) له (فان فلوتن) — (١٤) سن ك .

---

(١٩) « والكفر . . . المنعم» معلقة عنترة العبسى، والمصراع الأول : « نبئت عمراً غير شاكر نعمتى »

وقال الآخر :

تَبدَّلتُ بالمعرُوف نُكْراً وربَّما تنكّر المعروفِ مَن كان يُكفر

أنت تطالبنى ببُغض المُعتزِلة للشِّيعة ، وبما بينَ أهل الكوفة والبَصرة ، وبالعَداوة التى بين أسد وكِندة ، وبما فى قلبِ الساكن من استثقال المُسكن . وسيُعِينُ الله عليك . السلام » .

قال إسماعيلُ بنُ غَزوان : لله درُّ الكندىّ ! ما كان أحكمَه وأحضرَ حجّته ، وأنصحَ جيبَه وأدوم طريقَته !

رأيته — وقد أقبلَ على جَماعة مافيها إلّا مفسد ، أو من يزيِّن الفسادَ لأهله . مِن شاعر بوُدّه أن الناس كلّهم قد جاوزوا حدَّ المسرفين إلى حُدود المجانين ، ومن صاحب تفقيع واستِئكال ، ومن ملّاق متقرِّب — فقال :

تسمّون من مَنَع المال من وجُوه الخطأ ، وحصَّنه خَوفاً من الغِيلة ، وَحفظه إشفاقاً من الذلّة بخيلا ، تريدون بذلك ذامّه وشينه ؟ وتسمُّون من جَهِل فضلَ الغِنَى ، ولم يعرِف ذلّة الفقر ، وأعطى فى السرَف ، وتهاون بالخطأ ، وابتذَل النعمة ، وأهان نفسَه بإكرام غيره جَواداً ، تريدون بذلك حَمدَه ومدحه ؟ فاتّهموا على أنفسِكم من قدّمكم على نفسه . فإنّ من أخطأ على نَفسه ، فهو أجدرُ أن يخطِئ على غيره ، ومن أخطأ فى ظاهر دُنياه وفيما يوجدُ فى العَين ، كان أجدر أن يخطِئ فى باطنِ دِينه وفيما يوجد بالعقل . فمدحتم من مدح صُنوف الخطأ ، وذَممتم من جَمَع صُنوف الصَّواب . فاحذروهم كل الحذر ولا تأمنوهم على حال .

قال إسماعيل ، وسمعتُ الكِندىّ يقول :

إنما المالُ لمن حَفِظه ، وإنما الغنى لمن تمسّك به . ولحفظِ المال بُنيت الحيطان .

---

(٣) وربما ك — (٩) تفقيع ، صححنا : تنقيع ك — (١٧) مدح ك : جمع (فان فلوتن) — (١٨) آخر السقط فى ب : [هذا والأيام . . . حال] .

وعلّقت * الأبواب واتّخذت الصّناديق ، وعُملت الأقفال ، ونُقِشت الرُّشوم * والخواتيم ، وتُعلِّم الحساب والكِتاب . فَلِمَ يتّخذون هذه الوقايات دونَ المال ، وأنتم آفته وأنتم سوسه وقادحه * ؟ وقد قال الأول ، احرس أخاك إلّا من نفسه ولكن احسُب أنك قد أخذته فى الجواسق * ، وأودَعته الصُّخور ، ولم يشعُرْ به صَديق ولا رسول ولا مُعين . من لك بألا تَكونَ أشدَّ عليه من السارق وأعدى عليه من الغاصب ؟ واجعلْك قد حصَّنته من كلِّ يد لا تملكُه ، كيف لك من أن تحصِّنه من اليد التى تملكه ، وهى عليه أقدَر ودَواعيها * أكثر ، وقد علِمنا أنّ حِفظ المال أشدُّ من جَمعه ؟ وهل أتِيَ الناس إلا من أنفسهم ، ثم ثقاتهم ؟ فالمالُ * لمن حفِظه ، والحسرةُ لمن أتلفه . و إنفاقهُ هو إتلافه ، و إن حسّنتموه بهذا الاسم وزيّنتموه بهذا اللّقب .

*وزعمتُم أنما سمَّينا البخلَ إصلاحاً * والشح اقتصاداً ، كما سمَّى قومٌ * الهزيمة انحيازًا والبِذاء عارِضة، والعَزل عن الولاية صَرْفًا ، والجائرَ على أهلِ الخراج مُستقصياً . بل أنتم الذين سمَّيتم السَّرَف جودًا * ، والنفجَ * أريحيّة، وسوء نظر المرء لنفسه ولعَقِبه كرماً . قال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — : « ابدأ بمن تعول » . وأنتَ تريدُ أن تغنىَ عِيال غيرِك بإفقارِ عِيالك ، وتُسعِد الغريب بشِقوة القَريب ، وتتفضَّل على من لا يعدِل عنك ، ومَن لو أعطيتَه أبداً لأخذ أبدًا .

قد عَلِمتم ما قال صاحبُنا لأخى تَغلِب ، فإنه قال : يا أخا تغلِب إنى والله كنت أجرى ماجرى هذا الفِيل ، وأجْرى وقد انقطَع النّيل . إنى والله لو أعطيتُك ، لما وصلت إليك ، حتى أتجاوزَ من هو أحقُّ بذلك منك . إنى لو أمكنتُ الناسَ مِن مالى لنَزَعوا

---

(١) وغلقت ب — الرشوم ب : الرسوم ك — (٣) قارحه (فان فلوتن) — (٤) الجواسيق ب — (٧) ودواعيه ك ب — (٨) والمال (فان فلوتن) — (١٠) أول سقط فى ب — صلاحا (فان فلوتن) — يوم ك — (١٢) السر وجودا ك — والنفح ك ، والنفخ (فان فلوتن) —

(٩٠ : ٢٠ — ٩١ : ٢) « ولحفظ المال . . . سوسه » الإشارة إلى محاسن التجارة ص ٦٧ ، ط المؤيد — (١٦—٩٢ : ١) « قد علمتم . . . ما منحته الناس » العقد الفريد ٣ : ٢٣٩ .

دارى طُوبة طُوبة . إنه والله ما بَقِىَ مَعى منه إلا ما منعتُه الناس . ولـكنّى أقول : والله إنى* لو أمكنتُ الناسَ من نَفسى لادّعوا رقّى ، بعد سَلب نِعمتى .

قال إسماعيل : وسَمعته يقول :

عجبت لمن قلّت دراهمُه كيفَ ينام . ولـكن لايستوى من لم يَنم سروراً ، ومن لم ينم غمًّا . ثم قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى وصيّة المرء يومَ فقره وحاجَته ، وقبلَ أن يُغَرغر : « الثلثُ ، والثلثُ كثير » . فاستحسَنت الفُقَهاء ، وتمنّى الصالحون أن نَغُضَّ* من الثلُث شيئاً ، لاستِكثار رَسول الله — صلى الله عليه وسلم — الثلث ، ولقوله : « إنك إن تدَع عِيالَك أغنياء خيرٌ من أن تدَعَهم عالةً يتكفّفون الناس » ورسولُ الله — صلّى الله عليه وسلم — لم يرحَم عِيالَنا إلّا بفَضل رحمَتِه لنـــا . فـكيفَ تأمرُونى أن أوثِرَ أنفسَكم على نفسى ، وأقدِّم عِيالـكم على عيالى ، وأن أعتقدَ الثناء بَدَلا من الغِنى ، وأن أكنِز الريح وأصطَنِـع السراب ، بدلا من الذَّهَب والفِضّة* .

قال إسماعيل : وسمعته يقول لِعياله وأصحابه :

اصبِروا عن الرُّطَب عند ابتدائه وأوائله ، وعن باكورات الفاكهة . فإن للنفس عند كلِّ طارف* نزوة ، وعندَ كلِّ هاجم بدوة* ، وللقادم حَلاوة وفَرحة ، وللجديد بَشاشة وغِرّة . فإنك متى رَدَدْتها ارتدَّت ، ومتى ردعتها ارتدَعت . والنفسُ عَزوف ، ونفور ألوف ، وما حمّلتها احتَملت و إن أهملتَها فسدت . فإن لم تـكفَّ جميعَ دواعيها وتحسِم جميعَ خواطرها ، فى أول ردّة ، صارت أقلَّ عدداً وأضعفَ قوة . فإذا أثّر ذلك فيها ، فعظها فى تلك الباكورة بالغلاء والقلّة . فإنّ ذكرَ الغلاء والقلّة حُجّة صَحيحة وعلّة عاملة فى الطبيعة . فإذا أجابتك فى الباكورة فسُمْها مثلَ ذلك فى أوائل كثرتها ، واضرِب نُقصان* الشهوة ونقصان قوّة الغلبة* ، بمِقدار ماحَدَث لها من الرُّخص والـكثرة ،

---

(٢) انى ، صححنا : ان ك — (٧) نغض ك : ننقص (فان فلوتن) . — (١١) آخر السقط فى ب : « وزعمّ انما سمينا . . . والفضة » — (١٤) طارق ب — بدوة ، صححنا : نزوة ك ، ثروة ب — (٢٠) واصرف يقظان ب — الطبيعة ب

(٥ — ٨) « قال رسول الله . . . يتكففون الناس » صحيح البخارى ، كتاب الوصايا ، الحديث رقم ٢٥٥٥

فلستَ تلقَى على هذا الحسابِ من معالجة الشهوة فى غدك* ، إلامثلَ ما لقيتَ* منها فى يَومك* ، حتى تنقضىَ أيام الفاكهة وأنت على مثل ابتداء حالك وعلى أول مُجاهَدتك لشَهوتك . ومتى لم تعدَّ أيضاً* الشهوة فتنة والهوى عدوًّا ، اغتررتَ بهما وضُعفتَ عنهما ، وائتمنتهما على نفسِك ، وهما أَحْضَرُ عدوّ وشَرُّ دخيل .

فاضمَنوا لىَ النَّزوة الأولى* ، أضمن لكم تمام الصبر وعاقِبة اليُسر ، وثباتَ العزِّ فى قلوبكم والغِنى فى أعقابكم ؛ ودَوام تعظيم الناس لكم . فإنه لو لم يكن من منفعة الغنى إلّا أنك لا تزالُ معظّماً عند مَن لم ينلْ مِنك قطُّ دِرهماً ، لكان الفضلُ فى ذلك بيِّناً والربح ظاهراً . ولو لم يكن من بَركة الثروة ومن منفعة اليُسر ، إلا أن ربَّ المال الكثير لو اتّصل بمَلِك كبير ، وفى* جلسائه من هو أوجبُ حُرمة، وأقدمُ صُحبة وأصدق محبة ، وأمتع إمتاعاً، وأكثر فائدة وصواباً ، إلاّ أنه خفيفُ الحال قليلُ ذاتِ اليد ؛ ثم أراد ذلك الملك أن يقسم مالا أو يوزِّع بينهم طُرَفاً ، لجعل حظَّ الموسر أكثر ، وإن كان فى كلِّ شىء دون أصحابه ، وحظّ المخِفّ أقل،وإن كان فى كلِّ شىء فوقَ أصحابه .

* قد ذكرنا رِسالة سَهل بنِ هارون ، ومذهَب الحرامى ، وقِصَص الكِندىّ ، وأحاديث الحارثى ، واحتجاجاتهم ، وطرائفَ بُخْلهم* ، وبدائع حِيَلهم* .

---

(١) عذك ك ، فى عدل ب ، عندك (فان فلوتن) –(١–٢) ثمنها فى يومك ب ، منها فى نومك (فان فلوتن) – (٣) فيض ب – (٥) الثروة [الأولى] ب – (٩) [و] فى (فان فلوتن) – (١٤ – ١٥) [قد ذكرنا . . . حيلهم] ب – (١٥) نحلهم (فان فلوتن) .

قصّة محمد بن أبى المؤمّل

قلتُ لمحمّد بن أبى المؤمّل :

أراكَ تُطعِم الطعام وتتخذه ، وتنفق * < عليه > المال وتجوِّده * . وليس بين قلّة الخُبز وكثرته كثيرُ ربح . والناس يبخّلون من قلّ عَدَدُ خُبزه ، * ورأوا أرضَ خِوانه * . وعلى أنى أرى جَماجِم من يأكُل مَعك أكثرَ من عدد خُبزك . وأنتَ لو لم تتكلّف ، ولم تحمِلْ على مالك بإجادته والتكثيرِ منه ، ثم أكلتَ وحدكَ ، لم يلُمك الناس ، ولم يكترِثوا لذلك منك ، ولم يقضُوا عليك * بالبخل ولا بالسخاء ، وعشتَ سليماً مَوْفوراً ، وكنتَ كواحدٍ من عُرض * الناس . وأنتَ لو لم تُنفِق الحرائب وتبذُل المصون ، إلا وأنتَ راغبٌ فى الذِّكر والشكر ، وإلّا لتحرزَ * الأجر ، فقد صِرنا لقلّة عَدَد خُبزك من بين الأشياء ، نرضَى لك من الغنيمة بالإياب ، ومن غُنم الحمد والشكر بالسلامة من الذّم واللوم . فزد فى عَدَد خُبزك شيئاً ، فإنّ بتلكَ الزيادة القليلة ينقلبُ ذلك اللؤمُ شكراً وذلك الذمُّ حمداً . أعلمتَ أنك لستَ تخرجُ من هذا الأمر بعد الكُلفة العظيمة سالماً ، لاَ لكَ ولا عليك ؟ فانظرْ فى الأمر رَحِمَك الله !

قال : يا أبا عثمان أنت تخطئ ، وخَطأ العاقل أبداً يكونُ عَظيماً ، وإن كان فى العُذر قليلا . لأنه إذا أخطأ أخطأ بنيقة * وإحكام . فعلى قَدْر التفكّر والتكلُّف يبعدُ من الرَّشاد ويذهبُ عن سبيل الصَّواب . وما أشكّ أنك * قد نَصَحتَ بمبلغ الرأى مِنك . ولكن خَفْ ما خوّفتك ، فإنه * مخوف .

بل الذى أصنعُ أدلّ على سخاء النفس بالمأكول ، وأدلُّ على الاحتيال ليبالِغوا . لأن

---

(٣) وتنفق < عليه > المال وتجوده ، صححنا : وتنفق المال وتجوده ك ب ، وتنفق المال وتجود به (فان فلوتن) (٤) [ورأوا . . . خوانه] ب – (٧) ولم يذكروك ب – (٨) [عرض] ب – (٩) لتحوز ب ، لتخزن (فان فلوتن) – (١٥) بنيغه ك ، بتفقه (فان فلوتن) ، [بنيقة واحكام] ب – (١٦) < إلا > أنك ب – (١٧) وانه (فان فلوتن) .

الخبزَ إذا كثر على الموائد ورَّث ذلك النفسَ صُدوداً ، وكلُّ شيء من المأكول وغير المأكول إذا ملأ العينَ ملأ الصدر ، وفى ذلك موتُ الشَّهوة وتسكين الحركة . ولو أن رجلا جَلَس على بَيْدر تَمْر فائق ، وعلى كُدس كُمَّثرى منعوت ، وعلى مائة قِنو موز مَوصوف ، لم يكن أكلُه إلاّ على قدْر اسْتِطْرافه ، ولم يكن أكله على قدر أكله إذا أُتِي بذلك فى طَبَق نظيف ، مع خادِم نَظيف ، عليه منديلٌ نظيف .

وبعدُ ، فأصحابُنا آنِسون واثِقون مُسْتَرسِلون ، يَعلمونَ أنّ الطعامَ لهم اتُّخِذ ، وأنّ أكلَهم له أوفقُ من تمزيق الخدَم والأتباع له . ولو احتاجوا لدَعَوا به ولم يحتشِموا منه ، ولكان لا أقلّ من أن يجرِّبوا ذلك المرَّةَ والمرتين وأن لا يقضُوا علينا بالبخل دون أن يروناه . فإن كانوا محتشمين وقد بَسطناهم ، وساء ظنّهم بنا مع ما يَرَون من الكُلفة لهم ، فهؤلاء أصحابُ تجنٍّ وتبرُّع . وليسَ فى طاقتى إعتاب المتجنِّى ولا ردُّ المتبرِّع

قلتُ له : إنى قد رأيتُ أكلَهم فى مَنازلهم وعند إخوانهم ، وفى حالاتٍ كثيرة ومواضعَ مُختلفة ، ورأيتُ أكلَهم عندَك ، فرأيتُ شيئاً متفاوتاً وأمراً مُتفاقماً . فاحسُب أنّ التجنِّيَ عليهم غالِب ، وأنّ الضعفَ لهم شامِل ، وأنّ سوءَ الظن يُسرِع إليهم خاصّة ، لِم لا تُداوى هذا الأمرَ بما لا مؤنة فيه وبالشيء الذى لا قَدْر له ، أو تدعَ دُعاءهم والإرسالَ إليهم والحرصَ على إجابتهم ؟ والقومُ ليسَ يُلقونَ أنفسَهم عليك ، وإنما يجيئونك بالاستِحباب منك . فإن أحْبَبْتَ أن تمتحن ما أقول ، فدَعْ مُواترة الرسل والكتب ، والتغضّب عليهم إذا أبطؤوا ، ثم انظر .

قال : فإن الخبزَ إذا كثر على الخوان فالفاضِل مما يأكلون لا يسلَم من التلطيخ والتَّغمير . والجرذقة الغَمِرة والرقاقة المتلطِّخة ، لا أقدرُ أن أنظُر إليها ، وأستحيى أيضاً من إعادتها . فيذهبُ ذلك الفضلُ باطلا ، واللهُ لا يحبُّ الباطل .

---

(١) و < لأن > كل (فان فلوتن) — (٢) أول سقط فى ب إلى قوله : « وحكى أن الثورى حم ... » (٤) على ، صححنا : < الا > على ك — (٨) لا أقل من : الأقل منهم (فان فلوتن) — (٩) يروناه ك — (١٣) التجنى (مرسيه) : البخل ك — (١٤) لم (مرسيه) : ثم ك — (١٨) التلطخ (فان فلوتن) .

قلتُ : فإن ناساً يأمرُون بمَسْحه ، ويجعلون الثريدةَ منه . فلوأخذتَ بزيِّهم وسلكتَ سبيلهم ، أنى ذلكَ على ما تريدُ ونُريد .

قال : أفلستُ أعلم كيفَ الثريدة ، ومن أىِّ شىء هى ؟ وكيفَ أمنعُ نفسى التوهُّم وأحُول بينها ° و بين التذكّرِ ° ؟ ولعلَّ القومَ أن يعرفوا ذلك على طول الأيّام ، فيكونَ هذا قبيحاً .

قلت : فتأمرُ به للعِيال . فيقومُ الحُوّارى المتلطِّخ مَقام الخُشكار ° ° النظيف . وعلى أنّ المسحَ والدَّلك يأتى على ما تعلَّق به < من > ° الدسم .

قال : عِيالى — يرحُمك الله — عيالان : واحدٌ أعظِمهُ عن هذا وأرفعهُ عنه ، وآخَرُ لم يبلغ عندى أن يُترَفَ بالحوّارى .

قلتُ : فاجعَلْ إذاً جميعَ خُبزك الخُشكار : فإن فضلَ ما بينَه و بين الحوّارى فى الحُسْن والطيب ، لا يقومُ بفَضْل ما بينَ الحمد والذمّ .

قال : فها هُنا رأىٌ هو أعدل الأمور وأقصدُها ، وهو أنا نُحضِرهذه الزيادةَ من الخبز على طَبَق ، ويكونُ قريباً حيث تناله اليد ، فلا يحتاجُ أحدٌ ° مع قُربه منه إلى أن يدعوَ به ، ويكونُ قربهُ من يدهِ كثرةً ° على مائدته .

قلتُ : فالمانعُ من طلَبه هو المانعُ من تحويله . فأطْعِنى وأخرِج هذه الزيادةَ من مالكَ كيف شئت . واعلمْ أنّ هذه المقايسَةَ وطولَ هذه المذاكرة ، أضرّ علينا ممّا نَهَيْتُك عنه وأردتكَ على خِلافه .

فلما حضَر وقتُ الغَداء ، صوَّت بغلامه — وكان ضَخْماً جَهير الصوت ، صاحبَ تقعير وتفخيم وتشديق وهَمْز وجَزْم — يا مبشِّر هاتِ من الخُبز تمامَ عَدَد الرؤس .

< قلت > ° : ومن فرضَ لهم هذه الفريضة ؟ ومن جزَم عليهم هذا الجَزْم ؟ أرأيتَ إن لم يُشبع أحدَهم رغيفُه ، أليسَ لابدَّ له من أن يعوِّل على رغيف صاحبه ، أو يتنحَّى وعليه

---

(٤) بينهم (فان فلوتن) — التذكر ، صححنا ؛ التذكير ك — (٧) < من > الدسم ، صححنا ؛ الدسم ك — (١٣) < احد > اليه ك — (١٤) كبرتك — (٢٠) < قلت > ، صححنا : [قلت] ك —

بقيَّة ، و يعلِّق يدَه منتظراً للعادة * فقد عادَ الأمرُ و بطَل ما تناظرنا فيه .

قال : لا أعلمُ إلَّا تركَ الطعام البتَّةَ ؛ أهون علينا من هذه الخُصومة .

قلت : هذا ما لاشكَّ فيه ، وقد عملت * عندى بالصواب ، وأخذتَ لنفسِك بالثقة ، إن وفيت بهذا القول .

وكان كثيراً ما * يقول : ياغلام هاتِ شيئاً من قلية وأَقِلَّ منها ، وأعدَّ لنا ماء باردًا وأكثِر منه . وكان يقول:قد تغيَّر كلُّ شيء من أمر الدنيا ، وحال عن أمره وتبدّل ، حتى المؤاكلة . قاتل اللهُ رجالا كنا نؤاكلهم ، ما رأيتُ قَصْعة قطّ رفِعَت من بين أيديهم إلَّا وفيها فَضْل . وكانوا يعلَمون أنّ إحضار الجَدى إنما هو شيء من آيين الموائِد الرفيعة ، و إنما جعل كالعاقِبة والخاتِمة ، وكالعلامة لليسر وللفراغ * ، وأنه لم يحضر للتمزيق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به السُّوء لقدَّموه قبل كلِّ شيء لتقع الحدَّةُ * به . بل ما يأكلُ * منه إذا جيء به إلا العابِث ، وإلَّا الذى لو لم يره لقد كان رَفَع يده ولم ينتظِر غيره . ولذلك قال أبو الحارث جُمّين ، حين رآه لايمسّ ، «هذا المدفوع عنه» . ولولا أنه على ذلك شاهَدَ الناسَ ، لما قال ماقال . ولقد كانوا يتحامَوْنَ بَيْضَة البُقَيلة ، و يَدَعُها كلّ واحد منهم لِصاحبه ، حتى إن القَصعة لقد كانت ترفَعُ و إن البيضَ * خاصّةً لعلى حاله وأنتَ اليومَ إذا أردت أن تمتِّع عينك بنظرة واحدة منها ، ومن بيض السُّلاءة * لم تقدِر على ذلك. لا جَرَمَ لقد كان تركَه ناسٌ كثير ، مابهم إلا أن يكونوا شُرَكاء مَن ساءت رِعَته .

وكان يقول : الآدام أعداء للخبز . وأعداها له المالح . فلولا أنّ الله انتقم منه وأعان عليه بطلَب صاحبِه الماءَ و إكثارِه منه ، لظننتُ أنه سيأتى على الحَرْثِ والنَّسْل . وكان مع هذا

---

(١) كذا ك ، ولعلها للمادة — (٣) علمت (فان فلوتن) — (٥) وكان كثيراً ما ك ، وكان أكثر ما (فان فلوتن) — (٩) والفراغ (فان فاتن) — (١٠) الحرة ك —أكل (فان فلوتن) — (١٤) الحصر ك — (١٥) السلافة ك

(١٣ — ١٥) « ولقد كانوا . . . على ذلك » ثمار القلوب للثعالبى ص ٣٩٣ ط الظاهر ، القاهرة ، سنة ١٩٠٨ — (١٧ — ١٨) وكان يقول . . . النسل » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٥ ، العقد الفريد ٤ : ٢٣١ ، الأزهرية ، ١٩١٣ .

يقول : لو شَرِب الناسُ الماء على الطعام ما اتّخموا ، وأقلُّهم عليه شُرباً أكثرهم منه تَخَماً . وذلك أنّ الرجل لا يعرف مقدارَ ما أكل حتى ينالَ من الماء . وربّما كان شبعانَ وهو لا يدرى . فإذا ازداد على مِقدار الحاجة بَشِم . وإذا نال من الماء شيئاً بعد شىء ، عرّفه ذلك مقدارَ الحاجات ، فلم يزِد إلّا بقَدْر المصلحة . والأطباء يعلمون <أن> ما أقول حقّ ، ولكنّهم يعلَمون أنهم لو أخذوا بهذا الرأى لتعطّلوا ، ولذهب المكسَب . وما حاجةُ الناس إلى المعالجين إذا صحّت أبدانهم ؟ وفى قول جميع الناس أن ماء دجلة أمرأ من الفُرات وأن ماء مهران أمرأ من ماء نهر بَلخ ، وفى قول العرب : هذا ماء نَمير يصلح عليه المال ، دليلٌ على أن الماء يُمرئ ، حتى قالوا : إن الماء الذى يكونُ عليه النفّاطات أمرأ من الماء الذى يكون عليه القيّارات . فعليكم بشربِ الماء على الغداء ، فإن ذلك أمرأ .

وكان يقول : ما بالُ الرجُل إذا قال : ياغلام اسقِنى ماء أو اسق فلاناً ماء ، أتاه بقُلّة على قَدر الرىّ ، فإذا قال : أطعِمنى شيئاً ، أو قال : هاتِ لفلان طَعاماً ، أتاه من الخبز بما يفضُل عن الجماعة ، والطعامُ والشراب أخَوان مُتحالفان ومتوازران ؟ وكان يقول : لولا رُخص الماء وغَلاء الخبز ، لما كلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى الماء . والناسُ أشدُّ شىء تعظيماً للمأكول إذا كثر ثمنُه ، أو كان قليلًا فى أصل منبته ومَوضع عنصُره . هذا الجزَر الصافى ، وهـذا الباقلّى الأخضر العبّاسى ، أطيبُ من كمّثرى خُراسان ، ومن المَوْز البستانى . ولكنّهم لقِصَر همّتهم لا يتشهّون إلّا على قَدْر الثمن ، ولا يحنّون إلى الشىء إلّا على قَدْر القِلّة . وهذه العوامُّ فى شَهوات الأطعِمة إنما تذهب مع التقليد ، أو مع العادة ، أو على قَدْر ما يعظُم عندَها من شأنِ الطعام . وأنا لست أطعَم الجزَر المسلوقَ بالخلّ والزيتِ والمُرّىّ ، دونَ الكمأة بالزُّبد والفُلفل ، لمكان الرُّخص ، أو لموضع الاستفضال ، ولكن لمكان طِيبه فى الحقيقة ، ولأنه صالح للطبيعة . عَلِم ذلك من علم ، وجهِل ذلك مَن جهل .

---

(١) عنه ك — (٢) شبعانا ك — (٤ — ٥) يعلمون ما أقول حق ك ، حقاً (فان فلوتن)
(٢٠) مالح الطبيعة (فان فلوتن)

(ص ٩٧ : ١٨ — ٩) «وكان مع هذا يقول . . . امرأ» عيون الأخبار ٣ : ٢٥٦ — (١٠ — ١٦) «وكان يقول . . . الثمن» عيون الأخبار ٣ : ٢٥٥ — ٢٥٦ ، العقد الفريد ٣ : ٢٣١ ، ط الأزهرية.

وكان إذا كان فى منزله ، فربما دخل عليه الصديقُ له ، وقد كان تقدّمه < الزائر أو > *الزائران — وكان يستعمِل على خِوانه من الخُدَع والمكايد والتدبير ما لم يَبلُغ بعضَه قيسُ بن زُهَير **، والمهلّب بن أبى صُفرة *وخازم بن خُزيمة ** وهَرْثمة ٣ ابن أعين ** . وكان عندَه فيه من الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرةُ بن شُعبة . وكان كثيراً مايُمسك الخِلال بيده ، ليوئس الداخلَ عليه من غَدَائه — فإذا دخل عليه الصديقُ له ، وقد عزمَ على إطعام الزائر أو الزائرَين *قبلَه ، وضاقَ صدره بالثالث — ٦ و إن كان قد دعاه وطلب إليه — أراد أن يحتال له ، أو الرابع إن ابتُلِىَ كلُّ واحد منهما بصاحِبه ، فيقول عند أول دخوله وخَلْع نعله — وهو رافعٌ صوتَه بالتنويه و بالتشنيع —: « هات يا مبشِّر لفلان شيئاً يطعَم منه ، هاتِ له شيئاً ينال منه ، هاتِ له شيئاً » ، اتِّكالا ٩ على خَجَله أو غَضَبه أو أنفته ، وطمعاً فى أن يقول : « قد فعلتُ » .

فإن أخطأ ذلك الشقىّ وضَعُف قلبه وحُصِر ، وقال : « قد فعلت » ، وعَلِم أنه قد أحرزه وحصّله وألقاه وراء ظهره ، لم يرضَ أيضاً بذلك حتى يقولَ : « بأىّ شىء تغدّيت؟» ١٢ فلا بد له من أن يكذِب ، أو ينتَحِل المعاريض . فإذا استَوْثق منه رِباطاً ، وتركه لا يستطيعُ أن يترمرم ، لم يرضَ بذلك حتى يقول فى حَديث له : « كنّا عندَ فلانٍ ، فدَخل عليه فلانٌ فدعاه إلى غَدائه ، فامتنع . ثم بدا له ، فقال : فى طعامكم بُقَيلة أنتم تجيدونها ، ١٥ ثم تَناوله » ؛ فلا يزال يزيدُ فى وَثاقه ، وفى سد الأبواب عليه ، وفى منعه البَدَوات . حتى إذا بلغ الغاية قال : « يا مبشر أما إذ * تغدّى فلان واكتفى ، فهاتِ لنا شيئاً نعبثُ به ».

فإذا وضعوا الطعام ، أقبل على أشدِّهم حياءً ، أو على أشدِّهم أكلاً ، فسأله عن حديث ١٨ حَسَن ، أو عن خَبَر طويل . ولا يسأله إلا عن حديث يُحتاج فيه إلى الإشارة باليد أو الرأس كلُّ ذلك ليشغلَه . فإذا هُم أكلوا صَدْراً ، أظهر الفُتور والتشاغُل والتنقّر كالشبعان الممتلئ . وهو فى ذلك غيرُ رافع يده ولا قاطعٍ أكله . إنما هو النَّتْف بعد النتف ، ٢١

---

(٢) < الزائر أو > الزائران (فان فلوتن) : الزائران ك — (٣) خازم بن أبى خزيمة ك — (٦) والزائرين ك — (١٧) إذا ك .

وتعليق اليَد فى خلل ذلك . فلا بدَّ من أن ينقبِضَ بعضُهم و يرفَعَ يده ، ور بما شَمِل ذلك جماعتَهم . فإذا عَلِم أنه قد أحرزَهم واحتال لهم ، حتى يقلعَهم من مواضِعهم من حول الخوان ، و يعيدَهم إلى مواضعهم من مجالِسهم ، ابتدأ الأكل ، فأكلَ أكلَ الجائع المقرور ، وقال : إنما الأكلُ تاراتٌ والشُّرب تاراتٌ .

وكان كثيراً ما يقول لأصحابه : إذا بكَروا عليه ، لِمَ لا نشربُ أقداحاً على الريق ؟ فإنها تقتلُ الديدان ، ونحفِش لأنفسنا قليلا ، فإنها تأتى على جميع الفضول ، وتُشَهِّى الطعامَ بعد ساعة . وسُكْره أطيبُ من سُكر الكظّة . والشراب على الملأة بلاء ، وهو بعدَ ذلك دليلٌ على أنك نبيذىّ خالصٌ . ومَنْ لم يشربْ على الريق فهو نِكْس فى الفتوة ودَعِىّ فى أصحاب النبيذ . و إنما يخاف على كبدِه من سَوْرة الشراب على الريق ، من بَعُد عهده باللحم . وهذه الصُّبحة تغسِل عنكم الأوضار ، وتنفى التّخَم ، وليس دواء الخُمار إلا الشرب بالكِبار . والأعشى كان أعلمَ به حيث يقول :

وكأس شربتُ على لذّة وأخرى تداويتُ منها بها

وهذا — حَفِظك الله — هو اليومُ الذى كانوا لا يُعاينون فيه لُقمة واحدة ، ولا يدخل أجوافَهم من النَّقل ما يزِنُ خَرْدلة . وهو يوم سُرُوره التامّ ، لأنه قد رَبح المرزئة وتمتع بالمنادَمة.

واشترى مرّة شبُّوطة ** وهو ببغداد . وأخذَها فائقةً عظيمة ، وغالى بها وارتفَع فى ثمنها ، وكان قد بَعُد عهدُه بأكل السمك . وهو بَصْرى لا يصبرُ عنه . فكان قد أكبرَ أمر هذه السَّمكة ، لكثرة ثمنها ولِسَمَنها وعِظَمها ولشِدَّة شهْوته لها . فحينَ ظنَّ عند نفسه أنه قد خلا بها ، وتفرّد بأطايبها ، وحَسَر عن ذِراعيه وصَمَد صَمْدَها ، هجمتُ عليه ومعى السِّدرى ** . فلما رآه رأَى الموت الأحمر والطاعون الجارِف ، ورأى الحتمَ المقضِىَّ ، ورأى قاصِمَة الظهر ، وأيقن بالشرِّ ، وعلِم أنه قد ابتُلى بالتّنين .

(٢) حوال (فان فلوتن) — (٥) تشرب (فان فلوتن) — (٨) الملأة ، صححنا : المللة ك

(١٢) « وكأس . . . بها » ديوان الأعشى ص ١٢١ ط أوربا

فلم يُلبثه السدرىّ حتى قوَّر السرَّة بالمبال. فأقبل علىَّ فقال لى: « يا أباعثمان ،السدرى يعجبه السُّرَر »، فما فصلت الكلمة من فيه، حتى قبض على القفا فانتزعَ الجانبين جميعاً. فأقبل علىَّ فقال : « والسدرىّ يعجبُه الأقفاء » ، فما فرَغ من كلامه إلا والسِّدرى قد اجترفَ المتن كله، فقال: « يا أبا عثمان والسدرىّ يعجِبُه المُتون » ، ولم يظن أن السدرىّ يعرفُ فضيلةَ ذَنَب الشبُّوط وعذُوبةَ لحمه ، وظنَّ أنه سيسلم له ، وظنَّ معرفةَ ذلك من الغامِض ، فلم يَدْر إلَّا والسدرىُّ قد اكتَسَح ما على الوَجهين جميعاً . ولولا أنَّ السِّدرى أَبطره وأثقلهوأ كمده وملأ صدرَه وملأَه غيظاً . لقد كان أدرَك معه طَرَفاً ، لأنه كان منَ الأكلة . ولـكنَّ الغيظ كان من أعوان السِّدرى عليه .

فلمَّا أَكلَ السدرىّ جميعَ أطايبها . و بقِىَ هو فى النَّظارة ، ولم يبقَ فى يدهِ مما كان يأمُله فى تِلك السمكة إلَّا الغيظُ الشديد والغُرم الثقيل ، ظن أن فى سائر السمكة ما يشبِعُه و يشفى من قرمه . فبذلك كان عزاؤه ، وذلك هوالذى كان يمسكُ بأرماقه وحشاشات نفسه. فلما رأى السدرىَّ يفرى الفَرِىَّ و يلتهم التهاماً قال : « يا أبا عثمان السدرىُّ يعجِبُه كلُّ شىء » . فتولّد الغيظُ فى جَوْفه ، وأقلقته الرِّعدة . فخبُثَت نفسُه ، فما زال يقىء و يسلَح . ثم ركِبته الحمَّى .

وصحت توبتُة وتم عزمه، فى أن < لا > ° يؤاكل رغيباً أبداً ولا زهيداً ، ولا يشترى سمكة أبداً رخيصةً ولا غالية، و إن أهدوها إليه أن لا يقبلها، و إن وجدَها مطروحةً لا يمسُّها.

فهذا ما كان حَضَرنى من حَديث ابن أبى المؤمِّل . وقد مات . عفا الله عنا وعنه .

---

(١٥) فى أن يؤاكل ك

قصة أسد بن جانى

فأما أسدُ بن جانى ، فكان يجعلُ سريره فى الشتاء من قَصَب مقشَّر*، لأن البراغيث تزلَق عن ليط القصَب، لفَرط لينه وملاسته .

وكان إذا دخل الصيف ، وحرَّ عليه بيتُه ، أثاره* حتى يغرِّق المسحاة ، ثم يصبُّ عليه جراراً كثيرة من ماء البئر و يتوطؤه* حتى يستوىَ . فلا يزال ذلك البيتُ باردًا مادام نديًّا . فإذا امتدَّ به الندَى ودام بردُه بدوامه ، اكتفَى بذلك التبريد صَيفته . و إن جفَّ قبلَ انقضاء الصيف وعاد عليه الحرّ، عاد عليه بالإثارة والصبّ . وكان يقول : خَيْشتى** أرض ، وماء خَيْشتى من بئرى . و بيتى أبرد ، ومؤنتى أخفّ . وأنا أفضُلهم أيضاً بفَضْل الحكمة وجودة الآلة .

وكان طبيباً فأكسَد مرة . فقال له قائل : « السنة وَبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك صبر وخدمة*، ولك بَيان ومَعرفة، فمن أين تؤتى فى هذا الكساد ؟». قال :« أما واحدة فإنى عندَهم مسلم ؛ وقد اعتقد القومُ قبل أن أتطبَّب ، لا بل قبل أن أخلق، أن المسلمين لا يفلحون فى الطبّ؛ واسمى أسَد ، وكان ينبغى أن يكون اسمى صليباً* وجبرائيل و يوحنّا* و بيرا ؛ وكُنيَتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى ، وأبو زكريا، وأبو إبراهيم؛ وعَلىَّ رداء قطن أبيض، وكان ينبغى أن يكون ردائى* حريراً أسود ؛ ولفظى لفظٌ عربىّ وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جُندى سابور » .

---

(٢) لعلها : < غير > مقشر — (٤) أثاره (مرسيه) : فأثاره ك — (٥) و يتوطؤه : و يتوطاه ك ، و يتوطا (فان فلوتن) — (١١) وخدمة ك ، ولعلها : وحكمة — (١٣) ومرايلو يوحنا ك — (١٥) ردائى حرير ك ، رداء حرير (فان فلوتن) .

قصة الثورى

قال الخليل السَلولىّ، أقبلَ علىّ يوماً الثورىّ * * وكان يملك خمسمائة جَريب، ما بين كرسى الصَدَقة إلى نهر مرة * *، ولا يشترى إلا كل غرَّة، وكلّ أرض مشهورة بكريم التُّربة، وشَرَف الموضِع، والغلّة الكثيرة. قال:

فأقبل علىّ يوماً، فقال لى: «هل اصْطَبَغتَ بماء الزيتون قطّ؟». قال: قلت: «لا والله». قال: «أما والله لو فعلتَه ما نسيتَه». قال: قلت: «أجل إنى والله لو فعلتُه لما نسيتُه».

وكان يقول لعياله: لا تُلقوا نَوَى التمر والرطَب، وتعوَّدوا ابتلاعه، وخذوا حلوقَكم بتَسْويغه. فإن النوى يَعقِد الشحم فى البطن * *، ويُدفئُ الكُليتين بذلك الشحم. واعتبروا ذلك ببُطون الصفايا وجميع ما يعتَلفُ النوى. والله لو حَمَلتُم أنفُسَكم على البزر والنوى، وعلى قَضْم الشعير واعتلاف القت، لوجدتموها سريعة القبول. وقد يأكل الناسُ القتَّ قَدّاحًا، والشعيرَ فريكًا، ونوى البُسر الأخضر، ونوَى العجْوَة. فإنما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة. لو رغِبتم فى الدفء لالتمستم الشحم. وكيف لا تطلبون شيئاً يغنيكم عن دُخان الوقود، وعن شناعة السكر *، وعن ثِقَل الغُرم. والشحم يفرِّج القلب. ويبيِّض الوجه. والنارُ تسوِّد الوجه؛ أنا أقدر أن أبتلِعَ النوى وأعلفه الشاء *. ولكنى أقول ذلك بالنظر منى لكم.

وكان يقول: كلوا الباقلّى بقشوره. فإن الباقلى يقول: من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن أكلنى بغير قشورى فأنا الذى آكله. فما حاجتُكم إلى أن تصيروا طعاماً لطعامكم، وأكلاً لماجعل أكلاً لكم؟

---

(١٤) السكر ك — (١٥) الشاء (عيون الأخبار): النساء ك

(٨ — ١٦) «وكان يقول ... لكم» عيون الأخبار ٣: ٢٥٦ — ٢٥٧ — (١٧ — ١٩) «وكان يقول ... لطعامكم» عيون الأخبار ٣: ٢٥٧، العقد الفريد ٣: ٢١٤، ٢٣١ ط الأزهرية.

وكان يُعَيِّن * مالاً عظيما، ولم يكن له وارث . فكان يسخَر ببعضهم ، فيقولُ عند الإشهاد : « قد علمتم أنه لا وارث لى ، فإذا مِتّ فهذا المالُ لفلان » . فكان قومٌ كثير يحرصون على مبايعته لهذا . وقد رأيتُه أنا زماناً من الدهر ، مارأيتُه قطّ إلّا ونعله * فى يده أو يمشى طولَ نهاره فى نعل مقطوعةِ العَقِب، شديدة * على صاحبها . قال : فهؤلاء * المجوس يرتعون * البصرةَ و بغدادَ وفارسَ والأهواز والدنيا كلها بنعالٍ سِندية * * ، فقيل له : إن المجوسىّ لا يستحلُّ فى دينه المشرَّكة ، فأنتَ لا تجدُه أبداً إلاحافياً أو لابساً نعلاً سِنديَّة. وأنت مسلم ومالك كثير . قال: فمن كان ماله كثيراً فلا بدّ له من أن يفتَح كيسَه للنفقات وللسرّاق ؟ قالوا : فليس بين هاتين منزلة ؟

قال الخليل : جلس الثورىّ إلى حَلْقة المصلحين فى المسجد ، فسمِع رَجُلامن مياسيرهم يقول : بطِّنوا كلَّ شىء لكم فإنه أبقى . ولأمرٍ جَعل الله دار الآخرة باقية ، ودار الدنيا فانية . ثم قال : ربَّما رأيتُ المبطَّنة الواحدة تُقطَع أربعةَ أقمصة ، والعمامة الواحدة تُقطَع أربعةَ أزر . ليسَ ذلك إلّا لتعاوُن الطىّ ، وترافُد الأثناء . فبطنوا البوارىّ ، و بطِّنوا الحُصر ، و بطِّنوا البسط ، و بطِّنوا الغداء بشَربة باردة .

قال : فقال له الثورى : لم أفهم مما * قلتَ إلّا هذا * الحرفَ وحدَه .

قال الخليل: حُمَّ الثورىّ ، وحمَّ عِياله وخادمه ، فلم يقدِروا مع شدّة الحمى على أكل الخبز ، فربح كيلةً تلك الأيام من الدقيق ، ففرِح بذلك وقال : لو كان منزلى سوقَ * الأهواز * أو نطاةَ خيبر * أو وادى الجحفة * ، لرجوتُ أن أستَفْضِل كلّ سنة مائة دينار. فكان لا يُبالى أن يحمَّ هو وأهلُه أبدًا ، بعد أن يستفضِل كفايتهم من الدقيق .

وكان يقول : إذا رأيتُ الرجلَ يشترى الجَدْىَ رحمتُه ، فإن رأيتُه يشترى الدجاج حقَرته ، فإن رأيتُه يشترى الدُرّاج لم أُبايعه ولم أُكلّمه * .

---

(١) يعين ك : يقتنى (مرسيه) — (٣) ونعلمه ك — (٤) شديد على صاحبه ك — فهو ذا ك (٥) ربعون ك — (١٤) ما (فان فلوتن) — هذه ك — (١٦) بسوق ب — (٢٠) آخر النسخة ب

(١٥ — ١٧) « وحم . . . دينار » عيون الأخبار ٣ : ٥٢٧

وأنه قال : أولُ الإصلاح — وهو من الواجب — خصفُ النعل ، واستجادة الطِّراق، وتشحيمُها فى كلِّ الأيام* . وعقدُ ذُؤابة الشِّراك من زىِّ النسّاك* ، لكيلا يطأ عليه إنسانٌ فيقطعه . ومن الإصلاح الواجب قلبُ خِرقة القلنسُوة إذا اتسخت ، وغسلُها من اتساخها بعد القلب . واجعلها حِبَرة فإنها مما له مرجوع . ومن ذلك اتخاذ قميصِ الصيف جبَّة فى الشتاء ، واتخاذُ الشاة اللَّبون إذا كان عندَك حِمار . واتخاذ الحمار الجامع خيرٌ من غلَّة ألف دينار ، لأنه لرحلك ، وبه تُدرك البعيد من حوائجك ، وعليه تَطحنُ فتستفضِلُ* ما يربحُه عليك الطحّان ، وتنقل عليه حوائجه وحوائجك ، حتى الحطب ، وتستقى عليه الماء . وهذه كلها مُؤن إذا اجتمعتْ كانتْ فى السنة مالا كثيراً .

ثمَّ قال : أشهدُ أنَّ الرِّفق يُمن ، وأن الخُرق شؤم . اشتريتُ* ملاءة مَذارية فلبستها — ما شاء الله — رداءً وملحفة . ثم احتجتُ إلى طَيْلسان فقطعتها — يعلم الله — فلبستُه ما شاء الله . ثمَّ احتجتُ إلى جبَّة فجعلتُه — يعلم الله — ظِهارةَ جبَّة محشوَّة ، فلبستها ما شاء الله . ثمَّ أخرجتُ ما كان فيها من الصحيح، فجعلتُه مَخادَّ ، وجعلت قطنها للقناديل . ثم جعلتُ ما دون خِرَق المخادّ للقلانس ، ثم عمدت إلى أصح ما بَقِى فبعته من أصحاب الصينيّات** والصلاحيّات* . وجعلتُ مالا رقعةَ له مِمْحاة لى وللجارية ، إذا نحنُ قضينا حاجةَ الرجال والنساء . وجعلتُ السُّقاطات وما قد صار كالخيوط وكالقُطن المندوف ، صمائم* لرءوس القوارير .

وقد رأيتُه وسمعتُ منه فى البخل كلاماً كثيراً . وكان من البَصريين ، ينزلُ ببغداد مسجد ابنِ رُغبان** . ولم أرَ شيخاً ذا ثروة اجتَمعَ عندَه وإليه من البخلاء ما اجتَمع له . منهم : إسماعيلُ بن غَزوان وجعفرُ بن سَعيد** وخاقان بنُ صبيح وأبو يعقوب الأعور** وعبد الله العروضى والحرامىّ عبدُ الله بن كاسب .

وأبو عبد الرحمن هذا شديدُ البُخل ، شديد العارِضة ، عضبُ اللسان . وكان يحتَجُّ

---

(٢) أيام ك — من ذى الشباك (ذى جويه) — (٦) فتستفضل < عليه > ك — (٩) واشتريت ك — (١٤) والصيالحات ك — (١٦) صما مما ك ، صماما (فان فلوتز)

للبخل ويوصى به ويدعو إليه . وما علمتُ أنَّ أحداً جرَّد فى ذلك كتاباً إلا سهل بن هارون وهو * .

٣ وأبو عبد الرحمن هذا هو الذى قال لابنه :

أىْ بنىّ إنَّ إنفاق القراريط يفتحُ عليك أبوابَ الدوانيق ، وإنفاقَ الدوانيق يفتحُ عليك أبواب الدراهم ، وإنفاقَ الدراهم يفتحُ عليكَ أبواب الدنانير . والعشرات * ٦ تفتحُ عليك أبواب المئين ، والمئونَ تفتحُ عليك أبوابَ الألوف ، حتى يأتى ذلك على الفَرْع والأصل ، ويطمِسَ على العَيْن والأثَر ، ويحتملَ القليلَ والكثير . أىْ بنىّ إنما صار تأويلُ الدِّرهم «دار الهم» ، وتأويلُ الدينار « يدنى إلى النار » < أن > * الدرهم ٩ إذا خَرَج إلى غير خلَف ،وإلى غير بدَل ، دار الهمُّ على دانق * مخرجه . وقيل : إن الدينار يُدنى إلى النار لأنه إذا أنفقه * فى غير خَلَف ، وأخرج إلى غير بَدَل ، بقى * مُخفِقاً مُعدِماً ، وفقيراً مبلطاً مُتَحرِّج المخارج * . وتدعوه الضرورة إلى المكاسِب الرديئة والطُعَم الخبيثة. ١٢ والخبيثُ من الكَسْب يُسقط العدالة ، ويذهَبُ بالمروءة ، ويوجِب الحدّ ، ويُدخِلُ النار.

وهذا التأويلُ الذى تأوّله للدِرهم والدينار ليسَ له ، إنما هذا شىء كان يتكلّم به عبدُ الأعلى القاصّ * * . فكان عبد الأعلى إذا قيل له : لم سمى الكلب قلطيا * ؟ قال : ١٥ لأنه قلَّ ولطى . وإذا قيل له : سمِّىَ الكلبُ * * سَلوقيًّا * ؟ قال : لأنه يستلُّ ويلقى . وإذا قيل له : لم سمِّى العُصفور عصفوراً ؟ قال : لأنه عَصَى وفرّ .

وعبدُ الأعلى هذا هُو الذى كان يقول فى قَصَصه : الفقيرُ رداؤه علقة ، ومَرَقته * سلقه * ١٨ وجَرْدَقته فلقة ، وسمكتُه شِلقة * . فى طيب له كثير .

وبعضُ المفسِّرين يزعم أنَّ نوحاً النبىَّ صلى الله عليه وسلم إنما سمِّى نوحاً لأنه كان

---

(٢) [وهو] (فان فلوتن) – (٥) العشرات ك – (٨) < ان > : ليست بالأصل – (٩) دوانق (فان فلوتن) – (١٠) انفقه ك – بقيت (فان فلوتن) – (١١) فحرح الخارج ك ، فيخرج الخارج (فان فلوتن) ، فيحرج الخارج (مرسيه) – (١٤) قلطى ك – (١٥) سلوق ك – (١٧) ومرقته ك (١٩) سلبه ك – سلته ك

(١٧ – ١٨) « الفقير . . . شلقة » الحيوان ١ : ١٠٧ ط الحلبى ، عيون الأخبار ٢ : ٤٦ .

ينوح على نفسه . وأنَّ آدم إنما سمِّى آدم * لأنه حُذِى من أديم الأرض . وقالوا : كان لونه فى أدمة لون الأرض . وأن المسيحَ إنما سُمِّى المسيحَ لأنه مُسِحَ بدُهن البركة . وقال بعضُهم : لأنه كان لا يُقيم فى البلد الواحد ، وكان كأنه ماسحٌ يمسَح الأرض .

ثمّ رَجع الحديث إلى أعاجيب أبى عبد الرحمن :

وكان أبو عبد الرحمن يُعجَب بالرءوس ويحمَدُها ويصفها . وكان لا يأكلُ اللحم إلا يومَ أضحى ، أو من بقيَّة أضحيَّته ، أو يكونُ فى عُرس أو دَعوة أو سُفرة . وكان سمّى الرأس عُرسا * لما يجتمع < فيه > * من الألوان الطيِّبة. وكان يُسمِّيه مرَّة الجامع ، ومرَّة الكامل.

وكان يقول : « الرأس شىءٌ واحد ، وهو ذو ألوان عَجيبة وطُعوم مختلفة . وكل قِدر وكلُّ شِواء فإنما هو شىءٌ واحد ، والرأس فيه الدِماغ فطعمُ الدماغ على حدة ، وفيه العَينان وطعمُهما شىء على حدة ، * وفيه الشحمة التى بين أصل الأذُن ومؤخَّر العين وطعمُها على حدة * ، على أنَّ هذه الشَّحمة خاصَّة أطيبُ من المخّ وأنعمُ من الزبد وأدسم من السلاء ، وفى الرأس اللسان وطعمُه شىء على حدة ، وفيه الخَيْشوم والغُضروف الذى فى الخَيشوم وطعمهما شىء على حِدة ، وفيه لحمُ الخدَّين وطعمُه شىء على حِدة » ، حتى يقسِّم أسقاطه الباقية . ويقول : « الرأس سيِّد البدَن ، وفيه الدماغ ، وهو معدِن العقل ، ومنه يتفرَّق العَصَب الذى فيه الحسّ ، وبه قِوام البدن . وإنما القلبُ باب العقل . كما أنَّ النفسَ هى المدرِكة ، والعينُ هى بابُ الألوان . والنفسُ هى السامعة الذائقة ، وإنما الأنف والأذن بابان . ولولا أن العقلَ فى الرأس لما ذَهبَ العقل من الضربة تصيبه ، وفى الرأس الحواسّ الخمس » . وكان ينشِد قول الشاعر :

إذا ضرَبوا رأسى ، وفى الرأس أكثرى وغودِرَ عنـدَ الملتقَى ثمَّ سائرى

---

(١) آدما ك – (٧) عرس ك – < فيه > ليست بالأصل (١٠–١١) < وفيه الشحمة . . . حدة > العقد : سقطة فى الأصل

(٨ – ١٩) « وكان يقول . . . سائرى » العقد ٦ : ١٨٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(١٩) « إذا . . . سائرى » الحيوان ٦ : ١٥٣ ط الساسى (لتأبط شرا) ، عيون الأخبار ٣ : ٢٠٠ ، العقد ١ : ١١٩ ط لجنة التأليف ، الأغانى ٢١ : ١٣٦ ط بريل (للشنفرى) .

وكان يقول : « الناس لم يقولوا : هذا رأس الأمر ، وفلانٌ رأسُ الكتيبة ، وهو رأس القوم ، وهم رؤوس الناس وخراطيمُهم وأنفهم ، واشتقّوا من الرأس الرياسة والرئيس ، وقد رأسَ القوم فلان ، إلا والرأسُ هو المثَل وهو المقدم » .

وكان إذا فرَغ من أكل الرأس عَمَد إلى القِحف وإلى اللَّحْيَين * فوضعه بقرب بيوت النمل والذّر ، فإذا اجتمعن * فيه أخذه فنفَضه فى طست فيها ماء ، فلا يزال يعيد ذلك فى تلك المواضِع ، حتى يقلع أصل النمل والذرّ من داره ، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه فى الحطَب ، ليوقَد به سائرُ الحطب * .

وكان إذا كان يومُ الرؤوس أقعدَ ابنَه معه على الخِوان . إلا أن ذلك بعد تشرُّط طويل ، وبعد أن يقفَ به على ما يريده . وكان فيما يقول له : « إيّاك ونَهَمَ الصبيان ، وشرَهَ الزرّاع ، وأخلاق * النوائح . ودع عنك خبطَ الملاحين والفَعَلة ، ونهشَ الأعراب والمهنة . وكل من * بين يديك ، فإنما حظك الذى وقع * وصار أقربَ إليك . واعلم أنه إذا كان فى الطعام شىء طَريف ولُقمة كريمة ومُضغة شهيَّة ، فإنما ذلك للشَّيْخ المعظّم والصبىِّ المدلّل ، ولستَ واحداً منهما . فأنتَ قد تأتى الدَعوَات وتجيب * الولائم ، وتدخلُ مَنازل الإخوان وعهدُك باللّحم قريب ، وإخوانك أشدُّ قَرَماً إليه منك . وإنما هو رأس واحد ، فلا عليك أن تَتَجافى عن بعضٍ وتصيب بعضاً . وأنا بعدُ أكرَه لك الموالاة بين اللحم ، فان الله يُبغِضُ أهلَ البيت اللّحِمين . وكان < عمر > * يقول: إياكم وهذه المجازر ، فإن لها ضراوةً كَضراوة الخمر . وكان يقول : مُدمِن اللحم كمدمن

---

(٤) اللحيين (عيون الأخبار) : الحمين ك ، الجبين (فان فلوتن) — (٥) اجتمعت (فان فلوتن) — (٧) فاستوقده فى التنور (عيون الأخبار) — (١٠) واحلا ك — (١١) ما (فان فلوتن) — وقع < لك > (فان فلوتن) — (١٣) وتجيب الولائم (عيون الأخبار) : [وتجيب] الولائم ك ، والولائم (فان فلوتن) — ١٦) < عمر > (عيون الأخبار) : ساقطة فى الأصل .

(١٠٧ : ٥—١٠٨ : ٧) « وكان ابوعبد الرحمن . . . الحطب » عيون الأخبار ٣ : ١٩٩—٢٠٠ ، العقد الفريد ٤ : ٢١٩ ط الأزهرية — (١٦ — ١٧) « وكان . . . الخمر » الحيوان ٢ : ٨١ ط الحلبى ، حلية الأولياء ٢ : ١٩٤ (لسالم بن عبد الله)

الخمر . وقال المسيحُ * — ورأى رجُلا يأكل اللحم — فقال : لحمٌ يأكل لحماً ، أفّ لهذا عَملا . وذكر هَرِم بن قُطبة اللحمَ ، فقال : و إنه ليقتلُ السباع . وقال المهلب : لحمٌ وارد على غير قَرِم ، هذا الموت الأحمر . وقال الأول : أهلك الرجال الأحمران : اللحمُ والخمر ، وأهلك النساء الأحمران : الذهب والزعفران .

أيّ بنيّ عوِّد نفسَك الأثرة ومجاهدةَ الهوى والشهوة ، ولا تنْهَش نهشَ الأفاعى ولاتخضِم خَضم البراذين، ولا تُدِم الأكل إدامة النعاج ، ولا تلقَمْ لقْمَ الجمال . قال أبو ذرّ ، لمن بدّل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تخضِمون ونقضِم والموعد الله » . إنّ الله قد فضّلك فجَعلك إنساناً ،فلا تجعَلْ نفسَك بهيمة ولاسَبُعاً. واحذر سُرعة الكظّة وسرف البطنة . وقد قال بعضُ الحكماء : إذا كنت بطيناً فعدّ نفسَك فى الزّمْنى . وقال الأعشى :

والبِطنةُ ممَّا تسفّه الأحلاما

واعلم أنّ الشبَع داعية البَشَم ، وأن البَشم داعية السَّقَم ، وأنّ السَّقَم داعية الموت. ومن مات هذه المِيتةَ فقد مات مِيتة لئيمة ، وهو قاتِل نفسه وقاتِل نفسه ألوَم من قاتل غيره . واعجبْ إن أردتَ العَجَب. وقد قال الله جلّ ذكره ، ولا تَقْتُلوا أَنْفُسَكمْ. وسواء قتلنا أنفسنا أو قتل بعضُنا بعضاً كان ذلك للآية تأويلا* .

أى بنيّ إن القاتلَ والمقتولَ فى النار . ولو سألت حُذّاق الأطباء لأخبروك أن عامّة أهل القبور إنما ماتوا * بالتخَم . واعرف خَطأ من قال : أكلة ومَوْتَة ، وخذ بقول من قال : ربّ أكلة تمنع أكلات . وقد قال الحسنُ : يا ابنَ آدم كل فى ثُلُث بطنك ، واشرَب فى ثُلُث بطنك ، ودع الثُلُث للتفكُّر والتنفّس. وقال بكر بنُ عبد الله المزنى :

---

(١) الشيخ ك — (١٠) مما : يوما ك — (١٤) تأويل ك — (١٦) أتوا (فان فلوتن)

(١٨ — ١٩) « وقال المسيح . . . عملا » محاضرات الراغب الأصبهانى ١ : ٢٩١ المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٦ هـ — (٦ — ٧) « قال أبو ذر . . . الله » البيان والتبيين ٣ : ١٠٢ ط مصطفى محمد ، ١٩٣٢ — (٩) « إذا كنت . . . الزمنى » الحيوان ٧ : ٢٨ ط الساسى — (٩) « والبطنة . . . الاحلاما » لسان العرب مادة ب ط ن

ما وجدتُ طَعم العيش حتى استبدلتُ الخَمْص بالكِظَّة ، وحتى لم ألبس من ثيابى ما يَسْتَخدمنى ، وحتى لا آكل إلا ما < لا > * أغسل يدىّ منه .

يا بنىّ والله ما أدّى حقّ الركوع ولا وظيفةَ السجود ذو كِظَّة ، ولا خَشَع لله ذو بِطنة . والصّوم مَصَحَّة ، والوجباتُ عيش الصالحين .

ثم قال : لأمرٍ ما طالت أعمارُ الهند ، وصحَّت أبدان الأعراب . فلله * درّ الحارث ابنِ كلدة حين زعم أن الدواء هو الأزْم ، وأن الداء هو إدخال الطعامُ فى أثر الطعام .

أى بنىّ لم صَفَت أذهان العرب ، ولم صَدَقت أحساس الأعراب ، ولم صحَّت أبدان الرُّهبان ، مع طول الإقامة فى الصوامع ، وحتى لم تعرف النِّقْرِس ولا وَجع * المفاصل ولا الأورام ، إلا لقلّة الرزء * من الطعام ، وخفة الزاد والتبلّغ * باليسير ؟

أى بنىَّ إن نسيمَ الدنيا وَرَوْح الحياة ، أفضل من أن تبيتَ كَظيظاً وأن تكون بِقَصر العُمر خليقاً . وكيف لا ترغبُ فى تدبير يجْمعُ لك صحَّة البدَن ، وذكاء الذهن ، وصلاح المعاد * ، وكثرةَ المال ، والقرب من عَيْش الملائكة .

أى بنىّ لم صار الضبُّ أطول شىء عمراً ، إلا لأنه إنما يعيشُ بالنسيم ؟ ولم زعم الرسولُ صلى الله عليه وسلم أن الصومَ وجاء ، إلا ليجعل الجوع حِجازاً دون الشهوات ؟ افهم تأديب الله ، فإنه لم يقصِد به إلا إلى مثلك .

أىْ بنىّ قد بلغت تسعين عاماً مانغض * لى سنّ ، ولا تحرّك لى عَظم ، ولا انتشر لى عَصب ، ولا عَرَفتُ دَنين أذن ولا سَيَلان عين ولا سَلَس بول ، ما لذلك علة

---

(٢) < لا > صححنا : ليست بالأصل — (٥) فلله (عيون الأخبار) : مبهمة فى الأصل ، لله (فان فلوتن) — (٨) ولا وجع المفاصل (عيون الأخبار) : ولا المفاصل ك — (٩) الرزق (فان فلوتن) — التبليغ ك — (١٢) المعاد (عيون الأخبار) : المعا ك . وقارن نص العقد : « وصلاح الدين » — (١٦) نغض (عيون الأخبار) : نقص (فان فلوتن) ، فى الأصل مهملة

(١٠٨ : ٨ — ١١١ : ٢) « وكان إذا كان . . . ظلم » عيون الأخبار ٣ : ٢١٦ — ٢١٩ ، العقد الفريد ٤ : ٢١٩ — ٢٢٠ ط الأزهرية ، ٦ . ١٨٤ — ١٨٥ ط لجنة التأليف .

إلا التخفيف من الزاد . فإن كنت تحبُّ الحياة فهذه سبيل الحياة ، و إن كنت تحب الموت فلا يبعد الله إلا من ظلم » .

هذه كانت وصيَّته فى يوم الرءوس وحده . فلم يكن لعياله إلا التقمُّم ومصُّ العظم . ٣

وكان لا يشترى الرأس إلا فى زيادة الشهر ، لمكان زيادة الدماغ . وكان لا يشترى إلا رأسَ فتى لوفارة الدماغ ، لأنَّ دماغ الفتى أوفر و يكون مخه أنقص ، ومخّ المسن أوفر ودماغه أنقص .

ويزعمون أنّ للأهلّة * والمحاق فى الأدمغة والدماء عملاً معروفاً ، و بينها فى الربيع ٦ والخريف فَضْلاً بيناً . وتزعم الأعراب والعَرَب أن النطفة إذا وَقَعت فى الرَّحِم فى أول الهلال ، خرَج الولد قويًّا ضخماً ، و إذا كان فى المِحاق خرج ضَئيلا شَخْنا . وأنشِد قولُ الشاعر :

لَقِحت فى الهلال عن قُبُل الطهـ ـر وقد لاحَ للضـــياء * بشيرُ ٩

ثم نمى ولم يُراضـــع فلوا ورضاع المجحّ عيبٌ كبير

وكان أبو عبد الرحمن يشترى ذلك الرأسَ من جميع رَءّاسى بغداد ، إلا من رَءاسى مسجد ابن رغبان . وكان لا يشتريه إلا يومَ سبت . واختلَطَ عليه الأمرُ فيما بين الشتاء ١٢ والصّيْف ، فكان مَرَّةً يشتريه فى هذا الزمان ، ومرَّة يشتريه فى هذا الزمان .

وأما زهدُه فى رؤوس مسجِد ابن رغبان ، فإن البصريِّين يختارون لحمَ الماعز الخصىِّ على الضأن كله . ورؤوس الضأن أشحمُ وألحمُ وأرخص رُخصاً وأطيب . ورأسُ التَّيْس ١٥ أكثر لحماً من رأس الخصىّ ، لأنَّ الخصىَّ من الماعز يعرَق جِلدُه ، ويقلُّ لحمُ رأسه ولا يَبلغُ جِلدُه — و إن كان ماعزًا — فى الثمن عُشرَ ما يبلغُ جِلد التيس ، ولا يكون رأسُه إلا دوناً . ولذلك تخطاه إلى غيره . ١٨

وأما اختيارُ شراء الرؤوس يومَ السبت ، فإن القصّابين يذبحون يومَ الجمعة أكثر ، فتكثرُ الرؤوس يومَ السبت على قَدْر الفَضل فيما يذبحون ، ولأن العوامَّ والتجّار والصنّاع لا يقرمون إلى أكل الرؤوس يوم السبت مع قُرب عهدِهم بأكل اللحم يومَ الجمعة ، ولأن عامَّتهم قد ٢١

(٦) الأهلة ك — (٩) للضبا ك ، للصباح (فان فلوتن)

(٩) « لقحت . . . بشير » عيون الأخبار ٢ : ٦٥

يقيَت عنده فَضْلة ، فهى تمنَعه من الشهوة . ولأن الناس لا يكادون يجمعون على خوان واحد بين الرؤوس واللحم .

وأمَّا اختلاط التدبير عليه فى فَرْق ما بين الشتاء والصَّيف ، فوجهُ ذلك أنّ العِلَل كانت تتصوَّر له ، وتعرِض له الدواعى على قَدْر قَرَمه وحرَكة شَهْوته ، صيفاً وافَق ذلك أم شِتاء . فإن اشتراه فى الصَّيف ، فلأن اللحمَ فى الصيف أرخَص ، والرؤوس تابعة للحم ، ولأن الناسَ فى الشتاء لها آكل ، وهم لها فى القَيْظِ * أترك . فكان يختار الرُّخصَ على حسن الموقع . فإذا قَوِيت دواعيها فى الشتاء ، قال : « رأسٌ واحد شِتْوى كرأسين صَيفيين ، لأن المعلوفة غيرُ الراعية ، وما * أكل الكُسبَ فى الحَبْس موثقاً ، غيرُ ما أكل الحَشيش فى الصَّحراء مُطلقاً » . وكان على ثِقة أنه سيأتى عليه فى الشّتاء مع صِحّته وبدَنه ، وفى شكٍّ من استبقائه فى الصَّيف ، لنُقصان * شهوات الناس للرؤوس فى الصيف ، فكان * يخافُ جَريرةَ تلك البقيَّة وجناية تلك الفضلة . وكان يقول إن أكلتُها بعد الشبع لم آمن العطب : وإن تركتُها * لهم فى الصيف ، ولم يعرفوا العلّة ، طلبوا ذلك منِّى فى الشتاء .

---

(٦) القنص ك — (٨) واما ك — (١٠) < و > لنقصان (فان فلوتن) — فكان ، صححنا : كان ك — (٧) تركها ك

طرف شتى

عن العنبرى وأبى قطبة وفيلويه

حدثنى المكىّ قال : كنتُ يوماً عند العنبرىّ ، إذ جاءت جاريةُ أمِّه ، ومعها كوز فارغ ، فقالت : « قالت أمك : بلَغنى أنّ عندك مزمَّلة * ، ويومُنا يومٌ حارّ ، فابعث إلىّ بشربة منها فى هذا الكوز » . قال : « كذبتِ أمى أعقلُ من أن تبعثَ بكوز فارغ ونردُّه ملآن . اذهبى فاملئيه من ماء حُبِّكم ، وفرِّغيه فى حُبِّنا ، ثمّ املئيه من ماء مزمّلتنا ، حتى يكونَ شىء بشىء » .

قال المكىّ : فإذا هو يريدُ أن تدفع * جوهراً بجوهر < وعرضا > بعرض * ، حتى لاتربح أمه إلاصرفَ مابين العَرَضين الذى هوالبرد والحرّ ، فأما عدَدُ الجواهر والأعراض ، فمثلا بمثل .

وقال المكى : دخلتُ عليه يوماً ، وإذا عندَه جُلَّة تمر ، وإذا ظِئره جالسةٌ قبالته فكلما * أكل تمرةً رمى بنَوَاتها إليها ، فأخذَتها فمصّتها ساعة ثم عزلتها . فقلت للمكى : أكان يدَعُ على النواة من جسم التمر شيئاً ؟ قال : والله لقد رأيتُها لاكت نواة مرةً بعد أن مصَّتها ، فصاحَ بها صَيْحة ، لو كانت قَتلت قتيلا ما كان عنده أكثرُ من ذلك . وما كانت إلا فى أن تبادِلَه * الأعراض وتسلّم إليه الجوهر . وكانت تأخذُ حَلاوة النواة ، وتودعُها نَدْوة الريق .

قال الخليل : كان أبو قطبة يستغلّ ثلاثة آلاف دينار . وكان من البخل يؤخر تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد وسَيْل المتاعب ، ليَكْترى رجُلا واحداً فقط ، يُخرج ما فيها * ، ويصبُّه فى الطريق ، فيجترِفُه السيل ، ويؤدِّيه إلى القناة . وكان < بين > *

---

(٨) جوهرا بجوهر < وعرضاً > بعرض ، صححنا : جوهر الجوهر بعرض ك ، جوهر < بعرض > لجوهر بعرض (مرسيه) — (١٢) فلما ك — (١٥) تناوله ك — (١٩) ما فيها (فان فلوتن) : منه ك — ليست بالأصل .

موضع بئره والصبّ قدرُ مائتى ذراع ، فكان لِمكان زيادة دِرهمين يحتَمِل الانتظار شهراً أو شهرين . وإن هو جَرى فى الطريق ، وأذِىَ به الناس .

وقال : ونَظر يوماً إلى الكسّاحين ، وهو مَعنا جالس فى رجال من قريش ، وهم يُخرجون ما فى بالوعته ، ويرمُون به فى الطريق ، وسيلُ المثاعب يحتَمله ، فقال : أليس البطُّ والجِداء والدّجاج والفِراخ والدرّاج وخبزُ الشعير والصَّحْناء والكرّاث والجُوف جميعاً تصيرُ إلى ماترون ؟ فلم يُغالَى بشىء يصيرُ هو والرخيصُ فى مَعْنى واحد ؟

قال الخليل : وسَمِعتُه يقول : إيّاكم والفُسّاء فى ثيابكم التى تخرجُون فيها ، وفى لُحُفكم التى تنامون فيها ، فإن الفساء يدرّ القمل . إنى والله ما أقول إلا بعلم . ثم قال : علمتم أنَّ الصوتَ يدبغ ؟ قلنا : وكيفَ صار الصوتُ يدبغ ؟ قال : الفَسوة هى الضَّرطة بلا صَوت ، وإنما تخرجان جميعاً من قارورة واحدة ، فكيفَ تكون واحدةٌ طيبة وأخرى مُنتنة ؟ فهذا الذى يدلّكم أن الصوتَ هو الذى يدبُغها .

قال : وهم ثلاثة إخْوة : أبو قطبة والطيل وبانى ، من وَلَد عتّاب بن أسيد . واحدٌ منهم كان يحجُّ عن حَمزة ، ويقولُ : استشهد قبلَ أن يحجَّ . والآخر كان يضحّى عن أبى بكر وعمر ، ويقولُ : أخطأ السنَّة فى تَرك الضحية وكان الآخر يُفطِر عن عائشة أيام التشريق ، ويقول غلِطت — رحمها الله — فى صَوْمها أيّام العيد . فمن صام عن أبيه وأمّه ، فأنا أفطِر عن عائشة .

حدثتنى امرأة تعرِفُ الأمورَ ، قالت :

كان فى الحىِّ مأتم اجتَمع فيه عجائز من عجائز الحىّ ، فلما رأين أن أهلَ المأتَم قد أقمن المناحة ، اعتزلنَ وتحدّثن . فبينا هنَّ فى حديثهن ، إذ ذكرنَ برَّ الأبناء بالأمهات ، وإنفاقَهم عليهنَّ . وذكَرت كلُّ واحدةٍ منهنَّ مايُوليها ابنُها . فقالت واحدةٌ منهنَّ ،

---

(١٠) فاروره ك ، قاذورة (دى جويه) — (١٢) وبابى (فان فلوتن) .

(١٢ — ١٦) « وهم . . . عائشة » عيون الأخبار ٢ : ٥٥ ، العقد الفريد ٤ — ٢٠٢ ط الأزهرية .

وأم فيلويه* ساكِتة، وكانت امرأةً صالحة ، وابنُها يظهر التُسك ويدين بالبخل، وله حانوت فى مقبرة بنى حِصن يبيع فيها الأسقاط .

قالت : فأقبلَت على أمّ فيلويه* ، قالت لها : مالكِ لا تحدِّثين معنا عن ابنِك كما يتحدثن ؟ وكيفَ صنع فيلويه فيما بينَك وبينَه ؟ قالت : كان يُجرى علىّ فى كلّ أضحى دِرهماً . ثم قالت : وقَد قَطعه أيضاً . فقالت لها المرأة : وما كان يُجرى عليكِ إلا دِرهماً ؟ قالت : ما كان يُجرى علىّ إلّا ذاك ، ولقد ربما أدخلَ أضحى فى أضحى . فقالت : فقلت : يا أم فيلويه وكيفَ يُدخل أضحى فى أضحى ؟ قد يقولُ الناس : إنّ فلاناً أدخلَ شهراً فى شَهر ، ويوماً فى يوم ، وأما أضحى فى أضحى ، فهذا شىء لا بنك* لا يَشرَكه فيه أحد .

---

(١) قبلوه ك — (٣) قيلويه ك — (٨) [لابنك] (فان فلوتن) .

(١١٤ : ١٧ — ١١٥ : ٨) قصة فيلويه السقطى : الحيوان ٧ : ٥٧ ط الساسى .

قصة تمّام بن جعفر

كان تمّامُ بنُ جعفر بخيلا على الطعام ، مفرطَ البخل . وكان يُقبِلُ على كلِّ من أكل خبزَه بكلِّ علَّة ، ويُطالبه بكلِّ طائلة . وحتى ربما استخرَج عليه أنه كان حلال الدم .

وكان إن قال له نديم : «مافى الأرض أحدٌ أمشَى منِّى ، ولا على ظَهرها أحد أقوى على الحُضر منِّى » قال : « وما يمنعُك من ذلك وأنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحملُ الرجلَ إلَّا البطن؟ لا حَمِد الله من يَحمَدك » . فإن قال ، « لا والله إن أقدر أن أمشى لأنى أضعف الخلق عنه . وإنى لأنبهر مِن مَشْى ثلاثين خطوة » قال : « وكيف تمشى ، وقد جعلتَ فى بطنك ما يحملهُ عِشرون حمَّالا ؟ وهل ينطلِقُ الناس إلا معَ خفة الأكل ؟ وأىّ بطين يقدِرُ على الحركة ؟ وإنّ الكظيظ ليعجزُ عن الركوع والسجود . فكيفَ بالمشى الكثير ؟ » .

فإن شكا ضِرسَه ، وقال : « ما نمتُ البارحةَ مع وَجَعه وَضربانه » قال : « عجبت كيفَ اشتكيْتَ واحداً ، وكيفَ لم تشتكِ الجميع ؟ وكيفَ بقيت إلى اليوم فى فيك حاكّة ؟ وأى ضِرس يقوى على الضرس والطحن ؟ والله إن الأرحاء السورية لتكلّ ، وإن المنحاز الغليظَ ليتعبُه الدقّ . ولقد استبطأتُ لكَ هذه العلَّة . ارفقْ فإن الرِّفق يُمن ، ولا تخرُقْ بنفسِك فإنّ الخُرْقَ شؤم» . وإن قال : « لا والله إن اشتكيت ضرساً لى قط ، ولا تحلحل لى سنٌّ عن موضِعه ، منذ عرفتُ نفسى » قال : « يا مجنون لأن كثرة المضغ

---

(٣) كابن جلاد الدم ك — (٨) حمال ك — (١٠) الكبير ك ، النكير (فان فلوتن) — (١١) المنحار ك — المنجان (فان فلوتن) — (١٦) تجلجل (فان فلوتن)

(١٦ — ١١٧ : ١) «كثرة . . . أسوها» كتاب التطفيل للخطيب البغدادى ، ص ٨٩ ، مطبعة القدسى .

تشدُّ العمُور وتقوِّى الأسنان وتدبغ اللثة وتغذو أصولَها ، وإعفاء الأضراس من المَضْغ يريّحها* ، وإنما الفم جزء من الإنسان . وكما أن الإنسان نفسَه إذا تحرّك وعَمِل قَوِى ، وإذا طال سكونهُ تفتَّخ واسترخى ، فكذلك الأضراس . ولكن رِفقاً ، فإن الإتعابَ ينقضُ القوة . ولكلِّ شىء مِقدارٌ ونهاية . فهذا ضِرسُك لا تشتكيه ، بطنُك أيضاً لا تشتكيه؟».

فإن قال : « والله إن أروَى من الماء ، وما أظنُّ أنَّ فى الدنيا أحداً أشربَ منِّى للماء » قال :«لا* بدَّ للتراب من ماء . ولا بدَّ للطين من ماء يبلّه ويَرويه . أو ليست* الحاجة على قَدْر كثرته وقلّته . والله لو شربتَ ماء الفراتِ ما استكثرتهُ لك ، مع ما أرى من شدَّة أكلك وعِظم لَقمك . تدرى ما قد تَصنع ؟ أنتَ والله تلعب . أنت لستَ ترى نفسك فسلْ عنك من يصدُقك ، حتى تعلَم أنَّ ماء دجلة يقصُر عما فى جَوْفك » . فإن قال : « ما شربتُ اليومَ ماء البتة ، وما شربتُ أمس بمقدار نصف رطل . وما فى الأرض إنسان أقلّ شرباً منِّى للماء » قال : «لأنك لا تدعُ لشُرب الماء مَوْضِعاً ، ولأنك تكنِز فى جَوفك كنزاً لا يجدُ الماء معه مدخلاً . والعجبُ لا تتخم ، لأن من لا يشرب الماء على الخِوان لا يدرى مقدارَ ما أكل ، ومن جاوَز مِقدار الكِفاية كان حريًّا بالتخمة » .

فإن قال : « ما أنام الليلَ كلَّه . وقد أهلكَنى الأرق » قال : « وتدعُك الكظَّة والنَّفخة والقرقرة أن تنام ؟ والله لو لم يكن إلّا العَطش الذى ينبِّه الناس لما نمتَ . ومن شَربَ كثيراً بال كثيراً . ومن كان الليلَ كلَّه بين شُرب وبَول ، كيف يأخذه النوم ؟ » .

فإن قال : « ماهو إلا أن أضعَ رأسى ، فإنما أنا حجرٌ مُلقًى إلى الصبح» قال : «ذلك لأن الطعامَ يسكر* ويخدِّر ويختر* ويبلُّ الدماغ ويبلُّ العروق ويسترخى عليه جميعُ البدَن. ولو كان فى الحقِّ لكان ينبغى أن تنامَ الليلَ والنهار » .

فإن قال : « أصبحتُ وأنا لا أشتَهى شيئاً » قال : « إياك أن تأكل قليلاً ولا كثيراً ، فإن أكلَ القليل على غير شَهوة أضرُّ من الكثير مع* الشهوة . قال الخوانُ : ويلٌ لى

(٢) يريحها (مرسيه) : يريحها (فان فلوتن) ، ومن القراءات الجائزة : يرنحها ، يربحها — (٦) ساقطة فى ك فى الموضعين — أو ليت (فان فلوتن) — (١٨) يسكن (فان فلوتن) — ومحر ك ، ويحير (فان فلوتن) — (٢١) من ك

ممَّن قال لا أريد . وبعد فكيفَ * تشتهى الطعامَ اليوم ، وأنتَ قد أكلت بالأمس طَعام عشرة ؟ » .

وكان كثيرًا ما * يقول لنُدمائه : « إياكم والأكل على الُخمار . فإنَّ دواء الخمار الشرابُ . الخمارُ تخمَة ، والمتخَم إذا أكل ماتَ لامحالة . وإياكم والإكثارَ فى عَقِب الحِجَامة والفصد والحمَّام . وعليكم بالتخفيف فى الصيف كله . واجتَنِبوا اللحم خاصَّة » .

وكان يقول : ليسَ يفسدُ الناسَ إلَّا الناس . هذا الذى يضرُط ويتكلَّم بالكلام البارد وبالطرَف المستنكرة ، لو لم يُصبْ من يضحَك له ، وبعض من يشكره ويَتضاحَك له . أو ليسَ هو عنده إلَّا أن * يظهر العَجَب به ، لما ضرَط الضارط ، ولما تكلف النوادر إلا أهله . قولُ الناس للأكول النَّهم وللرَّغيب الشَّره : « فلان حسنُ الأكل » هو الذى أهلكه وزاد فى رُغبه * ، حتى جعَل ذلك صِناعة ، وحتى ربما أكل — لمكانِ قولهم وتقريبهم وتعجُّبهم — ما * لا يُطيقه فيقتُله * فلا يزالُ قد هَجَم على قوم ، فأكل زادهم وتركهم بلا زاد . فلو قالوا — بدَل قولهم : فلانٌ حسَن الأكل — : فلان أقبحُ الناس أكلاً ، كان ذلك صلاحًا للفريقين * .

ولا يزال البَخيلُ على الطعام قد دعا الرغيبَ البطنِ ، واتخذ له الطعام الطيِّب ، لينفى عن نفسه المقالة ، وليكذِّب عن نفسه تلك الظنون . ولو كان شدَّة الضِّرس يعدُّ فى المناقب ويمدحَ صاحبهُ به * فى المجالس ، لكانت الأنبياء آكلَ الخلق ، ولخصَّهم الله جلَّ ذكره من الرُّغب * بما لم يُعطِه أحداً من العالَمين . وكيفَ وفى مأثور الحديث « إنَّ المؤمنَ يأكل فى مِعًى واحد ، وإنَّ المنافقَ يأكل فى سَبعة أمعاء » . أوَلسنا قد نراهم يشتمون بالنَّهَم وبالرُّغب وبكثرة الأكل ، ويمدحون بالزَّهادة وبقلَّة الطَّعم * ؟ أوَليسَ قد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « من أدلّه على الحسناء القَتين ؟ » . وقد سابَّ رجلٌ أيوبَ بنَ

---

(١) وكيف (فان فلوتن) — (٣) مما ك — (٨) إذا كان ك — (١٠) رغبه ، صححنا : رغبته ك — (١١) مما ك — فيقتل (فان فلوتن) — (١٣) لفريقين (فان فلوتن) — (١٦) [به] (فان فلوتن) — (١٧) الرغبة ك (فى الموضعين) — (١٩) الطعام (فان فلوتن) .

(١٧–١٨)« المؤمن . . أمعاء » صحيح البخارى : الأطعمة : ١٣

سليمان بنِ عبد الملك ، فقال فى بعض ما يسبُّه : ماتت أمّك بغَرًا ، وأبوك بَشَماً .

و بعدُ فهل سَمِعتم بأحد قطّ فخَر بشدّة أكل أبيه ، فقال : أنا ابن آكل العرب ؟ بل قد رأينا أصحاب النبيذ والفتيانَ يمتدَحون بكثرةِ الشرب ، كما يمتدحون بقلّة الرّزء . * ٣ وكذلك * قالت العرب . قال الشاعر :

تكفيه فلذة كبد إنْ ألمَّ بها من الشِّوَاء ويكفى * شربه الغمر

وقال : ٦

لا يتأرَّى لما فى القِدر يطلبهُ ولا تراه أمام القوم يقتفِر

وقال :

لا يغمزُ الساقَ من أيْن ولا وَضَم ولا يعضُّ على شرسوفه الصَّفَر ٩

(والصَّفَر هى حيَّات البطون ، إنما تكونُ من الفُضول والتَخَم ، ومن الفساد والبَشَم) .

وشَرِب مرَّة النبيذ ، وغنَّاه المغنِّى ، فشق قميصَه من الطرَب ، فقالَ ، لمولى له ، يقال له المحلول * * ، وهو إلى جنبه : « شقّ أيضاً أنت — ويلك — قميصَك » — والمحلول ١٢ هذا من الآيات — قال : « لا والله لا أشقّه ، وليسَ لى غيره » . قال : « فشقّة ، وأنا أكسوك غداً » قال : « فأنا أشقّه غداً » . قال : « أنا ما أصنَع بشقِّك له غداً ؟ » قال : « وأنا ما أرجو من شقه الساعة ؟ » . ١٥

فلم أسمَع بإنسان قط يقايِسُ ويُناظِر فى الوقتِ الذى إنما يشقُّ فيه القميصَ من غلبة الطّرب ، غيرَه وغيرَ مولاه محلول .

---

(٣) الرزء : الرزق ك — (٤) ولذلك (فان فلوتن) — (٥) ويكفى (المبرد) : ساقطة فى الأصل ، ويروى (فان فلوتن) .

(٥ — ٩) « تكفيه . . . الصفر » الاصمعيات ص ٩١ ، ٩٢ ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ م الكامل للمبرد ٣ : ٢٨٥ ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٣٩ هـ ، أمالى السيد المرتضى ٣ : ١١٠ — ١١١ ، مختارات ابن الشجرى ، ص ٩ ، ط ١٩٢٥ م ، أمالى القالى ، ١ : ٦ ، أدب الكاتب ص ١٧ ، ط ١٣٣٠ (لأعشى باهلة) . والبيت الأول فى إصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٣١٦ والثانى ص ١٩٩ ، ط دار المعارف ، ١٩٤٩ م .

طرف شتى

دخل عليٌّ الأعمى على يُوسف بن كلٍّ خير ، وقد تغدّى ، فقال : « ياجارية هاتى لأبى الحسَن غداء » . قالت : « لم يبقَ عندنا شيء » قال : « هاتى — ويلك — ما كان ، فليسَ من أبى الحسن حِشمة » . ولم يشكّ عليٌّ أنه سيؤتى برغيف ملطخ ، و برُقاقة ملطّخة ، وبسكّر و بقيّة مرق ، وبعَرْق و بفَضلة شواء ، و ببقايا ما يفضُل فى الجامات والسكرّجات . فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل ، لاشيء معه ° غيره . فلمّا وضَعوا الخِوان بين يديه ، فأجال يدَه فيه ، وهو أعمى ، فلم يقع إلا على ذلك الرغيف . وقد علم أنّ قوله : « ليس منه حِشمة » لا يكون إلا مع القليل . فلم يظن أن الأمر بلغ ذلك . فلمّا لم يَجِدْ غيرَه ، قال : « ويلكم ولا كل هذا بمرّة . رفعتم الحشمةَ كلها . والكلامُ لم يقع إلا على هذا؟ » .

حدّثنى محمد بن حسّان الأسود ، قال : أخبرنى زكريّا القطان قال : كان للغزّال قطعة أرض قُدّامَ حانوتى . فأكرى نصفَها من سمّاك ، يسقِط عنه ما استطاعَ من مؤنة الكِراء . قال : وكان الغزّال أعجوبة فى البُخل ، وكان يجيء من مَنزله ومعه رغيفٌ فى كمّه ، فكان أكثرَ دهره يأكله بلا أدم ، فإذا أعيا عليه الأمر أخذ من ساكنِه جُوافة ° ° بحبّة ، وأثبتَ عليها فَلساً فى حسابه . فإذا أراد أن يتغدّى أخذ الجُوافة ، فَمسحها على وَجه الرغيف ، ثم عضّ عليه . وربما فتحَ بطنَ الجوافة فبطّن ° جنبيها و بطنها باللقمة بعد اللقمة . فإذا خاف أن يُنهكها ذلك وينضمّ بطنُها ، طلبَ من ذلك السّماك شيئاً من مِلح السمك . فحشا جَوْفها لينفخها ، وليوهِمَ أن هذا هو مِلحها الذى مُلّحت به . ولر بما غلبته شهوته ، فكدَم طرَف أنفها ، وأخذ من طَرف الأرنبة ما يُسيغ ° به لقمَته . وكان ذلك منه لا يكون إلا فى آخرها لقمة ، ليطيّب فمه بها ، ثم يضمُها فى ناحية . فإذا اشترى من امرأة غَزْلا أدخَل تلك الجُوافة فى ثمن الغزل ، من طريق إدخال العُروض ، وحسبها عليها ° بفَلس . فيسترجِعُ رأسَ المال ، ويُفضل الأدم .

---

(٦) [معه] (فان فلوتن) — (١٥) فبطن ك : فيطر (فان فلوتن) — (١٨) ما يشيع ك — (٢٠) عليها (فان فلوتن) : عليه ك .

وروى أصحابنا عن عبدِ الله بن المقفع ، قال :

< كان > * ابن جُذام الشبي * يجلسُ إليّ ، وكان ربّما انصرف معى إلى المنزل ، فيتغدّى معنا ويقيمُ إلى أن يُبرد . وكنت أعرفه بشدّة البخل وكثرةِ المال . فألحّ على فى الاستزارة ، وصمّمت عليه فى الامتناع . فقال : جعلتُ فداك أنت تظنّ أنى ممّن يتكلف وأنت تُشفِق علىّ ؟ لا والله إن هى إلا كُسَيرات يابِسة ، وملح ، وماء الحب . فظننتُ أنه يريد اختلابى بتهوين * الأمر عليه . وقلتُ : إن هذا كقولِ الرجل : ياغلام أطعِمنا كِسرة ، وأطعم السائلَ خمسَ تمرات . ومعناه أضعافُ ما وقعَ اللفظُ عليه . وما أظنّ أن أحداً يدعُو مثلى إلى الخُرَيبة * من الباطنة * * ، ثم يأتيه بكِسرات وملح .

فلما صرت عنده ، وقرّبه إلىّ ، إذ وقف سائل بالباب فقال : أطعِمونا مما تأكلون ، أطعمكم الله من طَعام الجنّة . قال : بورك فيك . فأعاد الكلام ، فأعاد عليه مثلَ ذلك القَوْل . فأعاد عليه السائلُ ، فقال : اذهب — ويلكَ — فقد ردّوا عليك . فقال السائل : سُبحان الله ما رأيتُ كاليوم أحداً يردّ من لُقمة ، والطعامُ بين يديه . قال : اذهب — ويلكَ — وإلاّ خرجتُ إليكَ — والله — فَدقدقتُ ساقيك . قال السائل : سبحان الله ، ينهى الله أن يُنهر السائل ، وأنتَ تدقّ ساقيه؟ فقلت للسائل : اذهبْ وأرح نفسك ، فإنك لو تعرف من صِدق وعيده مثلَ الذى أعرفُ ، لماوقفتَ طرفة عين ، بعد ردّه إياك .

وكان أبو يعقوبَ الذقنان يقول : ما فاتنى اللحمُ منذ ملكتُ المال . وكان إذا كان

---

(٢) < كان > : ساقطة فى الأصل — الشبى (؟) : الشى ك — (٦) لتهوين ك — (٨) الخريبة . صححنا : الحربية ك .

---

(١) « قصة ابن المقفع مع ابن جذام الشبى » البيان والتبيين ٢ : ١٠٣ — ١٠٤ ط الفتوح ، المحاسن والمساوى للبيهقى ٢٧٧ — ٢٧٨ ، العقد الفريد ٤ : ٢٢١ ط الأزهرية ، ٦ : ١٨٦ ط لجنة التأليف وانظر البخلاء للخطيب (ورقة ٢٢) وقد وضع الأعمش موضع ابن المقفع .

يومُ الجمعة أشترى لحمَ بقَر بدرهم ، واشترى بصَلا بدانق ، و باذنجاناً بدانق ، وقَرعة بدانق، فإذا كان أيامُ الجزَر فجزراً بدانق ، وطبَخه كله سِكباجا* . فأكل وعيالَه يومئذ خبزَهم بشيء من رأس القِدر ، وما ينقطعُ فى القِدر البَصَل من والباذنجان والجزَر والقَرع والشحم واللحم . فإذا كان يومُ السبت ثرّدوا خبزَهم فى المرَق . فإذا كان يومُ الأحد أكلوا البصَل . فإذا كان يومُ الاثنين أكلوا الجزَر . فإذا كان يومُ الثلاثاء أكلوا القَرع . فإذا كان يومُ الأربعاء أكلوا الباذنجان . فإذا كان يومُ الخميس أكلوا اللحم . فلهذا كان يقول : ما فاتنى اللحمُ منذُ ملكتُ المال .

قال أصحابنا : نزلنا بناس من أهل الجزيرة ، و إذا هم فى بلاد باردة ، و إذا حطَبهم شرٌّ حَطب ، و إذا الأرضُ كلّها غابةٌ واحدة طَرفاء . فقلنا : « ما فى الأرض أكرم من الطرفاء » ، قالوا* : « هو كريم ، ومن كرَمه نفرّ . » . قالوا* : فقلنا : « وما الذى تفرّون منه ؟ » قالوا : « دخانُ الطرفاء يهضِم الطعام ، وعيالُنا كثير » .

وقد عاب ناسٌ أهل المازح والمدبر** بأمور : منها أنّ خشكنانهم** من دقيق شَعير ، وحشْوه — الذى < يكون >* فيه من الجوْز والسكّر — من دَقيق خشكار . وأهلُ المازح لا يُعرفون بالبخل ، ولكنّهم أسوأُ الناس حالاً ، فتقديرُهم على قَدْر عيشهم . و إنما نحكى عن البُخَلاء الذين جَمعَوا بينَ البُخل واليُسر ، و بينَ خَصْب البلاد وعيش أهل الجَدْب . فأمّا من يضيِّق على نفسه لأنّه لا يعرفُ إلا الضيق ، فليسَ سبيلهُ سبيلَ القوم .

قال المكى : كان لأبى عمّ يقال له سليمان الكثرىّ . سمّى بذلك لكثرة ماله . وكان يقرِّبنى وأنا صبىّ إلى أن بلغت . ولم يَهبْ لى مع ذلك التقريب شيئاً قطّ . وكان قد جاوَزَ فى ذلك حدَّ البخلاء . فدخلتُ عليه يوماً ، و إذا قدّامَه قطعُ دار صينى لا تَسْوى قيراطاً ؛ فلما نال حاجتَه منها ، مددتُ يدى لآخذَ منها قطعة ، فلما نظرَ إلىّ قبضتُ يدى ، فقال : « لا تنقبض* وانبسط واسترسل وليحسن ظنّك ، فإن حالَك عندى على ما تحبّ ، فخذه كلّه ، فهو لك بزَوْبره و بحذافيره ، وهو لك جميعاً ؛ نفسى بذلك

(٢) سكباج ك — (١٠) قال ك — [قالوا] (فان فلوتن) — (١٣) < يكون > صححنا : ليست بالأصل

سخيّة . والله يعلمُ أنى مسرور بما وصل إليك من الخير » . فتركتُه بينَ يديه ، وقمت من عندِه وجعلتُه وجهى — كما أنا — إلى العِراق . فما رأيتُه وما رآنى حتّى مات .

وقال المكى : سمِعنى سليمان ، وأنا أُنشِدُ شعرَ امرئ القيْس : ٣

لنـا غَنَم نسوّقهـا غِزار كأَن قرونَ جِلّتهـا العصىّ
فتمـلأ بيتَنـا أَقِطاً وسَمْناً وحسبُك من غِنًى شِبعٌ وريّ

قال : لو كان ذكر مع هذا شيئاً من الكُسوة لكان جيداً . ٦

وهو الذى قال ليحيى بن خالد ، حين نَقب فى أبى قُبيس ، وزاد فى داره : عَمَدت إلى شَيْخ الجبال فزَعزعْته وثلمتَ فيه .

وقال : حينَ عوتبَ فى قلّة الضّحِك وشدّة القطوب : إن الذى يمنعُنى من الضّحك ٩ أنّ الإنسان أقربُ ما يكونُ من البَذل إذا ضَحِك وطابَت نفسه .

صحبنى محفوظٌ النقّاش من مسجِد الجامع ليلاً . فلما صرتُ قربَ منزله ، وكان منزلهُ أقرب إلى مسجد الجامع من منزلى ، سألنى أن أبيتَ عندَه ، وقال : « أين تذهبُ فى هذا ١٢ المطر والبرد ، ومنزلى منزلُك ، وأنتَ فى ظُلمة وليسَ معك نار ، وعندى لبأ لم يرَ الناسُ مثلَه ، وتمرٌ ناهيك به جَوْدة ، لا تصلح إلا له » . فملتُ معه . فأبطأ ساعة ثم جاءنى بجام لِبَأ وطبق تمر ، فلمّا مددتُ * قال : « يا أبا عثمان إنه لِبأ وغِلَظُه ، وهو الليلُ وركودُه ، ثم ١٥ ليلةُ مطرٍ ورطوبة وأنتَ رجلٌ قد طعَنْتَ فى السنّ ، ولم تزل تشكو من الفالِج طَرَفا ، وما زال الغليلُ * يُسرِع إليك ، وأنت فى الأصل لستَ بصاحبِ عِشاء . فإن أكلتَ اللّبأ ولم تبالغ ، كنتَ لا آكلاً ولا تاركاً ، وحرشت طباعَك ، ثم قطعتَ الأكل أشهى ١٨ ما كان إليك . وإن بالغتَ بتنا فى ليلة سَوْء ، من الاهتمام بأمرك . ولم نعدَّ لك نبيذاً ولا عَسَلا . وإنما قلتُ هذا الكلام ، لئلا تقول غداً : كانَ وكانَ . والله قد وقمتُ بين نابى

(١٥) لعلها : مددت يدى — (١٧) العليل ك

(٤ — ٥) « لنا غنم . . . وري » ديوان امرىء القيس ص ١٤٩ . ط الرحمانية ١٩٣ م . الحيوان ٥ : ٤٩٥ (ط الحلبى) ، عيون الأخبار ٢ : ٧٦ ، أمالى القالى ١ : ١٨ .

أسد . لأنى لو لم أجئك به، وقد ذكرته لك ، قلتَ: بَخِل به و بدا له فيه ؛ و إن جئتُ به ، ولم أحذّرك منه ، ولم أذكّرك كل ما عليك فيه ، قلتَ : لم يُشفِق علىّ ولم ينصح . فقد برئتُ إليكَ من الأمرين جميعاً . فإن * شئتَ فأكلة ومَوْتة ، و إن شئتَ فبعضُ الاحتمال، ونومٌ على سَلامة » .

فما ضحكتُ قط كضَحِكى تلك الليلة . ولقد أكلتُه جميعاً فما هضَمه إلّا الضحِك والنشاط والسرور ، فيما أظنّ . ولو كان معى من يفهمُ طيبَ ماتكلّم به لأتى * علىّ الضحك، أو لقضى علىّ . ولكن ضحِك من كان وحده لا يكونُ على * شطر مشاركة الأصحاب .

قال * أبو القماقم ** : أوّل الإصلاح ألا يردّ ماصار فى يدى لك ؛ فإن كان ماصار فى يدى لى فهو لى ، و إن لم يكنْ لى فأنا أحقّ به ممن صيّره فى يدى . ومن أخرَج من يده شيئاً إلى يدِ غيره ، من غير ضَرورة ، فقد أباحه لمن صيّره إليه . وتفريقك * إياه مثلُ إباحته .

وقالت له امرأته : ويحك يا أبا القماقم إنى قد تزوّجت زوجاً نهاريًّا ، والساعة وقته ، وليست علىّ هيئة فاشتر لى بهذا الرغيف آساً * ، وبهذا الفَلس دُهناً * ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقِى محبَّتى فى قلبه . فيرزقَنى على يدَيك شيئاً أعيشُ به ، فقد والله ساءت حالى ، و بلَغ المجهود منّى ؛ فأخذَهما وجعلها وجهه . فرأته بعدَ أيام، فقالت : سبحان الله أما رحمتنى مما صنعتَ بى ؟ قال ويحك سقط والله منى الفَلس ، فمن الغمّ أكلتُ الرغيف .

وتعشّق واحدةً ، فلم يزَل يتبعُها ، ويبكى بين يدَيْها ، حتى رحِمته . وكانتْ مكثِرة وكان مقلاً . فاستهداها هَريسة ، وقال : أنتم أحذقُ بها . فلمّا كان بعدَ أيام تشهّى عليها رؤوساً * ، فلمّا كان بعدَ قليل طلبَ منها حَيْسة . فلمّا كان بعدَ ذلك تشهّى عليها طَفَيْشيلة * .

---

(٣) و إن (فان فلوتن) — (٦) لأنى ك — (٧) لعلها : الا على — (٨) < و > قال (فان فلوتن) — (١٠) وتفريقك : وتعريفك ك ، وتغريبك (مرسيه) — (١٢) آس ك — دهن ك — (١٨) روس ك — (١٩) طفشيلة ك

(١٦ — ١٢٥ : ٢) « وتعشق . . . معدتك » انظر مثل هذه القصة فى نثر الدرر لزيد الكفاه الآبى ، خ دار الكتب المصرية

قالت المرأة : رأيتُ عِشق الناس يكونُ فى القَلب وفى الكبد وفى الأحشاء ، وعشقُك أنتَ ليس يجاوز مَعِدتك .

وقال أبو الأصبغ : ألحّ أبو القماقِم على قَوْم عند الخِطبة إليهم ، يَسأل عن مال المرأة ويُحصيه . ويسأل عنه . فقالوا : قد أخبرناك بمالِها ، فأنت أىَّ شىء مالُك ؟ قال : وماسؤالكم عن مالى ؟ الذى لها يَكفينى ويَكفيها .

سمعتُ شَيخاً من مَشايخ الأبلّة * يزعم أنّ فقراء أهل البَصرة أفضلُ من فُقَراء أهل الأبلّة . قلتُ : بأىِّ شىء فضّلتهم ؟ قال : هم أشدّ تعظيما للأغنياء ، وأعرفُ بالواجب .

ووَقع بين رجُلين أبلّيّين كلام . فأسمعَ أحدُهما صاحبَه كلاماً غليظاً ، فردَّ عليه مثلَ كلامه . فرأيتُهم قدأنكَروا ذلك إنكاراً شديداً ، ولم أر لذلك سبباً . فقلت : لم أنكرتم أن يقولَ له مثلَ ما قال ؟ قالوا : لأنه أكثرُ منه مالا . وإذا جوَّزنا هـذا له ، جوَّزنا لفقرائِنا أن يكافِئوا أغنياءنا ، ففى هذا الفسادُ كلُّه .

وقال حَمْدان بن صباح : كيف صار رِياحٌ يسمَعُنى ولا أسمعه ؟ < أفهو > * أكثرُ مالا منى ؟ ثم سكت .

قال : ويكونُ الزائر من أهل البَصرة عند الأبُلّىّ مقيماً مطمئنًّا ، فإذا جاء المدُّ قالوا * : « مارأينا مدًّا قطُّ ارتفَع ارتفاعَه ، وما أطيبَ السيرَ فى المدِّ ، والسيرُ فى المدِّ إلى البَصرة أطيبُ من السَّيْر فى الجزر * إلى الأبلّة » ؛ فلا يزالون به حتى يرى أنّ من الرأى أن يغتنم ذلك المدّ بعينه .

كان أحمدُ بنُ * الخاركى ** بخيلا ، وكان نفّاجاً . وهذا أغيظُ ما يكون . وكان يتّخذ لكلِّ جُبّة أربعةَ أزرار ، ليرى الناسُ أن عليه جُبَّتين . ويشترى الأعذاقَ والعراجين والسعَف من الكلاّء * ، فإذا جاء به الحمّال إلى بابه تركَه ساعةً يُوهِم الناس أنّ له من الأرَضين ما يُحتَمل أن يكون ذلك كلّه منها . وكان يكترى قُدُور الخمّارين التى تكون

---

(١٢) < أفهو > (فان فلوتن) : ليست بالأصل — (١٥) قالوا (فان فلوتن) : قدجاوك — (١٦) الجزر (فان فلوتن) : الحرة ك — (١٨) الخاركى ك — (٢٠) الكلا ك .

للنبيذ ، ثمّ يتحرّى أعظمَها ، ويهرب من الحمّالين بالكِراء ، كى يَصيحوا بالباب ؛ « يشربون الدّاذىّ والسّكَر ، ويحبِسون الحمّالين بالكِراء ؟ » وليسَ له فى منزله رِطل دِبس . وسمع قول الشاعر :

رأيتُ الخبزَ عزّ لدَيك حتّى حَسِبت الخبزَ فى جوِّ السحاب
وما روّحتَنا لتذبّ عنّا ولكنْ خِفتَ مرزئة الذباب

فقال : ولم ذبّ عنهم لعنه الله ؟ والله ما أعلم إلاّ أنه شهّى إليهم الطعام ، ونظف لهم القِصاع ، وفرّغهم له ، وسحّرهم عليه . ثم ألا تركَهم تقعُ فى قِصاعهم وتسقُط على آنفِهم وعيونهم ؟ هو والله أهل لما هو أعظم من هذا . كم ترَون من مرّة قد أمرتُ الجارية أن تلقِىَ فى القَصْعة الذبابة والذبابتين والثلاثة ، حتى يتقزّز بعضُهم ، أو يكفى الله شرّه .

قال : وأمّا قوله :

رأيتُ الخبزَ عزّ لديك حتّى

قال : فإذا لم أعزَّ هذا الشىء الذى هو قِوام أهل الأرض ، وأصلُ الأقوات ، وأمير الأغذية ، فأىّ شىء أعِزّ . إى والله إنى أعزُّه وأعزّه وأعزّه وأعزّه ، مدى النفس ، ما حَملتْ عَيْنى الماء .

وبلغ من تَفجه مع ذلك ما خبّرنى به إبراهيم بنُ هانئ قال : كنتُ عندَه يوماً ، إذ مرّ به بعض الباعة ، فصاح : « الخوْخ الخوخ » . فقلت : « وقد جاء الخوخ بعد ؟ » قال : « نعم قد جاء ، وقد أكثرنا منه » ، فدعانى الغيظُ عليه إلى أن دَعَوْتُ البيّاع ، وأقبلتُ على ابن الخاركى ، فقلتُ : « ويحَك نحنُ لم نسمع به بعدُ ، وأنت قد أكثرتَ منه ؟ وقد تعلمُ أن أصحابنا أترفُ منك » ، ثم أقبلتُ على البيّاع فقلت :

---

(٢) يشترون (فان فلوتن) — الذادى (فان فلوتن) — (٦) [والله] (فان فلوتن) — (٧) تركهم (فان فلوتن) — (٨) آنافهم (فان فلوتن) — < أنت أيضاً دون > كم ك ، وعندى أنها أقحمت عند هامش بعض النسخ التى أخذت عنها نسختنا . والكلام مستقيم بدونها — (١٣) فان (فان فلوتن) .

« كيف تبيع الخوخ ؟ »، فقال : « ستة بدرهم » ؛ قلت : أنتَ ممن يَشترى ستَّ خَوْخات بدرهم ، وأنت تعلم أنه يباع بعد أيام مائتين بدرهم ؟ ثم تقول : وقد أكثرنا منه ، وهذا يقول : ستَّة بدرهم » قال : « وأىّ شىء أرخَصُ من ستَّة أشياء بشىء » .

كان غلام صالح بنِ عفَّان يطلبُ منه نِفطاً لبيت الحمار بالليل ، فكان يُعطيه كلَّ ليلة ثلاثةَ أفلس ، * والطسوج أربعةُ فلوس * . ويقول : طسُّوج يفضُل وحبة تنقص * و بينهما يرمى الرامى .

وكان يقول لابنه : تعطى صاحبَ الحمَّام وصاحبَ المعبر لكلِّ واحد منهما طسُّوجاً * ، وهو إذا لم يرَ معك إلا ثلاثة أفلس لم يردّك ؟

قال أبو كعب : دعا موسى بنُ جناح جَماعة من جيرانه ، ليفطروا عنده فى شهر رمضان ، وكنتُ فيهم . فلما صلَّينا المغرب ، * ونجَز ابنُ جَناح * ، أقبل علينا ثمَّ قال : لا تعجَلوا فإن العَجَلة من الشيطان . وكيف لا تعجَلونَ * وقد قال الله جلَّ ذكره : « وَكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً » وقال : « خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَل » . اسمَعوا ما أقول ، فإن فيما أقولُ حسن المؤاكلة ، والبعدَ من الأثرَة ، والعاقبةَ الرشيدة ، والسيرةَ المحمودة : « إذا مدّ أحدُكم يدَه إلى الماء فاسْتَسْقَى — وقد أتيتم ببطَّة أو بجوذابة أو بعصيدة ، أو ببعضِ ما يجرى فى الحَلق ولا يُساغ بالماء ، ولا يحتاجُ فيه إلى مَضْغ ، وهو طعامُ يَد لا طعام يَدَين ، وليست على أهل اليَد منه مؤنة ، وهو مِمَّا يذهبُ سَريعاً — فأمسِكوا حتى يفرغ صاحبُكم . فإنكم تجمَعون عليه خِصالا ، منها : أنكم تنغِّصون عليه تلك الشَّربةَ * ، إذا عَلِمَ أنه لا يفرغ إلا مع فراغكم . ومنها أنكم تُحنِقونه * ولا يجد بدًّا من مكافأتكم ، فلعلّه أن يتسرّع إلى لقمة حارَّة ، فيموت ، وأنتم ترونه ، وأدنى ذلك أن تبعَثوه على الحِرص وعلى عِظَم اللُّقم . ولهذا ما قال الأعرابىُّ حينَ قيل له : « لم تبدأ

---

(٥) والطسوج أربعة فلوس ، صححنا : والفلوس أربعة طسوج ك — نقص ك — (٧) طسوج ك — (١٠) ونخر جناح ك — (١١) لا تعجلون (عيون الأخبار) : تعجلوا ك — (١٤) إذا (عيون) : وإذا ك — (١٨) السرعة به ك — تحنقونه ك .

بأكل اللحم الذى فوق الثَّريد ؟ » قال : « لأنَّ اللحمَ ظاعن والثريدَ مقيم » . وأنا وإن كان الطعامُ طعامى ، فإنى كذلك أفعل ، فإذا رأيتُم فِعلى يُخالفُ* قولى فلاطاعةلى عليكم ».

٣ قال أبو كعب : فربما نسِى بعضنا فمدَّ يده إلى القَصعة ، وقد مد يدَه صاحبهُ إلى الماء . فيقولُ له مُوسَى : يدَك يا ناسى . ولولا شىء لقلتُ لَكَ يا مُتغافل .

قال : وأتانا بأرزّة* ولو شاء إنسان أن يعدَّ حبَّها لعدَّه ، لتفرّقه ولقلته . قال فنثروا عليها لَبَكة* من دِبس* مقدارَ نصفِ أسَيْكِرة* فوقعتْ ليلتَئذٍ فى فمى قطعةٌ — وكنتُ إلى جنبه — فسمِع صوتَها حين مضغتُها ، فضربَ يده على جنبى ثم قال : « اجرُش يا أبا كعب اجرش » ؛ قلت : « ويلك ! أما تتَّقى الله ! كيف أجرُش جزأ لا يتجزأ ؟ »

---

(٢) مخالف (فان فلوتن) — (٥) بارز ك — (٦) لبكة (دى جويه) : لبلة ك — دبس (مرسيه) : ذلك ك — اسيكره ، مصحنا : سكره ك ، سكرجة (مرسيه)

(١٢٧ : ٩ — ١٢٨ : ٨) « دعا . . . اجرش يا أبا كعب » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٧ — ٢٥٨ .

قصة ابنِ العَقَدى

كان ابنُ العَقَدى ربما استزارَ أصحابه إلى البُستان ، وكنتُ لا أظنه ممَّن يحتمل قلبُه ذلك على حال . فسألتُ ذاتَ يوم بعض زوّاره فقلت : « احكِ لى أمرَكم » . قال : « وتستُر علىَّ ؟ » قلتُ : « نعم ما دمتُ بالبَصرة » . قال : « يشترى لنا أرُزًّا بقشره ويحمله معه ، ليسَ معه شىء ممَّا خلَق الله إلا ذلك الأرز . فإذا صرنا إلى أرضه ، كلَّف أكَّاره أن يجشّه فى مِجشَّة له ، ثم ذَرَّاه ، ثم غربله . ثم جش الواش منه* . فإذا فَرَغ من الشِّراء والحمل ، ثم من الجشّ ، ثم من التذرية ، ثم من الإدارة والغَرْبلة ، ثم من جشّ الواش ، ثم من تذرِيَته ، ثم من إدارته وغَرْبلته ، كلَّف الأكَّار أن يطحنه على ثَوْره وفى رحاه . فإذا طحنه كلَّفه أن يغلىَ له الماء ، وأن يحتطِب له ، ثم يكلّفه العجنَ ، لأنه بالماء الحارّ أكثرُ نَزَلا . ثم كلف الأكار أن يخبزه . وقبلَ ذلك ما قد كلَّفهم أن ينصبوا* له الشصوص للسمك ، ويسكِّروا* الدرياجة** على صِغار السَّمك لا يدخلوا فى السواقى ، فيدخلوا أيديَهم فى جِحَرة الشلابى والرمان . فإن أصبنا من السّمك شيئاً ، جعله كباباً على نار الخبز تحت الطابق ، حتى لا يحتاجَ من الحطَب < إلى* > كثير . فلا نزال منذُ غُدوة إلى الليل فى كدٍّ وجُوع وانتظار . ثم لا يكونُ عَشاؤنا إلا خبزَ أرُزّ أسودَ غيرَ منخول بالشلابى . ولو قدَر على غير ذلك فَعَل » .

قلتُ له : « فلم لا يتّخذُ موضِعَ مرازّ* من بعضِ رَقاق أرضه ، فيبذر* لكم الأرُز ثم يَكون الخيارُ فى يدهِ ، إن أرادَ أن يُعجِّل عليكم الطعامَ أطعمكم الفرد ، أو إن أحبَّ أن يتأنى ليطعمَكم الجوهرىَّ . . » قال : والله لئن سَمِع هذا وعَرفه ليتكلّفنّه . اللهَ اللهَ فينا ، فإنا قومٌ مساكين ، ولو قدَرنا على شىء لم نحتمِل هذا البلاء .

---

(٦) < الواش الأرز الصحاح الذى ينقلب من أن تصيبه الرحا ويخرج سليما فيعاد عليه الجش ثم يذرى ثانية ويغربل > : شرح مقحم على النص فى الأصل — (١١) ينصبون ك — الدرياجة (فان فلوتن) : الدراجة ك — (١٣) < إلى > ليست بالأصل — (١٦) مذار (فان فلوتن) — فيذرى (فان فلوتن) .

طرف شتى

حدثنى المكىُّ قال : بتُّ عند إسماعيلَ بنِ غَزوان — وإنما بيَّتنى عندَه حين علم أنى تعشَّيتُ عند مُوَيس* ، وحملتُ معى قِرْبةً* نبيذ — فلمّا مضى من الليل أكثرُه ، وركِبنى النوم ، جعلتُ فراشى البساطَ ومِرفقتى يدى . ولَيْس فى البيتِ إلا مُصَلًّى له ، ومِرفقة ومِخدّة . فأخذ المخدّة فرمى بها إلىَّ ، فأبيتُها ورددتُها عليه ، وأبى وأبيت . فقال : « سبحان الله ! يكون أن تتوسَّد مِرفقَك ، وعندى فَضْل مخدّة ؟ » فأخذتُها فوضعتها تحتَ خدِّى . فمنَعنى من النوم إنكارى للمَوْضع ، ويبسُ* فِراشى . وظنّ أنى قد نمتُ ، فجاء قليلاً قليلاً ، حتى سلّ المخدّة من تحتِ رَأسى . فلمّا رأيتُه قد مَضى بها ، ضحِكتُ وقلتُ : « قد كنتَ عن هذا غنيًّا ! » . قال : « إنّما جئتُ لأسوّىَ رأسك » ، قلت : « إنى لم أكلِّمكَ حتى ولَّيْتَ بها » ، قال : « كنتُ لهذا جئت ، فلما صارت المخدّة فى يدى نسيتُ ما جئتُ له . والنبيذُ — ما علمتُ — والله يذهبُ بالحِفظ أجمع » .

وحدثنى الحزامىُّ والمكىُّ والعَروضىُّ ، قالوا : سمِعنا إسماعيلَ يقول : أو ليسَ قد أجمعوا على أنّ البخَلاء فى الجملة أعقلُ من الأسخياء فى الجملة . ها نحنُ أولاء عندَك جماعة فينا من يزعُم الناسُ أنه سخىٌّ ، وفينا من يزعُم النــاس أنَّه بخيل . فانظر أىُّ الفريقين أعقل ؟ هأنذا ومهلُ بن هارون ، وخاقانُ* بن صبيح ، وجعفر بن سعيد ، والحزامى ، والعروضىّ ، وأبو يعقوبَ الخرَيمى . فهل معك إلّا أبو إسحاق ؟

وحدّثنى المكىّ ، قال : قلتُ لإسماعيلَ مرّة : « لم أر أحداً قطّ أنفَق على الناس مِن ماله ، فلمّا احتاج إليهم آسَوْه » . قال : « لو كان ما يصنَعون لِلّه رضًى ، وللحقّ موافقاً ،

---

(٣) مونس ك — قرابة ك — (٧) وبئس ك — (١٦) وعامان ك .

لما جَمع الله لهم الغَدْر واللؤمَ من أقطار الأرض . ولو كان هذا الإنفاقُ فى حقه ، لما ابتلاهُم الله جلّ ذكرهُ من جَميع خَلقه » .

حدّثنى تمّام بنُ أبى نعيم ، قال : كان لنا جار ، وكان له عُرس . فجعلَ طعامَه كلَّه فالوذق ، فقيل له : إنّ المؤونة تعظُم . قال : « أحتمِلُ ثقلَ الغُرم بتَعجيل الراحة . لعن الله النساء ، وما * أشكُّ أنّ من أطاعهنّ شرٌّ منهنّ » .

وحديث سَمِعناه على وجه الدهر . زعَموا أنّ رجلا قد بلَغ فى البخل غايتَه ، وصار إماماً ، وأنه < كان > * إذا صار فى يَدِه الدرهمُ ، خاطَبه وناجاه وفدّاه واستبطأه * . وكان ممّا يقولُ له : « كم من أرض قد قَطعتَ ، وكم من كِيس قد فارقتَ ، وكم < من > * خامِل رفعتَ ، ومن رفيع قد أخملت . لك عندى أن لاتعرَى ولا تَضْحى » ثم يُلقيه فى كِيسه ويقول له : « اسكُن على اسمِ الله فى مَكان لا تُهان ولا تَذِلّ ولا تُزعَج منه » . وإنّه لم يُدخِل فيه دِرهماً قطّ فأخرجَه .

وأن أهلَه ألحّوا عَليه فى شَهْوة * ، وأكثروا عليه فى إنفاق درهم ، فدافَعَهم ما أمكنَ ذلك . ثمّ حمل درهماً فقط . فبيناهُ ذاهبٌ إذ رأى حوّاء قد أرسلَ على نفسِه أفعى لدِرهم يأخذه ، فقال فى نفسِه : أتلفُ شيئاً تُبذَل فيه النفسُ ، بأكلة أو شربة ؟ والله ما هذا إلا مَوعظةٌ لى من الله . فرَجع إلى أهله ، ورد الدرهم إلى كيسه . فكان أهلُه منه فى بَلاء ، وكانوا يتمنّون مَوته والخلاصَ < منه > * بالموت ، والحياة < بدونه > * .

فلمّا مات وظنّوا أنهم قد استراحوا منه ، قَدِم ابنُه ، فاستَوْلى على مالِه ودارِه ، ثم قال : « ما كانَ أدم أبى ؟ فإن أكثرَ الفَساد إنما يكونُ فى الإدام » قالوا : « كان يتأدَّم بجُبنة عنده » ، قال : « أرونيها » . فإذا فيها حزٌّ كالجَدْول من أثر مَسْح اللقمة .

---

(٥) [و] ما (فان فلوتن) (٧) < كان > (فان فلوتن) : ليست بالأصل واستبطنه (فان فلوتن) — (٩) < من > : ليست بالأصل — (١٢) سهوة ك — (١٦) < منه > ... < بدونه > ، صححنا : ليست بالأصل.

(٧ — ١١) « وأنه ... منه » نهاية الأرب للنويرى ، ٣ : ٣١٢ دار الكتب المصرية

قال : « ما هذه الحفرة ؟ » قالوا : كان لا يقطَع الجبن ، وإنما كان يمسَحُ على ظهره ، فيحفرُ كما ترى » قال : « فهذا أهلكنى ، وبهذا أقعدَنى هذا المقعَد . لو علمتُ ذلك ماصلّيتُ عليه » . قالوا : « فأنتَ كيف تريد أن تصنعَ ؟ » قال : « أضعُها من بَعيد ، فأشيرُ إليها باللقمة » .

ولا يعجِبُنى هذا الحرفُ الأخير ، لأن الإفراط لا غايةَ له . وإنما نحكى ما كانَ فى الناس ، وما يجوزُ أن يكون فيهم مثلُه ، أو حجّة أو طريقة . فأمّا مثلُ هذا الحرف فليس مما نذكُره . وأمّا سائر حَديث هذا الرجُل فإنه من < هذه > البابة * .

قال ابن جُهانةَ الثقفيّة : عجبتُ ممّن يمنعُ النبيذَ طالبَه ، لأن النبيذَ إنما يُطلب ليوم فَصد . أو يوم حِجامة ، أو يوم زيارة زائر ، أو يوم أكل سمك طرىّ ، أو يوم شربة دواء . ولم نَر أحداً طَلَبه وعندَه نبيذ ، وَلا ليدّخِره ويحتكرَه ، ولا ليبيعَه ويعقِد منه . وهو شىء يحسُن طلبه ، وتحسُن هِبته * ، وَيحسُن موقعه . وهو فى الأصل كثير رَخيص . فما وَجْه منعه ؟ ما يمنعهُ عندى إلا من لاحظَّ له فى أخلاق الكرام . وَعلى أنى لستُ أوجَل — بما أهبُ منه — على نبيذى النُّقصان ، لأنى إذا احتجبتُ عن ندَمائى ، بقدر ما أخرجتُ من نبيذى ، رَجع إلىَّ نبيذى على حاله ، وكنت قد تحمَّدت بما لا يضرُّنى . فمن ترك التحمُّد بما لا يضرُّه كان من التحمد بما يضره أبعد .

فذكر ابنُ جهانة ما له من الكَرَم بهبةِ نبيذه ، ولم يذكُر ما عليه * بحَجْب ندمائه * قال الأصمعىُّ أو غيره : حمَل بعضَ الناس مدينى * على بِرْذَون ، فأقامه على الأرِىِّ . فانتبه من نَوْمه فوجده يعتلِف ، ثم نام فانتبه فوجده يعتلِف ، فصاح بغلامه : « يا ابن أُمّ بِعه وَإلاّ فهَبه وَإلاّ فردَّه وَإلاّ فاذبحه . أَنام وَلا ينام ؟ < يذهبُ > * بحرِّ مالى ؟ ما أراد إلاّ استئصالى » .

---

(٧) من البانه ك — (١١) هيئته ك — (١٦) ما عليه < من اللؤم > (فان فلوتن) — نبيذه ك — (١٧) مدينيا (فان فلوتن) — (١٩) < يذهب > (فان فلوتن) : ليست بالأصل .

قال أبو الحسن المدائنى : كان بالمدائن تمار ، وكان غُلامه إذا دَخل الحانوتَ يحتار* ، فربما احتبَس فاتّهمه بأكل التمر . فسأله يوماً فأنكر ، فدعا بقُطنة بيضاء ، ثم قال : « امضغها » فمضَغها ، فلمّا أخرَجها وجد فيها حلاوةً وصُفرة . قال : « هذا دأبُك كلَّ يوم ، وأنا لا أعلم ؟ اخرج من دارى » .

وكان عندَنا رجُلٌ من بنى أسَد ،إذا صَعِد ابنُ الأكّار إلى نخلة له ، ليلقطَ له رُطَباً ، ملأ فاه ماء . فسخروا به ، وقالوا له : « إنه يشرَب ويأكل شيئاً* على النخلة ، فإذا أراد أن ينزل بال فى يده ، ثم أمسَكه فى فيه» . والرطَب أهونُ على أولاد الأكَرة ، وعلى أولاد غيرِ الأكَرة من أن يَحتمل فيه أحدٌ شَطر هذا المكروه ولا بعضَه . قال : فكان بعدها يملأ فاه مِن ماء أصفرَ أو أخضرَ ، لكيلا يقدِرَ على مِثله فى رؤس النخل .

وحدثنى المِصرى وكان جارَ الداردريشى ، وماله لا يحصى ، قال : فانتهر سائلاً ذات يوم وأناعندَه ، ثم وقفَ عليه آخَرُ فانتهره ، إلا أن ذلك بغَيظ وحنق . قال : فأقبلت عليه فقلتُ له : « ما أبغض إليك السؤال » قال : « أجل عامّة من تَرى منهم أيْسر منّى » قال : فقلت : « ما أظنك أبغضتهم إلا* لهذا » قال :« كلُّ هؤلاء لو قَدروا على دارى هدَموها* ، وعلى حَياتى لنزَعوها . أنا لو طاوَعتهم فأعطيتُهم كلما* سألونى ، كنتُ قد صِرتُ مثلَهم منذ زمان . فكيف تظنُّ بغضى يكون لمن أرادنى على هذا » .

وكان أخوه شريكَه فى كلّ شىء ، وكان فى البُخل مثلَه، فوضَع أخوه فى يوم جُمعة بينَ أيدينا ـ ونحنُ على بابه ـ طبَقَ رُطَب يُساوى بالبَصرة دانِقين، فبينا نحن نأكل إذ جاء أخوه ، فلم يسلِّم ولم يتكلّم حتى دخل الدار . فأنكر ناذلك، وكان يفرِط فى إظهار البِشر، ويجعَل البشرَ وقاية دونَ ماله. وكان يعلمُ أنه إن جمع بين المنع والكِبر قُتِل. قال : ولم نعرِف علّته ، ولم يعرفْها أخوه .

فلمّا كان الجمعة الأخرى ، دعا أيضاً أخوه بطَبَق رُطَب ، فبينا نحن نأكل ، إذ خرج

---

(٦) يحتال (فان فلوتن) — (٦) ويأكل كل شىء ك — (١٣) [إلا] (فان فلوتن) — لهدموها (فان فلوتن) — (١٤) كما ك .

من الدار ولم يسلم ولم يقف ، فأنكرنا ذلك ، ولم ندرِ أيضاً ما قصَّته . فلما أن كان فى الجمعة الثالثة ، ورأى * مثلَ ذلك ، كتَب إلى أخيه : « يا أخى كانت الشَّركة بينى و بينك حينَ لم يَكثر الوَلَد ، ومع الكثرة يقع الاختِلاف · ولستُ آمَن أن يخرُج ولَدى وَولدُك إلى مكروه . وها هنا أموالٌ باسْمى ولك شَطرُها ، وأموال باسمك ولى شطرها ، وصامتٌ فى منزِلى وصامِت فى منزِلك ، لانعرِفُ فضلَ بَعض ذلك على بعض . و إن طَرقنا أمرُ الله ، ركدَت الحربُ بين هؤلاء الفِتية ، وطال الصَّخب بين هؤلاء النسوة . فالرأىُ أن نتقدَّم اليومَ فيما يحسِم عنهم * هذا السبب » .

فلمَّا قرأ أخوه كتابَه ، تعاظمَه ذلك وهاله . وقلب الرأى ظهراً لبَطن ، فلم يزِده التقليبُ إلاجهلاً . فجمع ولدَه وغَلَّظَ عليهم ، وقال : « عسىأن يكونَ أحدٌ منكم قدأخطأ بكلمة واحدة ، أو يكون هذا البلاء من جَرائر النّساء » . فلماعرف براءةَ ساحة القوم ، تمشى إليه حافياً راجلاً ، فقال : « مايدعُوك إلى القِسمة والتمييز ؟ ادعُ صُلَحاء أهل المسجد الساعة ، حتى أشهِدَهم بأنى وكيلٌ لك فى هذه الضِّياع . وحوِّل كلَّ شىء فى منزِلى إلى منزلك . وجرِّب ذلك منى الساعة ، فإن وجدتنى أروغ وأعتلّ ، فدونك . فحاجتى الآن أن * تخبرَنى بذنبى » . قال : « مالك من ذنب ، وما من القِسمة من بدّ » . فأقام عندَه يناشِدُه إلى نِصف النهار ، ثم أقام يومَه ذلك إلى نصفِ الليل ، يناشِده ويطلبُ إليه .

فلمَّا طال عليه الأمر ، و بلغ منه الجهد ، قال له : « حدثنى عن وَضعك أطباقَ الرُّطب و بسطك الحُصرَ فى السِّكك ، و إحضارَك الماء البارد ، وجمعَك الناسَ على بابى فى كلِّ جمعة ، كأنك ظننتَ أنا كنَّاعن هذه المَكرُمة عُمياً . إنك إذا أطعمتَهم اليومَ البرنىّ أطعمتهم غداً السكر ، و بعد غدٍ الهلبانا * . ثم يصيرُ ذلك بعد أيام الجمع فى سائر أيام الأسبوع ، ثم يتحوّل الرَّطَب إلى الغَداء ثم يؤدّى الغَداء إلى العَشاء . ثم تصيرُ إلى الكِساء ثم الأجداء ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع . واللهِ إنى لأرثى لبيوت الأموال ولخرَاج المملَكة مِن هذا ، فكيفَ بمال تاجر جَمَعه من الحبّات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف ؟ » ؛ قال : « جُعلتُ فداك

---

(٢) رأى ك — (٧) منهم (فان فلوتن) — (١٣) إلا أن ك — (١٩) الهليانا ك .

تريد أن لا آكلَ رطبة أبداً فضلاً على غير ذلك ؟ وأخرى فلا والله لا كلَّمتُهم أبداً » .
قال : « إياك أن تخطئ مرّتين : مرّةً < فى > إطماعِهم فيك ، ومرّة فى اكتساب
عداوتهم . اخرُج من هذا الأمر على حساب ما دَخلتَ فيه . وتسلم تسلمْ » .

كان أبو الهُذَيل أهدى إلى مُوَيس دَجاجة . وكانت دَجاجتُه التى أهداها دون ما كان
يتَّخذ لمويس ، ولـكنَّه بكَرَمه وبحُسْن خُلُقه أظهر التعجُّب من سِمَنها وطِيبِ لحمها ، وكان
يعرفه بالإمساك الشديد . فقال : « وكيف رأيتَ يا أبا عِمران تلك الدجاجة » ؟ قال : « كانت
عَجباً من العجب » ، فيقول : « وتدرى ماجنسُها ؟ وتدرى ما سنّها ؟ فإن الدجاجة إنما
تطيبُ بالجنس والسنّ . وتدرى بأىِّ شىء كنَّا نسمنها وفى أى مكان كنا نعلفها ؟ » .
فلا يزالُ فى هذا ، والآخر يضحَك ضَحِكاً نعرفه نحن ، ولا يعرفه أبو الهُذَيل .

وكان أبو الهُذَيل أسلم الناس صدراً ، وأوسعهم خُلقاً ، وأسهلهم سُهولة . فإن ذكروا
دَجاجة قال : « أين كانت يا أبا عِمران من تلك الدجاجة ؟ » ، فإن ذكروا بطَّة أو عَناقاً أو
جزوراً أو بقرة قال : « فأين كانت هذه الجزورُ فى الجزُر ، من تلك الدجاجة فى الدَّجاج ؟ » ،
وإن استسمَن أبو الهذيل شيئاً من الطَّير والبهائم قال : « لا وَالله ولا تلك الدَّجاجة » ،
وإن ذكروا عُذوبةَ الشحم قال : عذوبةُ الشَّحم فى البقَر والبطّ وبُطون السَّمك والدَّجاج ،
ولا سيّما ذلك الجنسَ من الدجاج » ، وإن ذكروا ميلادَ شىء ، أو قدومَ إنسان قال :
« كان ذلك بعدَ أن أَهديتُها لك بسَنة ، وما كانَ بينَ قدوم فلان وبين البعثَة بتلك
الدجاجة ، إلا يوم » . وكانت مَثَلاً فى كل شىء ، وتاريخاً فى كل شىء .

وأقبل مرّة على محمد بن الجهم ** ، وأنا وأصحابنا عنده ، فقال : « إنى رجلٌ منخرِق

---

(٢) [مرة] (فان فلوتن) < فى > : ليست بالأصل — (٣) بسلام (فان فلوتن) —
(٨) [وفى أى مكان كنا نعلفها] (فان فلوتن) ، نعلفها (ثمار القلوب) : نسمنها ك .

(٤ — ١٧) « كان أبو الهذيل ... كل شىء » ثمار القلوب للثعالبى ٣٧٥ — ٣٧٦ — (١٨ — ١٣٦ : ٤)
« وأقبل مرة . . . استحلفنى » عيون الأخبار ٢ : ٢٠٤

الكفَّين ، لا أليقُ شيئاً . ويدى هذه صَناع فى الكَسب ، ولكنّها فى الإنفاق خَرْقاء . كم تظنُّ من مائة ألفِ دِرهم قَسمتها على الإخوان فى مَجلس ؟ أبو عثمانَ يعلم ذلك . أسألُك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلمُ ذلك؟»، فقلت: « يا أبا هذيل ما نشك فيما تقول » . فلم يرضَ بإحضارى هذا الكلامَ حتى استَشْهدنى ، ولم يرض باستِشْهادى حتى استَحلفنى .

obeikandl.com

قصة أبى سعيد المدائنى

كان أبو سعيد المدائنى إماماً فى البُخل عندَنا بالبصرة . وكان من كبار المَعيِّنين ومَياسيرِهم ، وكان شديدَ العَقل ، شديد العارضة ، حاضِر الحجَّة ، بعيدَ الروية .

وكنتُ أتعجّب من تفسير أصحابِنا لقول العرب فى لؤم اللئيم الراضع ، قال أصحابُنا : كلُّ لئيم بخيل ، وليسَ كلُّ بخيل لئيماً . لأنّ اسمَ اللئيم يقعُ على البُخل ، وعلى قلّة الشكر ، وعلى مَهانة النفس ، وعلى أنّ له فى ذلك عِرقاً متقدِّماً . قال أبو زَيد : هو لَئيم وَملْأم ، فاللئيم ما فسَّرت ، والملأم الذى يقومُ بعذر اللئيم . فأمّا اللئيم الراضع ، فالذى لا يحلب فى الإناء ، ويرضَع من الخِلف ، مخافةَ أن يضيعَ من اللبن شىء . قال ثوب ابنُ شَحْمة العنبرىّ فى امرأته الهمدانية :

وحديث مالجةَ التى حدَّثتنى تدعُ الإناء تشرُّباً للقادِم

(القادمان الخلفان المقدَّمان) فلما بلغَه ذلك عنها طلّقها ، فلما طلّقها قيل له : إن البخلَ إنما يعيبُ الرجلَ ، ومتى سمعتَ بامرأة هُجِيت فى البخل ؟ قال : ليسَ ذلك بى . أخافُ أن تلِد لى مثلَها .

قال رافع بنُ هرَيم :

. . . . . تحلب قاعداً وتملج أحياناً وقعبك حاضر

يدعُو الله عليه أن يجعلَه صاحبَ شاء ، ولا يجعلَه صاحبَ إبل ، وأن يرتَضع من الخِلف ، وإن كان معه إناء . والعربىُّ ربما اتّلى على صاحبِه فيقولُ : « إن كنتَ كاذباً فاحتلبتَ قاعداً » . أى أبدَلك الله بكرَم الإبل لؤمَ الغنم .

---

(٢) المعينين : المعسين ك ، المغتنين (فان فلوتن) — (١٠) لامجة ك — الاقاء تشربا (فان فلوتن) : الانا وننثرا ك — (١٥) تلمج ك — (١٧) ربما اتلى ، ربما دل ك ، يمارى (فان فلوتن) ، يتباهل (مرسيه)

(١٧ — ١٨) « ان كنت . . . قاعدا » البيان والتبين ١ : ١٤٠ مطبعة الفتوح الأدبية ١٣٣٩ هـ ، أمالى القالى ١ : ١٠٦ .

فكيف نتعجّب من لؤم الراضع، و < قد > *صنَع أبو سَعيد المدائنى أعظَم من ذلك : اصطَبَغ من دَنّ خلٍّ ، وهو قائم حتى فَنِى ولم يُخرج منه قليلاً ولا كثيراً .

وكانت له حَلقة يقعُدفيها أصحابُ العِينة* والبُخَلاء الذين يتذاكرون الإصلاح. فبلغهم أن أبا سعيد يأتى الخُرَيْبةَ* فى كلِّ يوم ليقتضىَ رجُلاً هناك خمسةَ دراهم فَضَلت عليه ، وقالوا : « هذا خَطأ عظيم وتضييع كثير . و إنما الحزمُ أن يتشدَّد فى غير تَضْييع . وصاحبُنا هذا قد رجَع على نفسه بضُرروب من البَلاء » .

فاجتمعوا علَيه على طريق التفرّغ وَالاستفادة منه . قالوا : نراك تصنَعُ شيئاً لا نعرفهُ ، والخطأ منك أعظمُ منه مِن غَيرك . قد أشكلَ علينا هذا الأمر ، فأخبرْنا عنه ، فقد ضاقَت صدورُنا به . خبِّرنا عن مُضيِّك إلى الخُرَيبة لتقتضِى خمسةَ دراهم . فواحدةٌ أنا لا نأمنُ عليك انتقاضَ بدنك ، وقد خلا* من سنِّك ، وأن تعتلَّ فتدعَ القاضىَ للكثير* بسبب القليل . وثانيةٌ أنك تنصَب* هذا النَّصَب ، فلا بدّ لك من أن تزداد فى العَشاء إن* كنتَ ممّن يتعشّى ، أو تتعشّى إن كنتَ ممَّن لا يتعشّى . وهذا إذا اجتمَع كان أكثرَ من خمسةِ دراهِم . و بعدُ،فإنّك تحتاج أن تشقّ وسطالسوق،وعليك ثيابُك واَلحمولة تستقبلُك، فمن ههنا نَتْرة ، ومن ههنا جَذبة ، فإذا الثوبُ قد أودى . وَمن ذلك أنّ نعلك تنقَب وَترقّ وساق سراويلك تتَّسخ وتبلَى . ولعلَّك أن تعثُر فى نعلك فتقدَّها قدّاً، ولعلَّك تهرتُها هَرتاً . و بعدُ ، فاقتضاء القليل أدّى* بك إلى هذا < وما > * بلغت منه شيئاً* . و إنَّك أفضل* . إلا أنا نحبُّ أنَّك تجلى* عن الأمر بشىء ، فليسَ كلُّنا يثقُ لك بالصواب فى كلِّ شىء »

قال أبو سعيد :« أمَّا ما ذكرتم من انتقاض البَدَن ، فإنّ الذى أخافُ على بَدَنى من الدعة ، ومن قلة الحرَكة أكثر . وما رأيتُ أصحّ أبداناً من الحمَّالين والطَّوافين. والقوم قبلى

---

(١) < قد > : ليست بالأصل – (٣) العثه ك ، القنية (فان فلوتن) – (٤) الحربية ك – (١٠) خلا < ما خلا > (فان فلوتن) – الكثير (فان فلوتن) (١١) < ان > تنصب (فان فلوتن) – اذ ك – (١٦) أدى : أولا ك – < وما > : ليست بالأصل – بينا ك – أفضل ك : لعلها أفضلنا – (١٧) تحكى (فان فلوتن)

(١ – ٢) « وقد صنع . . . كثيراً » عيون الأخبار ٣ : ٢٥٨

إن يموتوا لم يكن لهم تلك عادة . وليس يقولُ الناسُ : والله لفلان أصحُّ من الجلاوزة ؟ يعنى اختلافَ الجلاوزة فى العَدْو* . ولربَّما أقمتُ فى المنزل لبعض الأمر ، فأكثرُ الصعودَ والنزول خوفاً من قلَّة الحركة . وأمَّا التشاغل بالبعيد عن القريب ، فإنى لا أعرض للبعيد حتى أفرغ من القريب . وأمَّا ما ذكرتم من الزيادة فى الطعم* فقد أيقنتْ نفسى، واطمأنَّ قلبى ، على أنه ليس لنفسى عندى إلَّا ما لها ، وأنَّها إن حاسبَتْنى أيامَ النَّصَب ، حاسبتُها أيام الراحة . فستعلمُ حينئذٍ أينَ أيامُ الخُرَيبة من أيَّام ثقيف . وأما ماذكرتم من تلقِّى الحمولة، ومن مزاحمة أهل السوق ، ومن النَّتْر والجذْب ، فأنا أقطعُ عرضَ السوق من قبل أن يقومَ أهلُ السوق لصَلاتهم* ، ثمَّ يكونُ رجوعى على ظَهر السوق . وأمَّا ما ذكرتم من شأن النعل والسراويل ، فإنى من لَدُن خَروجى من منزلى ، إلى أن أقرُبَ من باب صاحبى ، فإنما نعلى فى يدى ، وسراويلى فى كمِّى . فإذا صرتُ إليه لبستُهما ، فإذا فصلتُ من عنده خلعتُهما. فهما فى ذلك اليوم أوْدَعُ أبداناً وأحسن حالًا . بقى الآن لكُم مما ذكرتم شىء؟ » قالوا : « لا »؛ قال : « فهاهنا واحدةٌ تفى بجميع ماذكرتم» قالوا : « وما هى ؟ » قال : « إذا علِم القريبُ الدار ، ومن لى عليه ألوفُ الدنانير ، شدَّة مُطالبتى للبعيد الدار، ومن ليسَ لى عليه إلا الفلوس ، أتى بحقِّى ولم يُطمع نفسَه فى مالى . وهذا تدبيرٌ يجمع لى إلى رجوع مالى طولَ راحة بدنى . ثم أنا بالخيار فى تَرك الراحة ، لأنى أقسمها على الأشغال حينئذ كيف شئت . وأخرى أنَّ هذا القليل لو لم يكنْ فضلةً من كثير ، وموصولًا* بدَين لى مشهور، لجاز أن أتجافى عنه . فأما أن أدع شيئاً يُطمِع فى فضول ما يبقَى على الغرماء ، فهذا مالا يجوز » . فقاموا وقالوا بأجمعهم : « لا والله لا سألناك عن مُشكِلة » .

حدَّثنى أحمد المكىّ —أخو محمد المكىّ— وكان متَّصلاً بأبى سَعيد، بسبب* العينة، و بسبب* صنعة المال ، ولأعاجيب* أبى سعيد وحديثه .

قال أحمد : قلتَ له مرة: « والله إنَّك لكثيرُ المال، و إنك لتعرفُ مانجهل* ،و إن

---

(٢) العدو (فان فلوتن) : العدوى ك — (٤) الطعام (فان فلوتن) — (٧) ولصلاتهم ك — (١٦) وموصلا ك — (١٩) سبك—(٢٠)نسيت ك ، نسيت (فان فلوتن) فى الموضعين — [و] لأعاجيب ك—
(٢١) (فان فلوتن) وما تجهل ك

قميصَك وسخٌ، فلم لا تأمرُ بغسله؟ » قال :« فلو كنتُ قليلَ المال وأجهل ماتعرف ، كيف كان قولُك لى ؟ إنى قد فكرتُ فى هذا منذُ ستَّةِ أشهر ، فما وَضح لى بعدُ وجهُ الأمرفيه .

٣ أقولُ مرَّة : الثوبُ إذا اتسخ أكل البدَن ، كما يأكلُ الصدأ الحديد . والثوبُ إذا ترادَفة العرَق ، وجفَّ وتراكم عليه الوَسخ ولبد ، أكل السِّلك وأحرق الغَزل . هذا معَ نَتن ريحه وقبح منظره . وبعدُ، فإنى رجل آتى أبوابَ الغُرَماء، وغِلمان غُرمائى جبابرة، فما

٦ ظنّك بهم إذا رأوْنى فى أطمار وَسِخة وأسمال* درنة وحال حداد؟ جَبَهوا مرة ،وَحجَبوا مرة. فيرجِعُ ذلك علينا بمضرَّة من إصلاح المال ، وأن* ينفى عنه كل ما أعان على حبسه، مع ما يدخلُ من الغَيظ ، ويَلقى من كان كذلك من المكروه .

٩ فإذا اجتمعتْ هذه الخواطر ، هممتُ بغَسلها . فإذا هممتُ به عارضنى معارِض يوهِمنى أنه أتانى من جِهة الحَزم ومن قِبَل العقل ، فقال : أول ذلك الغُرم الذى يكون فى الماء والصابون. والجاريةُ إذا ازدادت عناءً*، ازدادتْ أكلاً.والصابونُ نُورة ،والنورةتأكلُ

١٢ الثوب وتبلى الخزّ*، ولا يزال الثوبُ على خَطَر حتى يسلم إلى القصر* والدقّ. ثم إذا ألقى على الرَّسن ، فهو بعرض الجَذْبة والنَّترة والعلق . ولا بد من الجُلوس يومئذ فى البيت . ومتى جلستُ فى البيت ، فتَحوا علينا أبواباً من النفقة وأبواباً من الشَّهوات . والثياب لابد

١٥ لها من دقّ . فإن نحنُ دققناها فى المنزل قطَّعناها ، وإن نحن أسلمناها إلى القصَّار فغُرم على غُرم ، وعلى أنه ربّما أنزل بها من المكروه ما هو أشدّ . وما جلستُ فى المنزل قطّ إلا أرجف بى الغُرَماء ، وادّعوا علىَّ الأمراض والأحداث ، وفى ذلك لهم فساد والتواء وطَمَع

١٨ لم يكن عندهم . فإذا أنا لبستها ، وقد أبيضَّت وحَسُنت وجفَّتوطابت ، تبيَّنت عند ذلك وَسَخ جسدى وكثرة شعرى، وقد كان بعضُ ذلك موصولاً ببعض، ففرَّقته* ، فاستبان لى ما لم يكن يَستبين ، واكترثت لما لم أكن أكترث* له . فيصيرُ ذلك مَدعاة إلى دُخول

٢١ الحمَّام . فإن دخلته فغُرم ثقيل ، مع المخاطَرة بالثياب ، ولى امرأةٌ جميلة شابَّة ، إذا رأتْنى

---

(٦) واشمال (فان فلوتن) – (٧) [و] ان ك – (١١) غناء (فان فلوتن) – (١٢) وان الخزف لا ك – العصر ك – (١٩) فعرفته (فان فلوتن) – (٢٠) اكترثت (فان فلوتن) .

قد اطّليت وغسّلت رأسى وبيّضت ثوبى ، عارَضتنى بالتطيّب و بلبس ° أحسنِ ثيابها ، وتعرَّضت لى ، وأنا فحل، والفحلُ إذا هاج لم يردّ رأسه شيء . فإذا أردتُ مواقعتها،ورأت حِرصى نثرت علىَّ الحوائجَ نثراً . ثم احتجنا إلى تسخين الماء . وأشدّ من هذا كلِّه أن تعلَق، فتحتاج إلى ظئر ، فنقعَ فى ما لا غايةَ له .

مع أمور كثيرة نسىَ بعضَها أحمد ، وبعضَها أنا .

وكان أبو سعيد هذا ، مع بخله ، أشدّ الناس نفساً وأحماهم أنفاً . بلغ من أمره ذلك ومن بلوغه فيه ، أنه أتى رجلاً من ثقيف يقتَضيه ألفَ دينار، وقد حلّ عليه المال . فكان ربما أطال عنده الجلوس. ويحضرُ عنده الغداء فيتغدَّى معه ، وهو فى ذلك يقتضيه .

فلما طال عليه المَطل ، قال له يوماً ، وهو على خِوَانه : « إنّ لهذا المال زكاةً مؤدّاة . وقد علِمنا أنّا حينَ أخرجنا هذا المالَ من أيدينا ، أنه معرّض للذَّهاب، وللمُنازعة الطويلة، ولأن يقعَ فى الميراث ، ثم رَضينا منكَ بالربْح اليسير ، بالذى ظنناه بك من حُسن القضاء، ولولا ذلك لم نرضَ بهذا المال . وهذا المال إذا كان شرطُه أن يرجع بعدَ سنة ،فرفَّهت عنك بحسن المطالبة شهراً أو شهرين ، ثم مكث عندى — إلى أن أصبتُ له مثلَك — شهراً أو شهرين ، محق فضله وخرج علينا فضل . ومثلُك يكتفى بالقليل . وقد طال اقتضائى وطال تغافلك » . يقول هذا الكلام ، وهو فى ذلك لا يقطع الأكل .

فأقبل عليه رجلٌ من ثقيف ، فعرَّض له بأنه لو أراد التقاضىَ محضاً لكان ذلك فى المسجد ، ولم يكن فى الموضِع الذى يحضُر فيه الغداء . فقطَع الأكل ،ثم نزا فى وجهه الدم، ونظر إليه نظر الجمل الصؤول ، ثم كاد يطير ، ثم أقبل عليه فقال : « لا أمَّ لك ! أنا إنما اصطبغتُ من دنّ خلٍّ ° حتى فَنِىَ من حسن ° العقل ، وأحببتُ الغنَى بفضل بُغضى للفقر ، وأبغضتُ الفقرَ بفضل أنَفتى من احتمال الذلّ . تعرِّض لى لا أمّ لك بأنى أرغبُ فى غَدائه ؟ والله ما أكلتُ معه إلا ليستحيىَ من حُرمة المؤاكلة، وليصيرَ كرمُه سبباً لتعجيل

---

(١) وتلبس (فان فلوتن) — (١٩) در حل ك — حسب ك .

الحاجة » ، ثم نهض بالصك ، وعليه طينته ، فاعترض بها الحائط حتى كسرها . ثم تفل فى الكتاب وحكّ بعضَه ببعض ، ثم مزّقه ورمى به . ثم قال لكلٍّ من شَهِد المجلس : « هذه ألفُ دينار كانت لى على أبى فلان ، اشهَدوا جميعاً على أنى قد قبضتُ منه ، وأنه برىء من كلِّ شىء أطالبه < به > * ، ثم نهض .

فلما صنع ما صنَع أقبل الغريمُ على صاحبه فقال : « ما دعاك إلى هذا الكلام ؟ لِمَ * تقولهُ * لهذا الرجل على مائدتى ، وتقدم بهذا الكلام على من لا تعرِفُ كيفَ موقِعُ الأمور منه ؟ و بعد ، فقد والله أردتُ مطلَه إلى أن أبيع الثمر ، ورجَونا حلاوته . فقد أحسنتَ إليه ، وأسأت إلينا ، وعجّلت عليه مالَه . اذهَب يا غلام ، فاضرب بذلك الثمر السُّوق ، فبعه بما بَلَغ ، فيأخذ * ماله كملا » . ثم ركب إليه ، فأبى أن يأخذَه ، فلما كثر الأمرُ فى ذلك قال : « أظنّ الذى دعا صاحبَك إلى ماقال أنه عربىٌّ وأنا مولى . فإن جعلتَ شُفعاءك من الموالى أخذتُ هذا المال ، و إن لم تفعل فإنى لا آخذه » . فجمع الثقفىُّ كل شعوبىّ بالبَصرة حتى طلبوا إليه أخذ المال .

وكان أبو سعيد ينهى خادِمه أن تخرِج الكُسَاحةَ من الدار . وأمرها أن تجمَعها من دور السكّان ، وتلقيها على كُساحتهم . فإذا كان فى الحين < بعد الحين > * جلس وجاءت الخادمُ ومعها زِبِّيل ، فعزلتْ بين يديه من الكُساحة زِبِّيلا ، ثم فتّشت واحداً واحداً ، فإن أصاب قِطَع دراهم وصرة فيها نفقة والدينار أو قِطعة حلى ، فسبيلُ ذلك معروف . وأما ما وَجد فيه من الصوف ، فكان وجهُه أن يُباع إذا اجتمع من أصحاب البراذِع . وكذلك قطعُ الأكسية ، وما كان من خِرَق الثياب ، فمن أصحاب الصينيّات والصلاحيات * وما كان من قشور الرمّان ، فمن الصبّاغين والدبّاغين . وما كان من القوارير ، فمن * أصحاب الزُّجاج . وما كان من نَوى التمر ، فمن أصحاب الخشوف * . وما كان من نوى

---

(٤) < به > : ليست بالأصل — (٥) لم (مرسيه) : ثم ك ، ثم (فان فلوتن) — (٦) تقولك — (٩) فأخذ ك — (١٤) < بعد الحين > : ليست بالأصل — (١٨) والصلاحيات (فان فلوتن) : الصلاحات ك — (١٩) من (فان فلوتن) — (٢٠) الحشوف ك .

الخوخ ، فمن أصحاب الغرس . وما كان من المسامير وقطع الحديد ، فللحدّادين . وما كان من القراطيس ، فللطراز . وما كان من الصُّحُف فلرؤس الجرار . وما كان من قطع الخشب ، فللأكافين . وما كان من قطع العظام ، فللوقود . وما كان من قطع الخزف ، فللتنانير الجُدُد : وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ، ثم يحرّك ويُثار ويخلّل ، حتّى يجتمع قماشه ، ثم يعزل للتنور . وما كان من قطع القار ، بيع من القيّار . فإذا بقي التراب خالصاً ، وأراد أن يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة إليه ، لم يتكلّف الماء ، ولكن يأمر جميع من في الدار أن لا يتوضّؤا ولا يغتسلوا إلاّ عليه ، فإذا ابتلّ ضربه لبناً .

وكان يقول : من لم يتعرّف الاقتصاد تعرّض له .

وذهب من ساكن له شيء ، كبعض ما يُسرق من البيوت . فقال لهم : اطرحوا الليلة تراباً ، فعسى أن يندم من أخذه ، فيُلقيه في التراب ، ولا ينكر مجيئه إلى ذلك المكان ، لكثرة من يجيء لذلك . فاتفق أن طُرح ذلك الشيء المسروق في التراب . وكانوا يطرحونه على كناسته ، فرآه قبل أن يراه المسروق منه . فأخذ منه كراء الكساحة .

فهذا حديث أبي سعيد .

---

(٣) الخزف (مرسيه) : الخرق ك — (٤) اشكنج (فان فلوتن) : اشكنج (٥) وإذا (فان فلوتن) .

قصة الأصمعى

تمشَّى قوم إلى الأصمعىِّ مع تاجرٍ كان اشترى ثمرتَه ، لخُسرانٍ (٢) كان ناله . وسأله حُسنَ النظر والحطيطة . فقال الأصمعىّ : « أسمِعتُم بالقِسمة الضيزى؟ هى والله ما تُريدونَ شَيخكم عليه . اشترى منِّى على أن يكونَ الخسرانُ علىَّ والربحُ له . هذا وأبيكم تجارةُ أبى العنبس . اذهبوا فاشتَروا علىَّ طعامَ العِراق على هذا الشرط . على أنى والله ما أدرى أصادقٌ هوأم كاذِب . وها هنا واحدةٌ ، وهى لكم دُونى — ولا بدّ من أن أحتمِلَ لكم، إذ لم تحتَمِلوا لى — : والله ما مَشَيتم معه إلاَّ وأنتم توجبون حقَّه وتوجِبون رِفده . لوكنتُ أوجبُ له مثلَ ما توجِبون لقد كنت أغنيتُه عنكم . وأنا لا أعرفه ولا يضرِبُنى بحقّ ، فهلمّوا نتوزع هذه الفَضلة بيننا بالسويَّة . هذا حسنٌ ممّن احتَمل حقًّا لا يجبُ عليه ، فى رضَى من يجبُ ذلك عليه » .

فقاموا ولم يعودوا . فخرَج إليه التاجرُ من حقّه ، وأيِس مما قَبله .

---

(٢) لخسران (مرسيه) : بخسران ك .

(٢ — ١١) « تمشى . . . مما قبله » عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ — ١٣٨ .

قصة أبى عيينة

حدّثنى جعفرُ ابنُ أخت واصل ، قال :

قلتُ لأبى عُيَينة : قد أحسَن الذى سأل امرأتَه عن اللَّحم ، فقالت أكلَه السنَّور ، فوزَن السنَّور ، ثم قال : « هذا اللحمُ فاين السنور ؟ » قال : « كأنّكَ تعرِّضُ بى » قال ، قلت : « إنك والله أهلُ ذلك . شيخٌ قد قاربَ المائة ، وغلته * فاضِلة ، وعِياله قليل ، ويُعطَى الأموالَ على مذاكرة العلم ، والعلمُ لذّته وصناعتُه ، ثم يرقى إلى جَوْف منزله . وأنتَ رجلٌ لك فى البستان ، ورجلٌ فى أصحاب الفَسيل ، ورجل فى السُّوق ، ورجلٌ فى الكلاء * . تطلُب من هذا وَقر جِصّ ، ومن هذا وَقر آجُرّ ، ومن هذا قِطعة ساج ، ومن هذا هكذا . ما هذا الحرصُ ؟ وما هذا الكدّ ؟ وما هذا الشُّغل ؟ لو كنتَ شابًّا بعيدَ الأمل كيفَ كنت تكون؟ ولو كنتَ مدِيناً كثيرَ العيال كيف كنتَ تكون ؟ وقد رأينك فيما حدث تلبسُ الأطمار وتمشى حافياً نصفَ النهار » .

قال : « كم * أجَمجم : بلغنى أنّك فقدتَ قِطعة بطّيخ ، فألححت فى المسألة عنها ، فقيل لك أكلها السنَّور ، فرميتَ بباقى القِطعة قدّام السنور ، لتمتحنَ صِدقهم من كذبهم ، فلمَّا لم يأكله غرَّمتَهم ثمن البطيخة كما هى . قالوا لك كان الليل ، فإن لا * تكن التى أكلته من سَنانير الجيران ، وكان الذى أكله سِنَّورنا هذا ، فإنّك رميتَ إليه بالقطعة وهو شَبْعان منه . فأنظِرنا ولا تغرمنا تمتحنه فى حال غير هذه . فأبيتَ إلاّ إغرامَهم » .

قال : « ويلك إنى والله ما أصِل إلى منعِهم من الفساد إلا ببعض الفساد . وقد قال زيادٌ * فى خُطبته : «والله إنى ما أصلُ منكم إلى أخذ الحقّ حتى أخوض الباطل إليكم خَوضاً » . وأما ما لُمتنى عليه آنفاً * فإنما * ذهبت إلى قوله : « لو أن فى يدى فَسيلة ،

---

(٥) وعليه ك — (٨) الكلا ك — (١٢) ثم (فان فلوتن) ، لم (شولتس) — (١٤) فان لم (فان فلوتن) — (٢٠) آنفا (مرسيه) : اتفاقاً ك — فانما : وانما (فان فلوتن) ، فانى انما (مرسيه)

(١٩ — ٢٠) « والله . . . خوضاً » من الخطبة البتراء : البيان والتبيين ٢ : ٣١ ط الفتوح الأدبية.

ثم قيلَ لى إنَّ القيامة تقوم الساعة ، لبادرتُها فغرستها » . وقد قال أبو الدرداء فى وجعه الذى مات فيه : « زوِّجونى ، فإنى أكره أن ألقى الله عَزَباً » . والعربُ تقول : « من غلى دِماغه فى الصيف غلت قدرُه فى الشتاء » . قال مُكرَز : « العجز فِراش وطىء ، لا يستوطِئه إلاَّ الفَشِل الدثور » . وقال عبدُالله بنُ وهب: « حبُّ الهوَينا يكسب النصب» وقال عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه : « إياكم والراحة ، فإنها عُقْلة[٥] » . وقال : « لو أن الصبرَ والشكرَ بَعيران ، ما باليتُ أيُّهما أركب » . وقال : « تمعددوا واخشَوشِنوا ، واقطعوا الركب ، واركَبوا الخَيل نزوا » . وقال لعَمْرو بن معدى كرب ، حين شكا إليه الحِقاء : « كذَبت عليك الظهائر »وقال :« احتَفوا ، فإنكم لا تدرُون متى تكون الجفلة » . وقال : « إن يكن الشُّغل مَجهَدة ، فإن الفراغَ مفسَدة » . وقال لسَعيد بن حاتم : « احذر النِّعمة كحذرك من المعصِية ، ولهىَ أخوفهُما عليك عندى » وقال: « أحذِّركم عاقبةَ الفَراغ فإنه أجمعُ لأبواب المكروه من الشُّغل» . وقال أكثمُ بن صَيْفى : «ما أحبُّ أنى مكفىٌّ كل أمر الدنيا » قالوا : « وإن أسمنتَ وألبنتَ ؟ » قال : « نعم أكره عادةَ العجز » . أفترانى أدعُ وصايا الأنبياء وقول الخلفاء وتأديب العرب ، وآخذ بقولك .

---

(٥) غفلة (فان فلوتن) .

(٢ – ٣) « والعرب . . . الشتاء » عيون الأخبار ١ : ٢٤٤ ، مناقب الترك (مجموعة رسائل الجاحظ) ط الساسى ص ٤٠ – (٦ – ٧) « تمعددوا . . . نزوا » انظر عيون الأخبار ١ : ١٣٢ – (٨) « كذبت عليك الظهائر » لسان العرب ٦ : ٢٠٠ (مادة ظهر) ط بولاق – (١١–١٢) « وقال أكثم . . . العجز » رسالة مناقب الترك (مجموعة رسائل الجاحظ – الساسى) ص ٤٠ عيون الأخبار ١ : ٢٤٦ ، البلدان لابن الفقيه ص ٤٩ .

أحاديث شتى

وتغدّى محمد بن الأشعث عند يحيى بن خالد ، فتذاكروا الزيتَ وفضلَ ما بينَه وبين السمن ، وفضلَ ما بين الأنفاق وزيتِ الماء * * . فقال محمد : « عندى زيتٌ لم يرَ الناس مثله » . قال يحيى : « لا يؤتى * منه بشىء ؟ » فدعا محمد * غلامه فقال : « إذا دخلتَ الخِزانة ، فانظر الجرّة الرابعة عن يمينك إذا دخلتَ ، فجئنا منه بشىء » قال يحيى : « ما يُعجِبنى السيِّد يعرفُ موضِعَ زَيته وزيتونه » .

وقرَّب خبَّاز أَسَدِ بن عبد الله * * إليه — وهو على خُراسان — شِواءً قد أنضَجه * نضجاً . وكان يُعجبه مارُطب من الشِّواء . فقال لخبّازه : « أتظنُّ أن صنيعَك يخفى علىَّ ؟ إنك لستَ تبالغُ فى إنضاجه لتطْييبه ، ولكن تستَحلب جميعَ دَسَمه ، فتنتفعَ بذلك منه . فبلغتْ أخاه فقال : ربّ جهل خيرٌ من عِلم .

وكان رجل يغشَى طعامَ الجوهرىّ ، وكان يتحرَّى وقتَه ولا يخطِئ . فإذا دخل ، والقومُ يأكلون وحين وُضِع الخوان ، قال : « لعنَ الله القدَرية ، من كان يستطيعُ أن يصرفَنى عن أكل هذا الطعام ، وقد كانَ فى اللَّوح المحفوظ أنى سآكله ؟ » فلمَّا أكثر من ذلك ، قال له رياح : « تعال بالعشىّ أو بالغداة فإن وجدتَ شيئاً فالعن القدَريّة والعَن آباءهم وأُمّهاتهم » .

وجاء غلامٌ إلى خالد بن صفوان * * بطبَق خَوْخ ، إما أن يكونَ هديَّة ، وإمَّا أن غلامَه جاء به من البُستان . فلمَّا وضعه بينَ يديه قال : « لولا أنى أعلم أنك أكلتَ منه لأطعمتُك واحِدة » .

وقال رمضان * : كنتُ مع شَيْخ أهوازىّ فى جَعْفَرية ، وكنتُ فى الذَّنَب وكان فى الصَّدر . فلمّا جاء وقتُ الغَداء ، أخرج من سَلة له دَجاجة وفَرْخاً واحِداً مبرَّداً ، وأقبلَ

---

(٤) لا تؤتى (فان ظلوتين) — محمد : يحيى ك — (٧) نضجه (فان ظلوتين) — (١٩) كذا بالأصل.

يأكلُ ويتحدّثُ ولا يعرِضُ عليّ . وليسَ فى السفينة غيرى وغيرُه . فرآنى أنظرُ إليه مرّة ، وإلى مابينَ يديه مرة . فتوهّم أنى أشتهيه واستنطيه ، فقال لى : « لِمَ تحدِّق النَّظَرَ؟ مَن كان عندَه أكل مِثلى ، ومن لم يكنْ عندَه نظر مثلك » . قال: ثم نظرَ إلىَّ وأنا أنظرُ إليه ، فقال : « يا هناه أنا رجل حَسَن الأكل ، لا آكُل إلّا طيِّب الطعام وأنا أخافُ أن تكونَ عينُك مالحة . وعينُ مثلِك سَريعة ، فاصرِف عنّى وجهَك» . قال فوثبتُ عليه ، فقبضتُ على لِحيتَه اليُسرى ، ثم تناولتُ الدّجاجة بيدى اليُمنى ، فما زلتُ أضربُ بها رأسَه حتى تقطَّعت فى يدى . ثم تحوَّل إلى مكانى ، فمسَح وجهَه ولحيَتَه ، ثمّ أقبلَ علىّ فقال : « قد أخبرتُك أن عينك مالحة ، وأنّك ستُصِيبُنى بعَين » . قلتُ : « وما شبه هذا من العَين ؟ » ، قال: « إنما العينُ مكروه يحدُث . فقد أنزلتْ بنا عينُك أعظمَ المكروه». فضحِكتُ ضَحِكًا ما ضحكتُ مثلَه ، وتكالمنا حتى كأنّه لم يقل قبيحاً ، وحتى كأنى لم أفرُط عليه .

هذه مُلتَقطاتُ أحاديث أصحابِنا وأحاديثنا وما رَأينا بعُيوننا .

فأمّا أحاديثُ الأصمَعىّ وأبى عُبيدة وأبى الحسَن فإنى لم أجد فِيها* ما يصلُح لهذا المَوْضِع إلّا ما قد كتبتُه فى هذا الكِتاب ، وهى بضعَة عشرَ حديثاً :

قالوا : كان للمُغيرة بنِ عبد الله بن أبى عقيل الثقَفى ، وهو على الكوفة ، جَدى يوضَع على مائِدته بعدَ الطعام . ولم يكن أحد يمسّه ، إذ كان هو لا يمسُّه . فأقدَم عليه أعرابىٌّ يوماً — ولم يعرفْ سِيرة أصحابِنا فيه — فلم يرضَ بأكل لحمه ، حتى تعرّق عظمَه . فقال له المُغيرة : «ياهذا ، تطالب عِظامَ هذا الجدى بذَحل ؟ هل نطحتكَ أُمُّه ؟». وكان الأصمعىُّ يقول : إنما قال : « يا هذا تطالب عظامَ هذا البائس بذحل؟ هل نطحتكَ أُمُّه ؟ » .

---

(١٣) منها (فان فلوتن) .

(١٥ – ١٩) « كان للمغيرة . . . أمه » عيون الأخبار ٣ : ٢٦٠ ، العقد الفريد ٤ : ٢١٨ – الأزهرية ، ١٩١٣ م .

قال : وكان على شرطته عبدُ الرحمن بنُ طارق ، فقال لرجل من الشرَط: «إن أقدمتَ على جَدى الأمير ، أسقطتُ عنكَ نوبَة سنة » . فبلغه ذلك ، فشكاه إلى الحجّاج فعزله ، وولّى مكانَه زيادَ بنَ* جرير** . فكان أثقلَ عليه من عبد الرحمن . ولم يقدِر على عَزله ، إذ كانَ مِن قِبَل الحجّاج . فكان المغيرةُ إذا خطَب قال : « يا أهل الكوفة من بَغاكم الغوائِل وسعى بكم إلى أميركم ، فلعنَه الله ولعن أُمّه العوراء » . وكانت أُمُّ زياد عوراء . فكان الناسُ يقولون : « ما رأينا تعريضاً قط أطيبَ من تعريضه » .

قالوا : وكان لزياد الحارثىّ*** جَدى لا يمسُّه ، ولا يمسُّه أحد . فعشّى فى شهر رمضانَ قوماً فيهم أشعبُ*** . فعرض أشعبُ للجَدى من بينهم . فقال زياد : « أما لأهلِ السجن إمام يصلّى بهم ؟ » قالوا : لا . قال : « فليصلِّ بهم أشعب » . فقال أشعب : « أو غيرُ هذا أصلح الله الأمير » قال : « وما هو ؟ » قال : « أحافُ بالمُحرِجات أن لا آكُلَ لحمَ جدى أبداً » .

قالوا : دعا عبدُ الملِك بن قَيس الذئبى رجلاً من أشراف أهل البصرَة، وكان عبد الملك بخيلاً على الطعام ، جواداً بالدراهم ، فاستصحبَ الرجلُ شاكِراً* ، فلمّا رآه عبدُ الملك ضاقَ به ذَرعاً . فأقبلَ عليه ، فقال له : « ألف دِرهم خيرٌ لك من احتباسِكَ عَلينا » فاحتملَ* غُرم ألفِ درهم ، ولم يَحتمِل أكل رغيف .

وتناولَ أعرابىٌّ من بين يدَى سُليمان بن عبد الملك دَجاجة ، فقال له : « يكفيكَ مابينَ يدَيك ومايَليك »، قال الأعرابىّ : « ومنها شىء حِمًى؟ »، قال: « فخذها لابُورِكَ لك فيها » .

---

(٣) حد ر ك ، جديد (فان فلوتن) — (١٣) شاكرا : ساكرا ك ، ساكنا (فان فلوتن) — (١٥) واحتمل (فان فلوتن) .

(٧ — ١١) « وكان . . . أبدا » عيون الأخبار ٣ : ٢٦٠ — ٢٦١ ، العقد الفريد ٤ : ٢١٨ ط الأزهرية .

قالوا : وكان معاوية تُعجبه القِبّة . وتغدّى معه ذات يوم صَعْصعة بنُ صوحان ،فتناولها صعصعة** مِن بَين يَدى معاوية . قال معاوية : « إنّك لبعيدُ النُّجعة » ، قال صَعصعة : « من أجدبَ انتَجَع » .

وقالوا : دَخل هِشام بن عبد الملك حائطاً له ، فيه فاكِهة وأشجارٌ وثِمار ، ومَعه أصحابه . فجعلوا يأكلون ويدعون بالبَرَكة . فقال هِشام : « يا غُلام اقلَع هذا واغرِس مكانَه الزيتون » .

قالوا : وكان المغيرةُ بنُ عبدِ الله بن أبى عقيل الثقفى يأكل تمراً هو وأصحابه ، فانطفأ السراج ، وكانوا يُلقون النوَى فى طَست ، فسمِع صوتَ نواتين فقال : « من هذا الذى يلعبُ بالكعبتين* ؟ »

وقالوا : باع حُويطب** بنُ عبد العزّى داراً من مُعاوية بخمسة وأربعين ألف دينار . فقيل له : « أصبحتَ كثيرَ المال » ، قال : « وما منفعهُ خمسة وأربعين ألفاً مع ستّة من العيال ؟ » .

وقالوا : سأل خالدَ بنَ صَفوان رجلٌ فأعطاه درهماً ، فاستقلّه السائل . فقال : « يا أحمق إن الدرهمَ عشرُ العَشرة ، وإن العَشرة عُشْر المائة ، وإنّ المائة عُشر الألف ، وإن الألف عُشر العشرة آلاف* . أما ترى كيف ارتفع الدرهمُ إلى دِية مسلم ؟ » .

قالوا : كان بلالُ بن أبى بُردة** قد خاف الجُذام ، وهو والى البصرة . فوَصفوا له الاستنقاع فى السّمن . فكان إذا فرَغ من الجلوس فيه أمرَ ببيعه . فاجتنب الناسُ فى

---

(٩) بالكعبتين (عيون الأخبار) : بالكعبين ك ، بكعبين (فان فلوتن) — (١٥) الف ك

(٤ — ٦) « دخل . . . الزيتون » مروج الذهب ٥ : ٤٨٧ ط باريس — (٧ — ٩) « وكان . . . بالكعبتين » عيون الأخبار ٣ : ٢٦١ — (١٣ — ١٥) « سأل . . . آلاف » البيان والتبيين ٢ : ١٦٣ ط مصطفى محمد ، ١٩٣٢ م .

تلك السنة أكلَ السمن . وكان يفطِر الناسَ فى شهر رمضان ، فكانوا يجلِسون حِلقاً ، وتوضَع لهم الموائد ، فإذا أقام المؤذّن نهضَ بلال إلى الصلاة ، ويستحى الآخَرون . فإذا قاموا إلى الصلاة جاء الخبّازون فرفَعوا الطعام .

قالوا : واحتقَن عمرو بن يزيد الأسدىّ * بحقنة فيها أدهان . فلمّا حرّكته بطنُه ، كره أن يأتىَ الخلاء فتذهبَ تلك الأدهانُ ، فكان يجلسُ فى الطّست ويقول : « صَفّوا هذا ، فإنه يصلُح للسراج » .

قالوا : وخبّرنا جار له ، قال : رأيته يتخلّل من الطعام بخِلال واحد شَهْراً ، كلما تغدّى حذَف من رأسه شيئاً ، ثم تخلّل به ، ثمّ وَضعه فى مجرى دواته .

وقالوا : كان ذراع الذرّاع مع خالد بن صَفوان ، فوضعوا بين يدَيه دَجاجة ، وبين يدَيه شىء من زَيتون . فجعَل يَلحظ * الدجاجة ، فقال : « كأنك تهُمّ بها » ، قال : « ومن يمنعنى ؟ » ، قال : « إذاً أصير أنا وأنت فى مالى سواء » .

قالوا : مدّ يدَه أبو الأشهب إلى شِى بين يدَى نميلة بن مرّة السّعدى ، فقال : « إذا أفردتَ بشىء فلا تعترِض * لغيره » .

قالوا : ومات وعليه للدّقاق وحدَه ثمانون ألف دِرهم ، لكثرةِ طعامه .

وقالوا : كان الحكَم بن أيوب الثّقفى عاملا للحجّاج على البَصرة ، فاستعملَ * على العِرق جريرَ بن يِهْس المازنى ، ولقبُ جَرير العطرّق . فخرج الحكَم يتنزّه ، وهو باليمامة ، فدعا العطرّق إلى غَدائه ، فأكل معه ، فتناوَل دُرّاجة كانت بين يَديه ،

(١٠) يلحظ (مرسيه) : يلقط ك — (١٥) واستعمل (فان فلوتن) .

(٤ — ٦) « واحتقن . . . للسراج » الأغانى لأبى الفرج ٢ : ٤٢٣ ط دار الكتب المصرية —
(٩ — ١١) « وكان ذراع . . . سواء » نثر الدرر للآبى ٣ : ٣٣ (مخطوط) .

فعزله ، وولى مكانَه نوَيرة المازنىّ ، فقال : نويرة — وهو ابنُ عمّ العطرّق — :

قد كان فى العرق صَيْد لو قنعت به فيه غنًى لك عن دُرّاجة الحَكَم
وفى عَوارِضَ لا تنفكّ تأكلُها لو كان يشفِيك لحمُ الجُزر من قَرَم
وفى وِطاب مُمَلاّة متمّمة فيها الصَّريح الذى يشفى من القَرَم *

فلمّا * ولى مكانَه نُويرة بلغه أنّه ابن عم له فعزله ، فقال نويرة :

أبا يوسُفٍ لو كنتَ تعرفُ طاعتى ونُصْحى ، إذاً ما بعتَنى بالمحلّق
ولا انهلّ * سرّاق العِرافة صالح علىّ * ، ولا كلّفتُ ذنب العطرّق

فذهبت مثلا .

وتناول رجلٌ من قدّام أمير كان لنا ضَخمٍ بَيْضةً ، فقال : خُذها فإنها بيضة العُقر . فلم يزل محجوباً حتى مات .

وأتى ضَيعة له يتنزّه إليها * ، ومعه خَمسةُ رجال من خاصّته ، وقد حَملوا معه طعامَ خَمسمائة . وثقُل عليه أن يأكلوا معه ، واشتدَّ جوعه . فجلَس على مَشارَة بقل ، فأقبل ينتزع الفجلة ، فيطوى جَزَرتها بعِرقها ، ثمّ يأكلُها من غير أن تُغسل ، من كلَب الجوع ، ويقول لواحِد منهم ، كان أقربَ الخمسة إليه مجلساً : « لو قد ذهب هؤلاء الثُّقَلاء لقد أكلنا » .

قالوا : وأكل عبدُالرحمن بن أبى بكرة ** على خِوان مُعاوية ، فرأى لَقْم عبد الرحمن .

---

(٤) كذا ، ولعلها : العيم — (٥) ولما (فان فلوتن) — (٧) انحل (فان فلوتن) ، الحل ك ، ساق (الحيوان) — بنى (الحيوان) — (١١) كذا فى ك ، ولعلها : فيها .

(١٥١ : ١٥ — ١٥٢ : ٨) قصة الحكم بن أيوب والعطرق : ديوان الفرزدق ص ٨٧٤ ط الصاوى ، ثمار القلوب للثعالبى ص ٣٧٦ ط الظاهر — (٦ — ٧) « أبا يوسف . . . العطرق » الحيوان ١ : ٢٠ ط الحلبى — (٩ — ١٠) « وتناول . . . مات » عيون الأخبار ٣ : ٢٦٠ .

فلما كانَ بالعشيِّ ، وراح إليه أبو بكرة ، قال : « ما فَعَل ابنُك التِّلقامة ؟ » قال : « اعتلّ » قال : « مثلُه لا يَعدَم العلة » .

وأكل أعرابيّ مع أبي الأسود الدؤلي ، فرأى له لَقْماً منكَرا ، وهاله ما يصنع . قال له : « ما اسمُك ؟ » قال : « لقمان » . قال : « صدق أهلك . أنتَ لقمان » .

قالوا : وكان له دكان لا يسعُ إلاّ مقعدَه ، وطُبيقاً* يوضَع بين يديه . وجعله مُرتفعاً ، ولم يجعلْ* < له > * عَتباً ، كي لا يرتقي إليه أحد . قالوا : فكان أعرابيّ يتحيّن وقته ، ويأتيه على فَرَس ، فيصير كأنه معه على الدكّان . فأخذ دَبّة وجعَل فيها حصى ، واتّكأ عليها . فإذا رأى الأعرابيّ قد أقبل ، أراه كأنه يحوِّل متّكأه ،فإذا قَعْقَعت الدبّة بالحصَى نَفَر الفرس . قالوا : فلم يزَل الأعرابيُّ يدنّيه ويُقعقع هو به ، حتى نَفَر به* فصرَعه . فكان لا يعودُ بعد ذلك إليه .

---

(٥) وطبيق ك — (٦) < له > (فان فلوتن) : ليست بالأصل — (٩) منه (فانفلوتن)

(١٥٢ : ١٩ — ١٥٣ : ٢) « وأكل . . . العلة » عيون الأخبار ٣ : ٢٢٨ — (٣ — ٤) « وأكل . . . لقمان » عيون الأخبار ٣ : ٢٢٨ .